

مُعَانِي الْقُرْآنِ وَالْعَرَبِ

لِلنَّجَّاحِ

أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّرِيِّ

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ

رَكْتَوْرَ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ مَلِكِ بْنِ

الجزء الرابع

عالم الكتب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

مَعَانِي الْقُرْآنِ وَاجْزَائِهِ



سبيوت - المزرعة ، بكاية الإيمان - الطابق الأول - صرّج - ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بريقيا : نابعلبي - تلكن : ٢٣٣٩٠



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمنون .

قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

أي قد نالوا البقاء الدائم في الخير، ومن قرأ قد أَفْلَحَ المؤمنون . كان معناه : قد أَصِيرُوا إلى الفلاح، ويروى عن كعب الحنظلي^(١) . ان الله عز وجل لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء، خلق آدم ﷺ بيده وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، فقال لجنة عدن تكلمي فقالت «قد أَفْلَحَ المؤمنون» لما رأت فيها من الكرامة لأهلها،

(١) هو كعب الأحبار، تسميته بذلك أشهر من تسميته بكعب الحنظلي، وهو كعب بن ماتع الحميري يكنى أبا إسحاق، من آل ذي الكلاع الحميري، أدرك النبي ﷺ رجلاً ولكنه لم يسلم إلا في خلافة عمر وقيل في خلافة أبي بكر - وهو من القصاصين المشهورين وبسببه هو وابن وهب دخل الاسلام شيء كثير - دخل عليه عوف بن مالك وهو يقص على الناس في المسجد فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو محتال - (في رواية أو متكلف) فأمسك عن القصص - حتى أمره به معاوية - وكان معاوية يقول عنه انه من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب وأنه مع ذلك لنبلو عليه الكذب - وفسره بعضهم بأنه يعني عدم الوقوع لما يخبر عنه أنه سيقع ولكن رويت عنه أحاديث بها شيء من التفسير - روى عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية وكثيرون - من كبار التابعين - ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام - قدم من اليمن إلى المدينة ثم خرج إلى الشام فمات بحمص سنة اثنتين وثلاثين . وانظره في الاصابة ت رقم ٧٤٩٦ .

والمؤمنون المصِدِّقُونَ بما أتى من عند الله، وبأنه واحد لا شريك له،
وأن محمداً ﷺ نبيه.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

أصل الخشوع في اللغة الخضوع والتواضع، ودليل ذلك قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(١). وقال الحسن وقتادة: خاشعون خائفون، وروى عن النبي ﷺ أنه كان إذا وقف في صلاته رفع بصره نحو السماء، فلما نزلت ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ جعل نظره موضع سُجُودِهِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

اللغو كل لعب وهزل، وكلُّ مَعْصِيَةٍ فَمُطْرَحَةٍ مُلْغَاةٍ^(٢)، وهم الذين قد شغلهم الجد فيما أمرهم الله به عن اللغو.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

معنى ﴿فَاعِلُونَ﴾ مُؤْتُونَ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

أي يحفظون فروجهم عن المعاصي.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

مَوْضِعُ «ما» خَفَضُ ودخلت «على» ههنا لأن المعنى أنهم يلامون في إطلاق ما حُظِرَ عَلَيْهِمْ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُلَامُونَ عَلَىٰ مَا أُحِلَّ لَهُمْ مِنْ تَرْوِجِ أَرْبَعٍ، وَمِنْ مَلَكَ الْيَمِينِ، والمعنى أنهم يلامون على ما سِوَى أَزْوَاجِهِمْ وَمَلَكَ أَيْمَانِهِمْ.

(٢) مفروض أنها ليست من شأنهم فلا حديث لهم عنها.

(١) سورة طه / ١٠٨.

﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

أي فمن طلب ما بعد ذلك.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

ومعنى ﴿العادون﴾ الجائرون الظالمون الذين قد تعدوا في الظلم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾.

ويقرا لأمانتهم واحداً وجمعاً.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يقومون على حفظ أماناتهم وعهدهم، يرعون ذلك، وأصل الرعي في اللغة القيام على إصلاح ما يتولاه الراعي من كل شيء، تقول: الإمام يرعى رعيته، والقائم بالغنم يرعى غنمه، وفلان يرعى ما بينه وبين فلان، أي يقوم على إصلاح ما بينه وبينه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾. وصلواتهم يقرأ أن جميعاً.

﴿يُحَافِظُونَ﴾.

معناه يصلونها لوقتها، والمحافظة على الصلوات أن تصلّى في أوقاتها. فاما الترك فداخل في باب الخروج عن الدين. والذين وُصفوا بالمحافظة هم الذين يرعون أوقاتها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.

أي من وصف بما جرى من الإيمان والعمل بما يلزم المؤمن أولئك هم الوارثون.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾.

روي ان الله - جل ثناؤه - جعل لكل امرئ بيتاً في الجنة وبيتاً في النار فمن عمل عمل أهل النار ورث بيته من الجنة من عمل عمل أهل الجنة، ومن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته من النار من عمل عمل أهل النار، والفردوس أصله رومي أعرب وهو البستان، كذلك جاء في التفسير. وقد قيل إن الفردوس يعرفه العرب، ويسمى الموضع الذي فيه كرم فردوساً.

قال أبو إسحاق: روي عن أحمد بن حنبل رحمه الله في كتابه «كتاب التفسير»، وهو ما أجاز له عبد الله ابنه عنه أن الله عز وجل، بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل جبالها المسك الأذفر. وروينا عن غيره أن الله - جل ثناؤه - كنس جنة الفردوس بيده، وبنائها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى^(١)، وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الریحان.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾.

سُلالة فعالة. فخلق الله آدم - عليه السلام - من طين.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾.

على هذا القول يعني ولد آدم. وقيل من سُلالة من طين، من مني آدم ﷺ وسُلالة: القليل فيما ينسل. وكل مبني على فعالة، يراد به القليل. فمن ذلك الفضالة والنخالة والقلامة. فعلى هذا قياسه.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ وتقرأ على أربعة أوجه أحدها ما ذكرنا. وتقرأ: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ويققرأ: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ويققرأ: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾. والتوحيد والجمع ههنا جائزان، لأنه يعلم أن الانسان ذو عظام، فإذا ذُكِرَ على التوحيد فإنه يدل على

(١) مصفى، لا تراب فيه.

الجمع، ولأنه معه اللحم، ولفظه لفظ الواحد، فقد عُلِمَ أَنَّ الْعَظْمَ يُرَادُ بِهِ الْعِظَامُ. وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليل على الجمع ما هو أشد من هذا قال الشاعر:

في حلقكم عظم وقد شجينا^(١)

يريد في حلوكم عظام.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال: قيل جُعِلَ ذكراً أو أنثى، وقيل نفخ فيه الروح، وقيل أُنبِتَ عليه الشعر.

ويروى أن عمر كان عند رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية، فقال عمر: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فقال ﷺ لعمر ان الله قد ختم بها الآية.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

ويجوز لمائتون، ويجوز لميتون. وأجودها لميتون، وعليها القراءة. وجاءت مائتون لأنها لما يستقبل.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾.

يُعْنَى به سبع سموات، فكل واحدة طريقة.

﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، أي لم نكن لنغفل عن حفظهن، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٢). وجائز أن يكون ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أي إنا لِحَفِظْنَا إِيَّاهُمْ خلقنا هذا الخلق^(٣).

(١) تقدم ح ٨٣/١.

(٢) سورة الأنبياء / ٣٢.

(٣) على أن المراد بالخلق في الآية بنو آدم، وهذه الأشياء خلقت لأجلهم كقوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾.

ويروى أن أربعة أنهار من الجنة، دجلة والفرات وسيحان وجيحان، ومعنى فاسكنناه في الأرض جعلناه ثابتاً فيها لا يزول.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾.

﴿شجرة﴾ منصوب، عطف على قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ﴾ [أي] وأنشأنا لكم به شجرة. ويقرأ ﴿من طور سَيْنَاءَ﴾ بفتح السين، وبكسر السين، والطور الجبل، وقيل إن سيناء حجارة، وهو - والله أعلم - اسمٌ لمكانٍ. فمن قال سَيْنَاءَ، فهو على وصف صحراء، لا ينصرف، ومن قال سَيْنَاءَ - بكسر السين - فليس في الكلام على وزن فِعْلَاءَ على أن الألف للتأنيث، لأنه ليس في الكلام ما فيه ألف التأنيث على وزن فِعْلَاءَ، وفي الكلام نحو عِلْبَاءٍ مُنْصَرِفٌ، إلا أن سَيْنَاءَ ههنا اسم للبقعة فلا ينصرف.

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ﴾.

يقال نبت الشجر وأنبت في معنى واحد، قال زهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البَقْلُ^(١)

ومعنى ﴿تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ﴾ أي تنبت وفيها دُهْنٌ وَمَعَهَا دُهْنٌ كما تقول: جاءني زيد بالسيف، تريد جاءني ومعه السيف.

وقوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾.

(١) من لاميته المعروفة انظر اللسان (نبت شهب) وقبله.

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ونال كرام المال في الحجرة الأكل
والسنة الشهباء المجدة التي لا مطر فيها، وقيل البيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات وكرام المال
- الأبل الكريمة - ينالها الأكل أي تنحر لعدم اللبن بها - والحجرة: السنة الشديدة. شاهد
الانصاف ٩٨ - والقصيدة في الديوان. وانظر اللسان (سبت).

يعنى بها الزَّيْتُون .

قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾ .

جنة في معنى جُنُون ، والجنة اسم للجن .

وقوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً﴾ .

تقرأ مُنزَلاً وَمُنزِلاً جميعاً ، فالمنزّل اسم لكل ما نزلت فيه ، والمنزّل المصدر بمعنى الانزال ، يَقُول : أَنْزَلْتُهُ إِنْزَالاً وَمُنزَلاً ويجوز مُنزَلاً ، ولم يقرأ بها - فلا تقرأ بها - على معنى نزلت نزولاً وَمُنزَلاً .

وقوله عز وجل : ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ - وَمِتُّمْ - وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ . هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ .

وهذا جوابُ المَلَأَ مِنْ قَوْمٍ ثَمُودَ . فَأَمَّا «أَنْكُمْ» الأولى ، فموضعها نصب على معنى أَيَعِدْكُمْ بِأَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ ، وموضع «أَنْ» الثانية عند قوم كموضع الأولى ، وإنما ذُكِرَتْ تَوْكِيداً . فالمعنى على هذا القول : أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ إِذَا مِتُّمْ ، فلما بَعْدَ مَا يَبَيِّنُ أَنَّ الأولى والثانية بقوله : ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً﴾ أُعِيدَ ذِكْرُ «أَنْ» كما قال عز وجل : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (١) المعنى فله نار جهنم . هذا على مذهب سيبويه ، وفيها قولان آخران أجودهما أن تكون أن الثانية وما عملت فيه في موضع رفع ويكون المعنى أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِيخْرَاجَكُمْ إِذَا مِتُّمْ (٢) . فيكون انكم مخرجون في معنى إِيخْرَاجَكُمْ ، كانه قيل : أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِيخْرَاجَكُمْ وقت موتكم وبعد موتكم ، ويكون العامل في «إِذَا» إِيخْرَاجَكُمْ ، على أن «إِذَا» ظرف ، والمعنى أَنْكُمْ يَكُونُ إِيخْرَاجَكُمْ إِذَا مِتُّمْ . الثالث أن يكون إِذَا العامل فيها «مِتُّمْ» ، فيكون المعنى إِنَّكُمْ

(١) سورة التوبة الآية ٦٣ .

(٢) لا بد من تقدير خبر - مثل إِيخْرَاجَكُمْ حادث أو واقع أو محقق .

متى مُتَمَّ يَقع إخراجُكم، فيكون خبر إن مُضْمَرًا، والقولان الأولان جَيِّدان.

ويجوزُ: أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمُ أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ، ولم يُقْرَأَ بِهَا فلا تقرأن بها. ويكونُ^(١) المعنى في يعدكم يقول لكم^(٢) ولكنها لا تجوز في القراءة لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

يقرأ بفتح التاء وبكسر التاء، ويجوز هِيَاتٍ هِيَاتٍ - بالتنوين - ويجوز هِيَاتًا هِيَاتًا، فأما الفتح والكسر بغير تنوين فكثيرتان في القراءة، وذكرهما القراء والنحويون، وقد قرئت بالكسر والتنوين، فأما التنوين والفتح فلا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهِمَا^(٣)، فلا تقرأن بِهَا.

فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء. تقول هِيَاهُ هِيَاهُ - إذا فتحت ووقفت بَعْدَ الفتح، فإذا فتحت وَقَفْتَ على التاء سواءً عليك كُنْتَ تَنَوَّنُ في الأصل أو كنت مِمَّنْ لَا يَنَوَّنُ.

فمن فتحها - وموضعها الرِّفْعُ وتأويلها البعد لما توعدون - فلأنها بمنزلة الأصوات، وليست مشتقةً من فِعْلٍ قَبِنَيْتُ هِيَاهُ كما بُنِيَتْ ذِيَهُ وَذِيَهُ^(٤). فإذا كَسَرْتَ جَعَلْتَهَا جَمْعًا وَبَنَيْتَهَا على الكسر. قال سيبويه: هي بمنزلة علقاه^(٥). يعني في تأنيثها.

ومن جَعَلَهَا جَمْعًا فهي بمنزلة قول العرب: استأصل الله عَرَقاتِهِمْ^(٦)

(١) في الأصل ويقول.

(٢) أي لأنها بمعنى «قال» كسرت إن بَعْدَهَا.

(٣) أي بالتنوين والفتح. وقوله فلا تقرأن بها أي بهذه القراءة.

(٤) يقولون ما بها ذِيَهُ أي ما بها قُرٌّ.

(٥) مفرد علقى، وهي اشجار تدوم خضرتها في القبط، ذات أفنان طوال.

(٦) العَرَاقَةُ والعَرَاقَةُ - بضم العين وبالراء المهملة - النطفة من الماء والمطرة الغزيرة.

وَعَرَفَاتُهُمْ. فالذي يقول: عَرَافَتُهُمْ - بالكسر^(١)، جعلها جمعاً، وواحدها كأنه عَرَفَةٌ وَعَرَقٌ، وواحد هيهات على هذا اللفظ وإن لم يكن حاله واحداً: ^(٢)هَيْهَةٌ. فإن هذا تقديره - وإن لم ننطق به. وأما عَرَافَاتٌ فقد تكلم بِوَاحِدِهَا. يقال عرق وعرقاة وعَرَفَةٌ وَعَرَقَانٌ. وإنما كُسِرَ في الْجَمْعِ لأنَّ تاء الفتح في الجمع كسر تقول: مررت بالهنداتِ، وكذلك رأيتُ الهنداتِ.

ويقال أَيَّهَاتُ في معنى هيهات. ويقال هيهات ما قلتُ وهيهات لما قُلْتُ، فمن قال هيهات ما قلتُ فمعناه البعد ما قلتُ، ومن قال: هيهات لما قلتُ فمعناه البعد لقولك، وأنشدوا:

فأيهات أيهات العقيق ومن به وأيّهات خل بالعقيق نواصله^(٣)
فأماً مَنْ نَوَّنَ هيهات فجعلها نكرة، ويكون المعنى: بُعْدُ لِمَا تُوعِدُونَ.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾.

معناه عَنْ قَلِيلٍ، و«مَا» زائدة بمعنى التوكيد، كأن مَعْنَاهُ: عَنْ قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ حَقًّا.

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾.

الغُثَاءُ الهالكُ والبالي من وَرَقِ الشَّجَرِ الذي إذا جرى السيلُ رأيتَه مُخَالِطاً زَبَدَهُ.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾.

ويقرأ تَتْرَى، ويجوز تَتْرِي غير مُنَوَّنَةٍ بالكسر^(٤)، ولم يُقْرَأْ بِهِ فلا تَقْرَأَنَّ

(١) بالكسر مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل واحد.

(٣) لجريز - يروى بالهمزة وبالهاء. والبيت في معاني الفراء ٢/٢٣٤. شواهد شذور الذهب ١٢٣.

(٤) بالامالة.

بِهِ. من قرأ بالتنون فمعناه وَتَرَأْ فَأَبْدَلِ التَّاءَ من الواو كما قالوا تَوَلَّجَ وهو من وَلَجَ، وأصله وَوَلَجَ، وكما قَالَ الشَّاعِرُ.

فإن يكن أَمْسَى الْبَلَى تَيَقُّورِي^(١)

أَي وَيَقُورِي، وهو فيعول من الوقار. وكما قالوا: تُجَاهَ وَإِنَّمَا هُوَ وَجَاهَ من المُوَاجِهَةِ، ومن قال تَتْرَى بغير تنوينٍ فإنما جعلها على فَعْلَى بِأَلْفِ التَّائِيثِ فلم يَنْوَن، ومعنى تَتْرَى من المَوَاتَرَةِ، وقال الأصمعي معنى وَاتَرْتُ الْخَبَرَ اتبعت بَعْضَهُ بَعْضاً وبين الخبرين هُنِيَّةٌ. وقال غيره: المَوَاتَرَةُ المتابعة، وأصل كل هذا من الوتر، وهو الْفَرْدُ، وهو أَنْ جَعَلْتَ كُلَّ وَاحِدٍ بعد صاحبه فَرْدًا فَرْدًا.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾.

ولم يقل آيتين، لأن المعنى فيهما آية واحدة، ولو قيل آيتين لجاز لأنهما قد كان في كل واحد منهما ما لم يكن في ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، مِنْ أَنْ مَرْيَمَ وَلَدَتْ من غير فَحْلٍ، ولأن عيسى روح من الله ألقاه إلى مَرْيَمَ ولم يكن هذا في ولد قط.

وقوله: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ﴾.

في ربوة ثلاث لغات رُبُوعٌ، ورِبُوعٌ، ورُبُوعٌ، وفيها وجهان آخران، رِبَاوَةٌ، ورِبَاوَةٌ. وهو عند أهل اللغة المكان المرتفع وجاء في التفسير أنه يعني بربوة هَنا بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وأنه كَبِدُ الْأَرْضِ وأنه أقرب الأرض إلى السماء. وقيل يعني به دِمَشْقُ، وقيل فلسطينُ وَالرَّحْلَةُ، وكل ذلك قد جاء في التفسير.

وقوله عز وجل: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

(١) التيقور فيعول من الوقار - يقال: وقر يقر وقاراً - كوعد وقيل التيقور هو التوقيير - وبيقوري في البيت مضاف لياء المتكلم انظر اللسان (وقر).

أي ذات مُسْتَقَرٍّ، و «مَعِينٌ» ماء جَارٍ من العُيُونِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ يجوز أن يكون «فَعِيلًا»^(١) من المَعْنِ، مشتقاً من المَاعُونِ . وهذا بَعِيدٌ لأنَّ المَعْنِ في اللغة الشيء القليل، والمَاعُونُ هُوَ الزَّكَاةُ، وهو فاعول من المَعْنِ، وإنما سُمِّيَتِ الزَّكَاةُ بالشيء القليل، لأنه يُؤْخَذُ مِنَ المَالِ رُبْعَ عَشْرِهِ، فهو قليل من كثير، قال الراعي :

قوم على الاسلام لَمَا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُدْلُوا التَّنْزِيلَ^(٢)
وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ .

أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حلالٍ مُسْتَطَابٍ فهو داخل في هذا .
وإنما خُوطِبَ بهذا رسول الله ﷺ فقيل : يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ، وَتَضَمَّنَ هَذَا الْخُطَابُ
أن الرُّسُلَ جَمِيعاً كذا أَمَرُوا . وَرَوَى أن عيسى عليه السلام كان يأكل مِنْ غَزَلِ
أُمِّهِ، وَأَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ الْغَنَائِمُ .

وقوله : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ .
أي فاتَّقونَ لِهَذَا . وقد فسرنا في سورة الأنبياء كل ما يجوز في نظير هذه
الآية .

وجملة تأويلها أن دينَكُمْ دِينٌ واحد، وهو الاسلام .
وأعلم الله - عز وجل - أَنَّ قَوْماً جعلوا دينهم أدياناً فقال :
﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ .

(١) في الأصل فَعِيل .

(٢) من لاميته بآخر ديوان جرير ط مصر . وهي لاميته المطولة التي قدمها لعبد الملك - وفيها تبرأ من أشياء كثيرة مثل اتباعه ابن الزبير أو الانحراف عن الاسلام في شيء، وتقدمت أبيات منها .

ويقرأ زُبْرًا، فمن قرأ زُبْرًا فتأويله جعلوا دينهم كُتْبًا مُخْتَلَفَةً جمع زُبُورٍ
وَزُبُرٍ، ومن قرأ زُبْرًا أراد قِطْعًا.

وقوله عز وجل: ﴿فَذَرْنَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

ويجوز في غَمَرَاتِهِمْ، ومعناه في عَمَائَتِهِمْ وَخَيْرَتِهِمْ.

ومعنى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

أي إلى حين يأتيهم ما وَعِدُوا به من الْعَذَابِ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ - بالنون - وَيُسَارِعُ - بالياء - وَيُسَارِعُ على ما لم يُسَمِّ فاعله.

وتأويله أيحسبون أن إِمْدَادَ اللَّهِ لَهُمْ بالمال والبنين مجازاة لَهُمْ؟ وإنما هو استدراج من الله لهم، و«ما» في معنى الذي، المعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به من مال وبنين. والخبر معه محذوف^(١) المعنى يسارع لهم به في الخيرات، أي أيحسبون إِمْدَادَ ما يُسَارِعُ لَهُمْ به. فأما من قرأ يسارع فعلى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا لا يحتاج إلى اضممار، المعنى: أيحسبون أن إِمْدَادَنَا لَهُمْ يسارع لهم في الخيرات، ويجوز أن يكون على معنى يسارع الله لهم به في الخيرات، فيكون مثل نُسَارِعُ، ومن قرأ يسارع لهم في الخيرات يكون على معنى يُسَارِعُ الإِمْدَادُ لَهُمْ في الخيرات وعلى معنى نُسَارِعُ لهم في الخيرات، فيكون تقوم مقام مَا لَمْ يُسَمِّ لَهُمْ، ويكون مضمراً معه به. كما قلنا:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]﴾.

ويقرأ يَأْتُونَ مَا آتَوْا - بِالْقَصْرِ^(٢) - وكلاهما جَيِّدٌ بِالْفَتْحِ، فمن قرأ «يُؤْتُونَ

(١) العائد على الخبر مقدر.

(٢) في الأصل قصر.

مَا آتَوْا فَإِنْ مَعْنَاهُ يَعْطُونَ مَا أَعْطَوْا وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَا يَتَقَبَّلُ مِنْهُمْ . قُلُوبُهُمْ خَائِفَةٌ لَأَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ، أَي لَأَنَّهُمْ يَوْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

وَمَنْ قَرَأَ «يَأْتُونَ مَا آتَوْا» أَي يَعْمَلُونَ مِنَ الْخَيْرَاتِ [مَا يَعْمَلُونَ] وَقُلُوبُهُمْ خَائِفَةٌ . يَخَافُونَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ اجْتِهَادِهِمْ مُقْصِرِينَ .

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ .

وَجَائِزُ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَمَعْنَاهُ مَعْنَى يُسَارِعُونَ . يُقَالُ اسْرَعْتَ ، وَسَارَعْتُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنْ سَارَعْتَ أَبْلَغَ مِنْ اسْرَعْتُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ .

فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا مَعْنَاهُ إِلَيْهَا سَابِقُونَ ، كَمَا قَالَ : بِأَنْ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ، أَي أَوْحَى إِلَيْهَا ، وَبِجُوزٍ : ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ أَي مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهَا ، كَمَا يَقُولُ : أَنَا أَكْرَمُ فَلَانًا لَكَ ، أَي مِنْ أَجْلِكَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

وَبِجُوزٍ : وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَلَمْ يَقْرَأْ بِهَا وَلَوْ قَرِئَ بِهَا لَكَانَتِ النَّونُ أَجُودَ - لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ .

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «هَذَا» إِشَارَةً إِلَى مَا وَصَفَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ «يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»^(١) .

أَي قُلُوبُ هَؤُلَاءِ فِي عَمَايَةٍ مِنْ هَذَا ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ «هَذَا» إِشَارَةً إِلَى

(١) بعده : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ .

الكتاب، المعنى بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطقُ بالحق، وأعمالهم مُحَصَّاةٌ فيه.

قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾.

أخبر الله - عز وجل - بما سيكون فيهم، فأعلم أنهم سيعملون أعمالاً تباعد من الله غير الأعمال التي ذكروا بها.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [أي] يضجُّون، والعذاب الذي أَخَذُوا بِهِ السَّيْفُ، يقال جَارٌ يَجَارُ جُورًا، إِذَا ضَجَّ.

وقوله: ﴿تَنكِصُونَ﴾ [أي] تَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾.

منصوب على الحال، وقوله «به» أي باليِّتِ الحرام، يقولون: اليِّتُ لَنَا.

وقوله: ﴿سَامِرًا﴾.

بمعنى «سُمَارًا» ويجوز سُمَارًا، والسَّامِرُ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ لَيْلًا، وإنما سُمُوا سُمَارًا مِنَ السَّمَرِ، وهو ظل القمر، وكذلك^(١) السُّمَرَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا.

وقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

أي تَهْجُرُونَ الْقُرْآنَ، ويجوز تَهْجُرُونَ: تَهْذُونَ. وَقُرِئَتْ: تَهْجُرُونَ أَي تَقُولُونَ الْهَجَرَ، وقيل كانوا يسبون النبي ﷺ. ويجوز أن تكون الهاء للكتاب، وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِالْكِتَابِ. أي يحدث

(١) في الأصل وكذلك من السُّمَرَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا.

لكم بتلاوته عَلَيْكُمْ اسْتِكْبَارٌ، ويجوز تَنْكُصُونَ، وَلَا أَعْلَمُ [أَحَدًا] قرأ بها.

وقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

جَاءَ فِي التفسير أن الحق [هو] الله - عز وجل - ويجوز أن يكون الحق الأول في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [التنزيل] أي بالتنزيل الذي هُوَ الْحَقُّ، ويكون تأويل: ولو اتَّبَعَ الحق أَهْوَاءَهُمْ. أي لو كان التنزيل بِمَا يُجِبُونَ لَفَسَدَتِ السمواتُ والأَرْضُ.

وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾.

أي بما فيه فخرهم وشرَفَهُمْ، ويجوز أن يكون بذكرهم، أي بالذكر الذي فيه حظ لهم لو اتَّبَعُوهُ.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.

أي أم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً. ويقرأ: ﴿خَرَجًا فَخَرَجَ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾. ويجوز كخرجا فخرج رَبِّكَ خَيْرٌ.

وقوله: ﴿لَنَّاكِبُونَ﴾.

معناه لَعَادِلُونَ عن الْقَصْدِ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. أي ما تواضعوا. والذي أَخَذُوا به الْجُوعُ.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

قيل السَّيْفُ والقتل.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

المبلس الساكن المتحير.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

هذه لله لا اختلاف بين القراء فيها، ولو قرئت الله لَكَانَ جَيِّدًا. فاما اللتان بعدها فالقراءة فيهما سيقولون الله ولله. فمن قرأ سيقولون الله فهو على جواب السؤال، إذا قال: ﴿من رب السموات السبع﴾، فالجواب الله، وهي قراءة أهل البصرة، ومن قرأ لله فَجَيِّدٌ أَيْضًا، لو قيل مَنْ صَاحِبُ هذه الدار فأجيب زيدٌ لكان هذا جواباً على لفظ السؤال. وَلَوْ قُلْتَ في جواب من صاحب هذه الدار: لَزَيْدٍ، جاز. لأن معنى «من صاحب هذه الدار» - لمن هذه الدار.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

أي هُوَ يُجِيرُ من عَذَابِهِ وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ من عَذَابِهِ. وكذلك هُوَ يُجِيرُ من خلقه وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

وقوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾.

معنى تُسْحَرُونَ، وَتُؤَفَّكُونَ: تصرفون عن القصد والحق.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نُلْهِمُ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

أي طلب بعضهم مغالبة بعض.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

معناه تنزيه الله وتبرئته من السوء، ومن أن يكون إلهٌ غَيْرُهُ تعالى عَنْ ذَلِكَ عُلُوقًا كَبِيرًا.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا نُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ، رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾.

السَّاءُ جَوَابُ الشَّرْطِ شَرْطُ الْجَزَاءِ، وَهُوَ^(١) اعْتِرَاضُ بَيْنِ الشَّرْطِ
وَالْجَزَاءِ، الْمَعْنَى إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ فَلَا تَجْعَلْنِي يَا رَبِّ فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ، أَيْ إِنْ نَزَلَتْ بِهِمُ النِّقْمَةُ يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي خَارِجاً عَنْهُمْ، وَيَجُوزُ «فَلَا
تَجْعَلْنِي»، وَلَمْ يَقْرَأْ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

وَاحِدُ الْهَمَزَاتِ هَمَزَةٌ، وَهُوَ مَسُّ الشَّيْطَانِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَزْعَاتِ
الشَّيْطَانِ، وَنَزْعُ الشَّيْطَانِ وَسْوَستُهُ حَتَّى يَشْغَلَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

وَيَجُوزُ «وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونِ» وَلَمْ يَقْرَأْ بِهَا فَلَا تَقْرَأَنَّ بِهَا. وَيَجُوزُ
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضُرُونِ، وَيَجُوزُ رَبِّي. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَقْرَأَ إِلَّا بِوَاحِدٍ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ. رَبِّ يَكْسِرُ الْبَاءَ وَحَذَفِ الْيَاءَ، وَالْيَاءُ
حُذِفَتْ لِلْيَدَاءِ، وَالْمَعْنَى وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ. مِنْ قَالَ رَبُّ بِالضَّمِّ فَعَلَى^(٢) مَعْنَى
يَا أَيُّهَا الرَّبُّ وَمَنْ قَالَ رَبِّي فَعَلَى الْأَصْلِ. كَمَا قَالَ يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾.

يَعْنِي بِهِ الَّذِينَ ذَكَرُوا قَبْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَدَفَعُوا^(٣) الْبَعْثَ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴿قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَرْجِعُونِ﴾ وَهُوَ يَرِيدُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَحْدَهُ، فَجَاءَ الْخَطَابُ فِي
الْمَسْأَلَةِ عَلَى لَفْظِ الْأَخْبَارِ^(٤) لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي وَنُمِيتُ﴾.

(١) أَيْ لَفْظُ الْجَلَالَةِ «رَبِّ» نَدَاءٌ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَزَائِهِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ عَلَى.

(٣) أَنْكَرُوهُ.

(٤) بَلْفِظِ الْجَمَاعَةِ - وَالْجُمْلَةُ لَيْسَتْ خَيْرًا إِذَا هِيَ دَعَاءٌ.

وهو وَحْدَهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ. وهذا لفظ تعرفه الْعَرَبُ للجليل الشأن يخبر عن نفسه بما يخبر به الجماعة، فَكَذَلِكَ جاء الخطاب في ارْجِعُونِ.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبية.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

«يوم» مضاف إلى «يُبْعَثُونَ» لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال والبرزخ في اللغة الحاجز، وهو ههنا ما بَيْنَ موت الميت وبعثه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قيل: هذا في النفخة الأولى ويجوز أن يكون بعد النفخة الثانية والصور، جاء في التفسير أنه قَرُنٌ ينفخ فيه فيبعث الناس في النفخة الثانية، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١). وقال أهل اللغة كثير منهم: الصور جَمْعُ صُورَةٍ، والذي جاء في اللُّغَةِ جمع صورة صُورٌ، وكذلك جاء في القرآن: ﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾^(٢)، ولم يقرأ أحدٌ فأحسن صُوركم، ولو كان أيضاً جمع صُورَةٍ لقال أيضاً: ثم نُفِخَ فِيهَا أُخْرَى، لأنك تقول: هذه صُور، ولا تقول هذا صُورٌ إلا على ضَعْفٍ فهو على مَا جَاءَ في التفسير.

فأما قوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٣) وقال في موضع آخر ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٤) فيقول القائل: كيف جاء «ولا يتساءلون»، وجاء «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون». فإن يوم القيامة مقداره خمسون

(١) سورة الزمر الآية ٦٨.

(٢) هذا رأي أبي عبيدة وحده.

(٣) سورة الصافات الآية ٢٤.

(٤) سورة الصافات الآية ٢٧.

ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال. وإنما قيل يومئذ كما تقول: نحن اليوم بفعل كذا وكذا، وليس تريد به في يومك إنما تريد نحن في هذا الزمان، «فيوم» تقع للقطعة من الزمان. وأما ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(١). فلا يسأل عن ذنبه ليستفهم، قد علم الله عز وجل ما سلف منهم. وأما قوله: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ فيسألون سؤال توبيخ لا سؤال استيفهام كما قال: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢)، وإنما تسأل لتوبيخ من قتلها، وكذلك قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣). فما يسأل عنه يوم القيامة تقرير وتوبيخ، والله - عز وجل - قد علم ما كان، وأحصى كبير ذلك وصغيره.

وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾.

يلفح وينفح في معنى واحد، إلا أن اللفح أعظم تأثيراً، وهم فيها كالْحُونِ.

والكالح الذي قد تشمرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى من رؤوس الغنم^(٤) إذا مسستها النار فبرزت الاسنان وتشمرت الشفاه

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

وتقرأ شقاوتنا، والمعنى واحد.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾.

أقروا بذلك.

(١) سورة الرحمن ٣٩.

(٢) سورة التكوين الآية ٨ و ٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٤) الرؤوس المذبوحة التي تطبخ.

وقوله: ﴿قَالَ اخْسَءُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

معنى اخْسَءُوا تَبَاعَدُوا تَبَاعَدَ سُخِطَ. يقال خَسَأَتِ الْكَلْبُ أَخْسُوهُ إِذَا زَجَرْتُهُ لِيَتَبَاعَدَ.

وقوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾.

الأجود إدغام الدال في التاء لِقُرْبِ الْمَخْرَجَيْنِ^(١)، وإن شئت أظهرت، لأن الدال من كلمة والتاء مِنْ كلمة، والدال بينها وبين التاء في المخرج شيء مِنَ التَّبَاعُدِ، وليست الدال من التاء بمنزلة الدال من التاء. والتاء والطاء مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وهي من أَصُولِ الثَّنَائَا الْعُلَا وطرف اللِّسَانِ. والدال من أطراف الثَّنَائَا الْعُلَا وَدُونِ طَرَفِ اللِّسَانِ.

وقوله: ﴿سُخْرِيًّا﴾. يقرأ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وكلاهما جَيِّدٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ اللُّغَةِ قَالَ: مَا كَانَ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ فَهُوَ بِالْكَسْرِ، وَمَا كَانَ مِنْ جِهَةِ التَّسْخِيرِ فَهُوَ بِالضَّمِّ، وكلاهما عند سيبويه والخليل وَاحِدٌ، والكسر لإِتِّبَاعِ الْكَسْرِ أَحْسَنُ^(٢).

وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

الكسر أجود لأن الكسر على معنى إِنِّي جَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبَرُوا، ثم أَخْبِر فَقَالَ: إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ: وَالْفَتْحُ جَيِّدٌ بَالِغٌ، على معنى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمْ﴾ لَأَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ، وفيه وجه آخر: يَكُونُ الْمَعْنَى جَزَيْتُهُمُ الْفَوْزَ، لَأَنَّ مَعْنَى ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. فَوْزُهُمْ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى جَزَيْتُهُمْ فَوْزَهُمْ.

وقوله: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

(١) لا تقرأ «فاتتختموهم». لأن الدال لا تدغم - كما تدغم الدال - في التاء.

(٢) كسر السين في سخرى لإِتِّبَاعِ الرَّاءِ.

«كم» في موضع نصب بقوله: ﴿لَيْتُمْ﴾، و﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ منصوب بكم، ويجوز كم لَيْتُمْ في الأرض مُشَدَّدُ التَّاءِ^(١)، وكذلك يجوز في الجواب.

﴿قَالُوا لَيْتَنَا [يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ]﴾ ﴿وَلَيْتَنَا﴾.

وقوله: ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾.

أي فاسأل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لَيْتَنَا.

﴿قَالَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

معناه ما لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا.

وقوله: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ وَتَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

التأويل حسابه عند رَبِّهِ فإنه لا يفلح الكافرون والمعنى الذي له عند رَبِّهِ أنه لا يفلح^(٢)، وجائز أنه لا يفلح الكافرون بفتح أن، ويجوز أن يكون فأنما حِسَابُهُ عند رَبِّهِ فيجازه عليه كما قال: ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾^(٣).

(١) جعلت التاء تاء وأدغمت التاء في التاء.

(٢) لا يستقيم هذا مع كسر أن إذ هي في موقع الخبر.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٦.

سُورَةُ النُّورِ مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾.

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بن عُمر سورة بالنصب. فاما الرفع فعلى إضمار هذه سورة أنزلناها، ورفعها بالابتداء قبيح لأنها نكرة، وأنزلناها صفة لها. والنصب على وجهين، على معنى أنزلنا سورة، كما تقول زيدا ضربته، وعلى معنى أتلى سورة أنزلناها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء، فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمتكم العمل بما فرض فيها، ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين، أحدهما على معنى التكثير، على معنى انا فرضنا فيها فروضاً كثيرة وعلى معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بن عُمر بالنصب، الزانية والزاني بفتح الهاء. وزعم الخليل وسيبويه أن النصب المختار وزعم سيبويه أن القراءة الرفع. وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفع، وكذا هو عندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهو أقوى في العربية، لأن معناها معنى من زنى

فاجلدوه، فتأويله الابتداء، وقال سيويه والخليل أن الرفع على معنى: «وَمَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمُ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِيَ» - بالرفع - أو الزانية والزاني فيما فُرضَ عَلَيْكُم، والدليل على ان الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُم فَأَذُوهُمَا﴾^(١)، وإنما اختار الخليل وسيويه النَّصْبَ لأنه أَمْرٌ، وَأَنَّ الأَمْرَ بالفعل أولى. والنصب جائز على معنى اجلدوا الزانية والزاني.

والاجماع أن الجَلْدَ على غير المحصنين، يجلد غير المحصن وغير الْمُحْصَنَةِ مائة جلدة، وينفى مَعَ الْجَلْدِ في قول كثير من الفقهاء^(٢)، يجلد مائة وَيُغْرَبُ عَامًا. فأما أهل العراق فيجلدونه مائة.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.

وتقرأ رَأْفَةً في دين الله على وزن رَعَاةٍ، وتقرأ يأخذكم بالياء، ورأفة مثل السَّامَةِ مثل قولك سئمت سَامَةً، ومثله كآبة ففعاله من أسماء المَصَادِرِ، وسَامَةٌ على قياس كَلَالَةٍ.

وَفَعَالَةٌ في الخِصَالِ مثل الْقَبَاحَةِ - وَالْمَلَاةِ والفخامة. وهذا يكثر جدًا، ومعنى ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، لَا تَرْحَمُوهُمَا فَتُسْقِطُوا عَنْهَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَدِّ، وقيل يبالغ في جلدِهِمَا.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

القراءة إِسْكَانُ اللام، ويجوز كسرهما.

واختلف الناس في الطائفة، فقال بعضهم الواحد فما فوقه طائفة، وقال آخرون لا تكون الطائفة أقل من اثنين، وقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أَرْبَعَةٌ، وقال بعضهم عَشْرَةٌ، فأما من قال واحد فهو على غير ما عند أهل

(٢) أي يغرب، ويبعد عن بلده.

(١) سورة النساء الآية ١٦.

اللغة، لأن الطائفة في معنى الجماعة وأقل الجماعة اثنان، وأقل ما يجب في الطائفة عِنْدِي اثنان. والذي ينبغي أن يُتَحَرَّى في شَهَادَةِ عَذَابِ الزَّانِي أَنْ يكونوا جَمَاعَةً لأن الأغلب على الطائفة الجَمَاعَةُ.

وقوله: ﴿لَزَانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

ويجوز الزاني لا يُنْكَحُ إِلَّا زَانِيَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ ولم يقرأ بها. وتأويل «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً» على معنى لا يتزوّج، وكذلك الزانية لا يتزوّجها إِلَّا زَانٍ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ مَعْنَى النِّكَاحِ ههنا الوَطْءُ، فالمعنى عندهم الزاني لَا يَطَأُ إِلَّا زَانِيَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَطُوهَا إِلَّا زَانٍ. وهذا القول يَبْغِدُ، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إِلَّا على معنى التزويج، قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾^(١)، فهذا تزويجٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وقال الله، عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾^(٢). فاعلم عز وجل أن عقد التزويج يُسَمَّى النِّكَاحُ.

وَأَكْثَرُ التفسير أن هذه الآية نزلت في قومٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فقراء كانوا بِالْمَدِينَةِ، فَهَمُّوا بِأَنْ يَتَزَوَّجُوا بِبَغَايَا كُنَّ بِالْمَدِينَةِ - يَزْنِينَ، وَيَأْخُذْنَ^(٣) الْأَجْرَةَ، فَأَرَادُوا التَّزْوِيجَ بِهِنَّ لِيعْلَنَهُمْ^(٤)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل تَحْرِيمَ ذَلِكَ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُسَامِحُوهُنَّ، فَأَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ.

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

(٣) في الأصل ويأخذون الأجرة وهو خطأ.

(٤) كتبت في الأصل ليعلنهن، وأشير في الهامش إلى «ليعلنهم» والظاهر أن البغايا كنَّ على ثراء وأراد هؤلاء أن يستفيدوا من ثرواتهم.

ويروى ان الحسن قال إن الزاني إذا أُقيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ لا يزوج الا بامرأة أُقِيمَ عليها الحَدُّ مِثْلُهُ، وكذلك المرأة إذا أُقيمَ عليها الحَدُّ عِنْدَهُ لا تزوج إِلَّا برجل مثلها، وقال بَعْضُهُمْ: الآية منسوخةٌ نسخها قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ...﴾^(١)، واكثر القول أن المعنى ههنا على التزويج.

ويجوز «وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» بمعنى وحرّم الله ذلك على المؤمنين، ولم يقرأ بها.

وهذا لفظه لفظ خَبَرٍ، ومعناه معنى الأمر، ولو كان على ما قال مَنْ قَالَ إنه الوَطْءُ لما كان في الكلام فائِدةٌ، لأن القائل إذا قال الزانية لا تَزْنِي إِلَّا بِزَانٍ، والزاني لا يزني الا بزانية، فليس فيه فائدة إِلَّا عَلَى جهة التغليظ في الأمر، كما تقول للرجل الذي قَدْ عَرَفْتَهُ بالكذب: هذا كذاب، تريدُ تغليظ أمره. فعلى ما فيه الفائدة وَمَا تَوَجَّهَ اللَّغَةُ أن المعنى مَعْنَى التَّزْوِيجِ.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

معنى ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [أي] بالزنا، لكنه لم يَقُلْ بِالزَّنا، لأن فيما تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الزَّانِيَةِ والزاني دليلاً على أن المعنى ذَلِكَ، وَمَوْضِعُ ﴿الَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء. وعلى قراءة عيسى بن عُمر، يجب أن يكون مَوْضِعُ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ نَصْباً على معنى اجلدوا الذين يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء. وعلى ذلك اختيار سيويه والخليل. والمحصنات ههنا: اللواتي أَحْصَنَ فُرُوجَهُنَّ بِالْعِفَّةِ.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

(١) سورة النور آية ٣٢.

اختلف الناس في قبول شهادة القاذف، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا تَابَ مِنْ قَذْفِهِ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ. ويروى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَبِلَ شَهَادَةَ قَاذِفَيْنِ، وَقَالَ لِأَبِي بَكْرَةَ إِنَّ تُبَّتَ قُبِلَتْ شَهَادَتُكَ. وتوبته أَنْ يَرْجَعَ عَنِ الْقَذْفِ. وهذا مذهب أكثر الفقهاء، وأما أَهْلُ الْعِرَاقِ فيقولون شَهَادَتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، قالوا، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قالوا: هذا الاستثناء من قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، فَاسْتُثْنِيَ النَّاسُ مِنَ الْفَاسِقِينَ. وقال من زعم أَنَّ شَهَادَتَهُ مَقْبُولَةٌ أَنَّ الاستثناء من قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا قالوا وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، صِفَةٌ لَهُمْ، وَأَجْمَعُوا أَنَّ مَنْ قَذَفَ وَهُوَ كَافِرٌ ثُمَّ أَسْلَمَ وَتَابَ، وَكَانَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ عَدْلًا قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَإِنْ كَانَ قَاذِفًا، وَالْقِيَاسُ قَبُولُ شَهَادَةِ الْقَاذِفِ إِنْ أَتَابَ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ فِي الشَّهَادَاتِ: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾^(١) فَلَيْسَ الْقَاذِفُ بِأَشَدِّ جُرْمًا مِنَ الْكَافِرِ، فَحَقُّهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ وَأَصْلَحَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَسْلَمَ وَأَصْلَحَ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ ﴿أَبَدًا﴾^(٢). قِيلَ الْفَائِدَةُ أَنَّ الْأَبَدَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَقْدَارُ مُدَّتِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَمَقْدَارُ مُدَّتِهِ فِيمَا يَتَّصِلُ بِقَصَّتِهِ. فَنَقُولُ: الْكَافِرُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا فَمَعْنَاهُ، مَا دَامَ كَافِرًا فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: الْقَاذِفُ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ شَهَادَةٌ أَبَدًا، فَمَعْنَاهُ مَا دَامَ قَاذِفًا، فَإِذَا زَالَ عَنْهُ الْكُفْرُ فَقَدْ زَالَ أَبَدُهُ وَكَذَلِكَ الْقَاذِفُ إِذَا زَالَ عَنْهُ الْقَذْفُ فَقَدْ زَالَ عَنْهُ أَبَدُهُ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ.

وَتَقْرَأُ ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾ - بِالتَّنْوِينِ - ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾، فَأَرْبَعَةٌ

(١) سورة البقرة.

(٢) أي إن كلمة أبدا تقتضي التأييد، أي نفي قبول الشهادة إلى الأبد وقد فسر الأبد بما ذكر.

مَخْفُوضَةٌ مُنَوَّنَةٌ، وَ﴿شَهَدَاءٌ﴾ صِفَةٌ لِلْأَرْبَعَةِ، فِي مَوْضِعِ جَرٍّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ مِنْ جِهَتَيْنِ، أَحَدَاهُمَا عَلَى مَعْنَى ثُمَّ لَمْ يُحْضَرُوا أَرْبَعَةً شَهَدَاءَ، وَعَلَى نَصْبِ الْحَالِ مَعَ النِّكَرَةِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا حَالِ الشَّهَادَةِ^(١).

فَأَمَّا ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ^(٢)، عَلَى مَعْنَى وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى قَوْلِهِ:

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ - إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، وَإِذَا اسْتُثْنُوا مِنَ الْفَاسِقِينَ أَيْضًا، فَقَدْ وَجِبَ قَبُولُ شَهَادَتِهِمْ لِأَنَّهُمْ قَدْ زَالَ عَنْهُمْ اسْمُ الْفِسْقِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾.

معناه والذين يرمون أزواجهم بالزنا.

وقوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

ويقرأ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ بِالنَّصْبِ، فَمَنْ قَرَأَ أَرْبَعَ بِالرَّفْعِ فَعَلَى خَبَرِ الْإِبْتِدَاءِ، الْمَعْنَى فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ الَّتِي تَدْرَأُ حَدَّ الْقَافِذِ أَرْبَعُ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

وَمِنْ نَصْبِ أَرْبَعًا فَالْمَعْنَى فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَشْهَدَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ.

(١) عَلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ زَائِدٌ وَأَرْبَعَةٌ مُضَافٌ لِتَمْيِيزِ مَحْذُوفِ أَيِّ بِأَرْبَعَةِ أَشْخَاصٍ - فَيَجُوزُ مَجِيءُ الْحَالِ مِنْهَا - وَلَا مَسَاقَ لِكُونِ الْحَالِ مِنْ وَاءِ الْجَمَاعَةِ - إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مُسْتَشْهِدِينَ، وَشَهِيدٍ غَيْرِ مُسْتَشْهِدٍ.

(٢) مِنْ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ - وَالْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ غَيْرِ الْمَوْجِبِ يَجُوزُ فِيهِ الْإِتْبَاعُ وَالنَّصْبُ.

وعلى معنى فالذي يَذَرُ عنها العَذَابُ أَنْ يَشْهَدَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ .

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ .

ويجوز والخامسة أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وكذلك والخامسة أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عليها، والخامسة جميعاً، فمن قال: والخامسة فعلى مَعْنَى وَيَشْهَدُ الْخَامِسَةُ .

فإذا قَذَفَ القاذِفُ امرأته، فشهادته أَنْ يَقُولَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي لَمِنَ
الصَّادِقِينَ فِيمَا قَذَفْتُهَا بِهِ، أو يقول: أحلف بالله إِنِّي لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا قَذَفْتُهَا
به، أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، ويقول في الخامسة لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .
وكذلك تقول المرأة: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ فِيمَا قَذَفَنِي بِهِ، أربع
مرات، وتقول في الخامسة: وَعَلَيَّ غَضَبُ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وهذا
هو اللَّعَانُ، فإذا تَلَاعَنَّا فُرِّقَ بَيْنَهُمَا، واعتدت عدة المطلقَةِ من وقتها ذلك . فإذا
فعلاً ذلك لم يَتَزَوَّجْهَا أَبَداً في قول أكثر الفقهاء من أهل الحجاز وبعض
الكوفيين يُتَابِعُهُمْ، وهو أبو يوسف، والقياس ما عليه أهل الحجاز، لأن القاذِفَ
قَذَفَهَا بِالزَّنا، فهو لا ينبغي له أن يتزوّج بزانية، وليس يظهر لهذا تَوْبَةٌ، واللَّعَانُ
لا يكون إلا بحاكم من حكام المسلمين .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ .

هنا جواب لولا متروك، والمعنى - والله أعلم - ولولا فضل الله عليكم
لنال الكاذب لما ذكرنا عذاباً عظيماً، ويدل عليه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ .

معنى الإفك هنا الكذب . وقد سَمِيَ بعضهم في الآثار، وَلَمْ يُسَمَّوْا فِي

القرآن فَمِمَّنْ سُمِّيَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(١). وَمِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ^(٢)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي^(٣). ومن النساءِ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ^(٤).

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وقيل لكم والتي قُصِدَتْ عائشة رحمها الله، فقليل لكم يعني به هي ومن بسببها^(٥) من النبي ﷺ وأبي بكر رحمه الله.

وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾.

وَيُقْرَأُ كُبْرَهُ مِنْهُمْ.

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري من بني النجار. شاعر الانصار وشاعر رسول الله ﷺ وشاعر اليمن كلها. دافع عن رسول الله ﷺ بشعره، وكان شعره اشد على القرشيين من وقع السهام، وقال له رسول الله ﷺ: اهجهم وروح القدس معك. وكان من سوء حظه أن وقع في عرض عائشة في حديث الإفك وأقيم عليه الحد وجلد وقد تبرأ من ذلك في شعر منه هذا البيت الآتي. كان حسان جباناً لم يشهد أية موقعة، وكان معمرأ عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة ٥٤ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب ٣٣٥ ج ١ والاصابة ١٧٠٤ ص ٣٢٦.

(٢) مسطح بن أثاثه. يقال ان «مسطحاً» لقبه واسمه هو عوف - وذكره ابن حجر في حرف العين باسم عوف. قرشي مطلبى وأمه قرشية تيمية هي بنت خالة أبي بكر الصديق وهي سلمى بنت صخر - وكان أبو بكر يثق عليه - وقد خاض في عرض عائشة أم المؤمنين (ض) وجلد أيضاً - انظر الاصابة ٦٠٩٠ والاستيعاب ٤٩٤ ج ٣. توفي مسطح سنة ٣٤ هـ.

(٣) رأس النفاق من أشرف قومه - اجتمعت عليه الأوس والخزرج ولم يجتمعوا على أحد منهم قبله ولا بعده - كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه، فلما ظهر الاسلام انصرفوا عنه فكان يرى أن رسول الله ﷺ استلبه ملكه ويضطغن عليه - ثم تظاهر بالاسلام - وقد هم ابنه عبد الله بقتله فمنعه رسول الله ﷺ وحديثه طويل انظر سيرة ابن هشام ٤٢٣ ج ٢ (ت محيي الدين).

(٤) هي حمنة بنت جحش الاسدية القرشية أخت عبد الله بن جحش وأم المؤمنين زينب بنت جحش وأمهم أميمة بنت عبد المطلب شهدت أحداً وكانت تسقي الجرحى. كانت زوجاً لمصعب بن عمير فقتل يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله وهي والدة محمد بن طلحة وخاضت في حديث الإفك مع من جلد في رواية من صحح الجلد. وانظر الاصابة ت ٣٠٣، والاستيعاب ٢٧٠ ج ٤.

(٥) من على صلة بها.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾..

فمن قرأ كِبْرَهُ فمعناه من تَوَلَّى الإِثْمَ في ذلك، ومن قرأ كُبْرَهُ أراد مُعْظَمَهُ.

ويروى أن حسان بن ثابت دَخَلَ عَلَى عائشة، فقليل لها أَتَدْخِلِينَ هذا الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت أَوْ لَيْسَ قَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ. ويروى أَنَّهُ أَنشدها قوله في بيته:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ وتصبح غرثي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(١)
فقالت له: لكنك لست كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

بتخفيف أَنْ وَرَفَعَ غَضَبُ عَلَى معنى أَنَّهُ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا، ويجوز أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا، وههنا «هاء» مُضْمَرَةٌ، وَأَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ. المعنى أَنَّهُ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَأَنَّهُ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا، قال الشاعر: (٢)

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يَحْفَى وَيَتَّعَلُ
وجاء في التفسير في قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
أنه يعنى به عَائِشَةُ وَصَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطِلِ^(٣)، ويجوز «لكم» في معنى

(١) البيت في اللسان (حصن). والاستيعاب ٣٤١ ج ١، وهو مع جزء من القصيدة في سيرة ابن هشام ٧٧٣ ت محيي الدين.

غرثي أي جائعة بمعنى أنها لا تفتأ بهن - والحصان هي التي أغضت نفسها بالاسلام أو الزواج أو الحرية. وتزن أي تهتم. وقولها لكنك لست كذلك - تشير به إلى أنه أعتابها ونهش عرضها.
(٢) للأعشى من قصيدته ودع هريرة. وهي في ديوانه ص ٤٣.

(٣) هو صفوان بن المعطل بن ربيعة، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وقيل قبل الخندق وشهد الغزوات بعدها. . وكان يكون على ساقه رسول الله ﷺ وكان شجاعاً جواداً - وهو الذي أودى =

«لكم»^(١)، والذي فسرناه أولاً يتضمّن أمر عائشة وصفوان والنبى ﷺ وكل من بينه وبين عائشة سبب، ويجوز أن يكون لكل من رُمي بسبب.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.

معناه هلاً إذ سمعتموه، لأن المعنى ظنّ المؤمنون بأنفسهم، في موضع الكناية عنهم وعن بعضهم، وكذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضاً أنهم يقتلون أنفسهم.

﴿وقالوا: هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، أي كذب بين.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾.

وَقُرِئَتْ: وَلَا يَتَأَلَّ أُولُو الْفَضْلِ [مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ]. ومعنى تأتلي تحلف وكذلك يتألى يحلف.

ومعنى ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾: أَنْ لَا يُؤْتُوا ﴿أُولِي الْقُرْبَى﴾، المعنى ولا يحلف أولو الفضل منكم والسعة أن لا يعطوا ﴿أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾.

ونزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وكان حلف أن لا يُفْضَلَ^(٢) على مسطح بن أثاثة، وكان ابن خالته بسبب سبه عائشة فلما نزلت: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قال أبو بكر: بلى، وَأَعَادَ الْإِفْضَالَ عَلَى مِسْطَحٍ وَعَلَى مَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يُفْضَلَ عَلَيْهِ^(٣) وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ.

= في حديث الإفك حتى برأه الله تعالى - وقد تعرض لحسان بن ثابت فضربه بالسيف - لما خاض فيه من حديث الإفك. ويقال إنه غزا الروم في خلافة معاوية فاندقت ساقه ولم يزل يطاعن حتى مات وذلك سنة ٥٨ هـ.

(١) أي أن الجمع لا يراد به مفرد، بل هو لاثنين.

(٢) يُفْضَلُ، ويعطي من فضله.

(٣) في تصحيح بالهامش: أن لا يفضل عليه أن يفضل ويكفر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

قيل إنه يعنى به أزواج النبي ﷺ، وقيل إن الأصل فيه أمر عائشة، ثم صار لكل من رمى المؤمنات. ولم يقل ههنا والمؤمنين استغناء بأنه إذا رمى المؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمناً، فاستغنى عن ذكر المؤمنين لأنه قد جرى ذكر المؤمنين والمؤمنات، ودل ذكره المؤمنات على المؤمنين، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(١) ولم يقل وتقيكم البرد، لأن ما كان وقى الحر وقى البرد، فاستغنى عن ذكر أحدهما بالآخر.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾.

ويقرأ الحق، فمن قرأ الحق فالحق من صفة الله عز وجل، فالمعنى يومئذ يوفيههم الله الحق دينهم، ومن قرأ دينهم الحق، فالحق من صفة الدين والدين ههنا الجزاء، المعنى يومئذ يوفيههم الله جزاءهم الحق، أي جزاءهم الواجب.

وقوله جل وعز: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾.

فيها وجهان، المعنى الكلمات الخبيثات للخبيثين من الرجال، والرجال الخبيثون للكلمات الخبيثات، أي لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذه الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والخبيثات من النساء، فأما الطاهرات الطيبات فلا يلصق بهن شيء، وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال.

(١) سورة النحل الآية ٨١.

وقوله : ﴿أُولَئِكَ مِبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ .

أي عائشة وَصَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ ، وكذلك كل من قَذَفَ من المؤمنينَ
والمؤمناتِ مِبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُ أهل الخُبثِ القاذِفُونَ .

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ .

أي للذين قَذَفُوا ورُمُوا مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ، وللقاذفين اللَعْنَةُ في الدنيا
والآخرة وَعَذَابٌ عَظِيمٌ .

وقوله : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ .

معناه إذ يلقى بعضكم إلى بعضٍ ، وقرأت عائشة رحمها الله : إِذْ تُلْقَوْنَهُ
بِالْأَلْسِنَةِ ، ومعناه إِذْ تُسْرِعُونَ بِالْكَذِبِ ، يقال وَلَقَّ يَلْقُ إِذَا أَسْرَعَ فِي الْكَذِبِ
وغيره ، قال الشاعر : (١)

جَاءَتْ بِهِ عَنَسٌ مِنَ الشَّامِ تَلْقُ

أي تسرع .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾

يُقْرَأُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، ولكن الضَّمُّ أَكْثَرُ ، فمن ضَمَّ فَعَلَى أصل الجمع ،
يجمع بَيْتٌ وَبُيُوتٌ مثل قَلْبٌ وَقُلُوبٌ وَفَلَسٌ وَفُلُوسٌ ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْكَسْرِ فَإِنَّمَا كَسَرَ
لِلْيَاءِ التي بعد الباء ، وذلك عند الْبَصْرِ يَنْ رَدِيءٌ جَدًّا ، لأنه ليس في كلام
العرب فِعُولٌ - بكسر الفاء - .

وقوله : ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ .

(١) الْوَلَقُ - كضَرْبٍ - الإسراع في المشي إثر الشيء ، وهذا الشطر من رجز قاله الشماخ يهجو به
جليدًا الكلابي : اللسان «ولق» ومعاني الفراء ٢/ ٢٤٨ . والعنس الناقة الغليظة .

معنى تستأنسوا في اللغة تَسْتَأْذِنُوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان الاستعلام، تقول آذنته بكذا أي أعلمته، وكذلك آنت منه كذا وكذا، عَلِمْتُ منه، وكذلك، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾^(١) أي علمتم، فمعنى حتى تَسْتَأْنِسُوا حتى تستعلموا أريد أهلها أن يدخلوا أم لا، والدليل على أنه الإِذْنُ قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾.

أي ليس عليكم جناح أن تدخلوا هذه بغير إذن.

وجاء في التفسير أنه يعنى بها الخانات، ويقال للخان فندق وفتق. - بالبدال والتاء. - وإنما قيل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا هَذِهِ الْبُيُوتَ لِأَنَّهُ حَظَرَ أَنْ تُدْخَلَ الْبُيُوتُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُمْ إِلَّا بِإِذْنٍ، فَأُعْلِمُوا أَنْ دُخُولَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُبَاحَةُ - نحو الخانات وحوانيت التجارة التي تباع فيها الأشياء وَيُبَيْعُ أَهْلُهَا دُخُولُهَا - جائز. وقيل إنه يُعْنَى بِهَا الْخَرِبَاتُ الَّتِي يَدْخُلُهَا الرَّجُلُ لِبَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ.

ويكون معنى: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: بمعنى إمتاع، أي مُتَفَرِّجُونَ فِيهَا مِمَّا بِكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

أي لا يبدن زِينَتَهُنَّ الْبَاطِنَةَ، نحو الْمَخْنَقَةِ^(٢) وَالْخُلْخَالِ وَالْذُمْلُجِ وَالسَّوَارِ. والتي تُظْهَرُ هِيَ الثِّيَابُ وَالْوَجْهُ.

(١) سورة النساء الآية ٦.

(٢) رباط العنق، والدمليج يلبس في اليد كالسوار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضُرُّنَا بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾.

كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الخلخال، وربما كان فيها الخلخال فإذا ضربت برجلها عليم أنها ذات خلخال وزينة، وهذا يحرك من الشهوة فنهى عنه، كما أمرن ألا يبدین^(١)، لأن استماع صوته بمنزلة إبدائه.

وقوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾.

قُرئت من عبيدكم، وكلاهما جائز، وهذا لازم في الأيامي، والمعنى وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبيدكم وإمائكم إن أردن تحصناً.

ومعنى ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.

أي لا تكرهوهن على البغاء البتة، وليس المسعنى: لا تكرهوهن إن أردن تحصناً. وإن لم يردن فليس لنا أن نكرههن.

وقوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

فحث الله - عز وجل - على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر، ويروى عن عمر رحمه الله أنه قال: عَجِبُ لِأَمْرِي كَيْفَ لَا يَرْغَبُ فِي الْبَاءَةِ وَاللَّهُ يَقُولُ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾.

معنى ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، قيل إن علمتم أداء ما يفارق عليه^(٢)، أي علمتم أنهم يكتبون ما يؤدونه. ومعنى المكاتبه أن يكتب الرجل عبده أو أمتة

(١) نهين عن اسماع وسوسة حليهن كما نهين عن اظهاره.

(٢) إن علمتم قدرتهم على أداء نجوم الكتابة أي الأجر الذي يحرون عليه.

عَلَى أَنْ يُفَارِقَهُ، أَنَّهُ إِذَا أَدَّى إِلَيْهِ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْمَالِ فِي كَذَا وَكَذَا مِنَ النُّجُومِ
فَالْعَبْدُ حُرٌّ إِذَا أَدَّى جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ، وَوَلَاؤُهُ لِمَوْلَاهُ الَّذِي كَاتَبَهُ، لِأَنَّ مَوْلَاهُ جَادَ
عَلَيْهِ بِالْكَسْبِ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ لِمَوْلَاهُ^(١).

وقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾.

هذا - عند أكثر الفقهاء - عَلَى النَّذْبِ، لِلْمَوْلَى أَنْ يُعْطِيَهُ شَيْئاً مِمَّا يُفَارِقُهُ
عَلَيْهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قِضَاءِ نَجُومِهِ، وَلَهُ أَلَّا يَفْعَلَ، وَكَذَلِكَ لَهُ
أَنْ يَكَاتِبَهُ إِذَا طَلَبَ الْمَكَاتِبَةَ وَلَهُ أَلَّا يَكَاتِبَهُ. وَمَخْرَجُ هَذَا الْأَمْرِ مَخْرَجُ الْإِبَاحَةِ،
كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(٢) لَأَنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الصَّيْدَ مَا دَامُوا حُرُمًا،
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ﴾^(٣) هَذَا بَعْدَ أَنْ حَظَرَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَ فِي وَقْتِ النِّدَاءِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَهَذَا أَبَاحَهُ
فِيهِ لِأَنَّ الْعَبْدَ الْمَمْلُوكَ لَا مَالَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، فَأَبَاحَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ
يُقَدِّرُوهُ^(٤).

ويروى عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَاتَبَ عَبْدًا لَهُ يُكْنَى أَبَا أُمَيَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ عَبْدِ كُتِبَ
فِي الْإِسْلَامِ، فَأَتَاهُ بِأَوَّلِ نَجْمٍ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَقَالَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِهِ عَلَى
مُكَاتِبَتِكَ، فَقَالَ: لَوْ أَخَّرْتَهُ إِلَى آخِرِ نَجْمٍ، فَقَالَ أَخَافُ أَلَّا أَدْرِكَ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾.

وذلك أَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ تَرَى الْمَشْرَكَاتُ مَا يَحِلُّ أَنْ تَرَاهُ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ

(١) الأصل أن العبد وما يكسبه ملك لمولاه.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٤) يعينونه ويهيئوا له القدرة.

الْمُؤْمِنَاتِ، يُعْنَى بِنِسَائِهِنَّ نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ، وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾.

«غير» صفة للتابعين دليل على قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، معناه أيضاً غير أولي الإربة من الرجال. والمعنى لا يبيدين زيتهن لماليكهن ولا لتبائعهن إلا أن يكونوا غير أولي إربة. والإربة الحاجة، ومعناه ههنا غير ذوي الحاجات إلى النساء، فأما خفص «غير» فصفة للتابعين، وإن كانت «غير» توصف بها النكرة، فإن التابعين ههنا ليس بمقصود إلى قوم بأعيانهم، إنما معناه لكل تابع غير أولي إربة. ويجوز «غير» بنصب «غير» على ضربين، أحدهما الاستثناء، المعنى لا يبيدين زيتهن إلا للتابعين إلا أولي الإربة فلا يبيدين زيتهن لهم، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، فيكون المعنى، والتابعين لا مريدين النساء، أي في هذه الحال.

وقوله عز وجل: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ﴾.

ويقراً «عورات» - بالفتح الواو - لأن فعلة يجمع على فعلات - بفتح العين - نحو قولك جفنة وجففات، وصحفة وصحفات، فإذا كان نحو قولك لوزة وجوزة وعورة، فالأكثر أن تُسكن، وكذلك قوله بيضات، لثقل الحركة مع الواو والياء، ومن العرب من يلزم الأصل والقياس في هذا فيقول جوازات وبيضات. وعلى هذا قرئ عورات. ومعنى لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ، لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، كما تقول: قد ظهر فلان على فلان إذا قوي عليه. ويجوز أن يَكُونَ «لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ» لم يَدْرُوا ما قباحة عورات النساء من غيرها.

(١) سورة التوبة الآية ٧١.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾.

يقرأ بالفتح والكسر - فمن قرأ مبيناتٍ بالفتح فالمعنى أنه ليس فيها لبسٌ، وَمَنْ قرأ بالكسرٍ فالمعنى أنها تبيّن لكم الحلال من الحرام. ثم أعلم عز وجل أنه قد بين جميع أمر السماء، وأمر الأرض بياناً نيراً لا غاية بعد نوره فقال:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي مدبر أمرهما بحكمة بالغة وحجة نيرة. ثم مثل مثل نوره ذلك في القلوب بأبين النور الذي لم يدرك بالأبصار فقال:

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

فَنوره يجوز أن يكون ما ذكرنا من تدبيره، وجائز أن يكون كتابه الذي بين به فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١) وجائز أن يكون النبي ﷺ هو النور الذي قال مثل نوره، لأن النبي ﷺ هو المرشد والمبين والناقل عن الله ما هو نيرٌ، بينٌ.

وقال: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهي الكوة، وقيل إنها بلغة الحبش، والمشكاة من كلام العرب، ومثلها - وإن كانت لغير الكوة - الشكوة وهي معروفة^(٢)، وهي الدقيق الصغير أو ما يعمل مثله^(٣).

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ، [المِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ]﴾.

والمصباح السراج. وقال: ﴿المِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ﴾ - لأن النور في الرُجاج،

(١) سورة المائدة الآية ١٥.

(٢) الشكوة وعاء من آدمٍ للماء واللبن اهـ قاموس.

(٣) الشيء الدقيق.

وضوء النارِ أبينُّ منه في كل شيءٍ، وضوؤه يزيدُ في الزُّجاجِ . ثم وصف
الزُّجاجة فقال :

﴿كَانَهَا كَوْكَبٌ دَرِيٌّ﴾ .

وَدَرِيٌّ ، منسوب إلى أنه كالدرِّ ، في صفائه وحُسْنِهِ ، وَقُرِئَتْ دَرِيٌّ وَدَرِيٌّ
- بالكسر والفتح - وَقَدْ رُوِيَ بِالْهَمْزِ . والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه
فيه ، لأنه ليس في كلام العرب شيء على فِعِيلٍ ، ولكن الكسر جيّدٌ بِالْهَمْزِ
- يكون على وَزْنٍ فِعِيلٍ ، ويكون من النجوم الدَّرَارِي التي تَدُرُّ - .

أي يَنْحَط وَيَسِيرُ مُتَدَاوِعاً ، ويجوز أن يكونَ دَرِيٌّ بغير همزٍ مُخَفَّفاً مِنْ
هذا .

قال أبو إسحاق : ولا يجوز أن يضم الدال ويُهْمَزُ ، لأنه ليس في الكلام
فِعِيلٌ ، ومثال «دَرِيٌّ» فُعْلِيٌّ مَنْسُوبٌ إلى الدَّرِّ ، وَمَنْ كَسَرَ الدَّالَ قَالَ دَرِيٌّ فكَانَ
له ، أَنْ يَهْمَزَ وَلَا يَهْمَزَ ، فَمَنْ هَمَزَ أَخَذَهُ مِنْ دَرَأٍ يَدْرَأُ الْكَوْكَبُ إِذَا تَدَافَعَ
مُنْقَضاً ، فتضاعف ضوؤه ، يقال : تدارأ الرُّجُلَانِ إِذَا تَدَافَعَا ، ويكون وزنه على
فِعِيلٍ . ومن كسرهما فإنما أَصْلُهُ الْهَمْزُ فَخُفِّفَ ، وبقيت كسرة الدال على
أَصْلِهَا . ووزنه أيضاً فِعِيلٌ كما كان وهو مهموز .

وقوله : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ .

ويقرأ [تَوْقَدُ] بالتاء ، فمن قرأ بالياء عني به المصباح ، وهو مذكور . ومن
قرأ بالتاء عني به الزُّجاجة . ويجوز «في زَجَاحَةٍ» بفتح الزاي وفيها وجهان
آخران قُرِئَ بِهِمَا - تَوْقَدُ - بفتح الدال وضمّها وتشديد القافِ فيهما جميعاً ،
فمن قرأ تَوْقَدُ ، فالمعنى تَتَوْقَدُ الزُّجاجةُ ، ومن قرأ تَوْقَدَ فتحه لأنه فِعْلٌ مَاضٍ ،
ويكون المعنى : المصباح في زُجَاجَةٍ تَوْقَدُ المِصْبَاحُ .

وقوله : ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ .

وليس شيء في الشَّجَرِ يورِقُ غُضُنُهُ من أوله إلى آخره مثل الزَّيْتُونِ
والرُّمَانِ قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

بورك الميت الغريب كما بُوركَ نَظْمُ الرُّمَانِ والزَّيْتُونِ
قوله عز وجل: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾.

أكثر التفسير أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو
عند الغروب، أي ليس يسترها في وقت من النهار شيء، أي فهي شرقية
غربية، أي تصيبها الشمس بالغداة، والعشي، فهو أنضر لها وأجود لزيتها
وزيتونها.

وقال الحسن: إن تأويل قوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ أنها ليست من
شجر الدنيا أي هي من شجر الجنة.

وقوله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾.

جاء في التفسير أن تُبْنَى، وقال الحسن: تأويل «أَنْ تُرْفَعَ» أن تُعْظَمَ.
و«فِي» من صَلَة قوله «كَمْشَكَاةً». المعنى كَمْشَكَاةٍ فِي بُيُوتٍ، أي فِي مَسَاجِدَ،
وقال الحسن يُعْنَى بِهِ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ. ويجوز أن تكون «فِي» متصلة «يُسَبِّحُ»
ويكون فيها تكريراً على التوكيد، فيكون المعنى يسبح لله رجالٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ
اللَّهُ لَأَنْ تُرْفَعَ. وتقرأ «يُسَبِّحُ» له فيها، فيكون رفع رجال ههنا على تفسير ما لم

(١) هو أبو طالب عم النبي ﷺ - من قصيدة له رثى بها مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وقد أوردها
صاحب الخزانة ج ٤/ ٣٨٦. أبياتاً منها أولها:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون
وانظر البحر المحيط ٤٥٧/٦ ومختار الأغاني ٣٨٢/٦ - وكان مسافر سيداً جواداً، وهو أحد
أزواد الركب، وكان يهوى هنداً بنت عتبة، وخطبها بعد الفاكه فردته لفقره، فذهب إلى النعمان
يستعينه - فتزوجت هنداً أبا سفيان في غيبته - وكان أبو سفيان أول من قابل مسافراً بالبحيرة
وأخبره فشق ذلك عليه، واستسقى بطنه فعاد إلى مكة فمات بمكان يقال له هباله ودفن به.

يسم فاعله، فيكون المعنى على أنه لما قال: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا» كأنه قيل: من يسبح الله فقليل يُسَبِّحُ رِجَالُ كما قال الشاعر: (١)

لِيُكَّ يَزِيدَ ضَارِعٌ لَخُصُومَةٍ وَمَخْتَبِطٌ مِمَّا تَطِيحُ الطَّوَائِحُ
﴿وَالْأَصَالُ﴾: واحدها أَصْلٌ، وهي العَشَايَا.

ومعنى: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾. أي لا يشغلهم أمرٌ عن ذَلِكَ.

ويروى أن ابن مسعود رأى قوماً من أهل السوق، وقد نُودِيَ بالصَّلَاةِ فتركوا بِيَاعَاتِهِمْ (٢) وَنَهَضُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فقال: هؤلاء من الذين قال الله - عز وجل - [فيهم] ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾:

الكلام أَقَمْتُ الصَّلَاةَ إِقَامَةً، وَأَصْلُهَا أَقَمْتُ (٣) إِقْوَامًا، وَلَكِنْ قُلِّبَتِ الْوَاوُ أَيْضًا فَاجْتَمَعَتِ الْفَانُ، فَحُذِفَتْ أَحَدَاهُمَا لِإِتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، فَبَقِيَ أَقَمْتُ الصَّلَاةَ إِقَامَةً (٤) وَأُدْخِلَتِ الْهَاءُ عِوَضًا مِنَ الْمَحْذُوفِ، وَقَامَتِ الْإِضَافَةُ ههنا فِي التَّعْرِيزِ مَقَامَ الْهَاءِ الْمَحْذُوفَةِ. وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ.

وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

وَيَجُوزُ تَقَلُّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْقُرْآنِ «تَقَلُّبُ» لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ لَا تَخَالَفُ وَإِنْ جَازَ فِي الْعَرَبِيَّةِ ذَلِكَ.

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد. وفي كتاب سيبويه للحرث بن نهيك وانظر الخزائنة ١/١٤٧، الشاهد ٤٥، ففيها أنه لنهشل بن حرى (بتشديد الراء) وهو شاعر مخضرم حسن الشعر وابنه حرى أيضاً شاعر مجيد، وحارب نهشل مع علي ويوم صفين قتل أخوه مالك ورثاه نهشل بمرات كثيرة. وهم من بيت شريف، وانظر العيني ٢/٤٥٤، وابن يعيش ١/٩٠.

(٢) بياعات جمع بياعة - بكسر الباء فيهما. وهي السلعة.

(٣) أصلها أقومت إقواماً.

(٤) أصلها إقواماً - فلما حذفت الألف استعاض عنها بالتاء التي حذفت هنا.

ومعنى تَتَقَلَّبُ أي تَرْجُفُ وَتَجْفُفُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْخَوْفِ، ومعناه أَن مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُوقِنًا بِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ اازدادَ بَصِيرَةً، ورأى ما يحبه مما وُعِدَ بِهِ، ومن كَانَ قَلْبُهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ رَأَى مَا يُوقِنُ مَعَهُ بِأَمْرِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ، فَعَلِمَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ وَشَاهَدَهُ بِبَصَرِهِ، فَذَلِكَ تَقَلَّبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

والقيعة جمع قاع، مثل جَارٍ وَجِيرَةٍ، والقيعة والقاع ما انبسط من الْأَرْضِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ نَبَاتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كَأَنَّهُ فِيهِ مَاءٌ يَجْرِي. وَذَلِكَ هُوَ السَّرَابُ، وَالْأَلْ مِثْلُ السَّرَابِ إِلَّا أَنَّهُ يَرْتَفِعُ وَقْتَ الضُّحَى كَالْمَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾.

يجوز يَحْسِبُهُ وَيَحْسَبُهُ، ويجوز الظَّمَانُ وَالظَّمَانُ، على تخفيف الهمزة، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْعَطَشِ يُقَالُ ظَمِئَ الرَّجُلُ يَظْمَأُ ظَمًا فَهُوَ ظِمَانٌ، مِثْلُ عَطِشَ يَعْطِشُ عَطَشًا فَهُوَ عَطْشَانٌ.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

أي حتى إذا جاء إلى السراب وإلى موضعه رأى أرضاً لا ماء فيها، فأعلم الله - عز وجل - أن الكافر يظن عمله قد نفعه عند الله، ظَنَّهُ كَظَنِّ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ السَّرَابَ مَاءٌ، وَأَن عمله قَدْ حَبِطَ وَذَهَبَ. وَضَرَبَ اللَّهُ هَذَا الْمَثَلَ لِلْكَافِرِ فَقَالَ: إِنَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِ كَهَذَا السَّرَابِ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ - الآية (١).

(١) تمام الآية: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

لأنه عز وجل وصف نوره الذي هو للمؤمنين، وأعلم أن قلوب المؤمنين وأعمالهم بمنزلة النور الذي وصفه، وأنهم يجدونه عند الله يجازيهم عليه بالجنة، وأن أعمال الكافرين وإن مثلت بما يوجد فمثله كمثله السراب، وإن مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف في قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾.

معناه لم يرها ولم يكد، وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَرَاهَا مِنْ بُعْدٍ^(١) إِنْ كَانَ لَا يَرَاهَا مِنْ شِدَّةِ الظُّلْمَةِ، والقول الأول أشبه بهذا المعنى، لِأَنَّ فِي دُونِ^(٢) هَذِهِ الظُّلُمَاتِ لَا يُرَى الْكَفُّ.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا [فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ]﴾.

أي من لم يهده الله إلى الاسلام لم يَهْتَدِ.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ﴾.

ويجوز «والطير» على معنى: «يسبح له الخلق مع الطير» ولم يُقرأ بها.

وقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.

معناه كل قد علم الله صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، والصلاة للناس، والتسبيح لغير الناس، ويجوز أن يكون ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ كل شيء قد علم

(١) غير واضح المعنى، ولعله يعني الفعل المنفي أي لا يراها من بعد، ويمكن أن يراها من قرب، أو يخيل إليه وهي قريبة أنها بعيدة.

(٢) أي ان رؤية الكف من القرب لا تدل على ظلمة شديدة، ففي الظلمة التي هي أقل مما وصف لا يرى الانسان يده.

صلاة نفسه وتسبيحها، ويجوز أن يكون كل انسان قد علم صلاة الله، وكل شيء قد علم تسبيح الله. والأجود أن يكون كل قد علم الله صلاته وتسبيحه، ودليل ذلك قوله - ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾.

معنى: ﴿يُزْجِي﴾ يسوق، ﴿ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي يجعل القطع المتفرقة من السحاب قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾، أي يجعل بعض السحاب يركب بعضاً.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

الودق المطر، ويقرأ من خلاله، وخلاله أعم وأجود في القراءة، وخلال جمع خلل وخلال، مثل جبل وجبال، ويجوز أن يكون السحاب جمع سحابة ويكون «بينه» أي بين جميعه، ويجوز أن يكون السحاب واحداً إلا أنه قال بينه لكثرة، ولا يجوز أن تقول جلست بين زيد حتى تقول وعمرو، وتقول ما زلت أدور بين الكوفة، لأن الكوفة اسم يتضمن أمكنة كثيرة، فكأنك تقول ما زلت أدور بين طرق الكوفة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾.

ويجوز وينزل بالتخفيف، ومعنى من السماء من جبال فيها من برد، من جبال برد فيها^(١) كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى هذا خاتم حديد في يدي. ويجوز - والله أعلم - أن يكون معنى «من جبال» من مقدار جبال من برد كما تقول عند فلان جبال مال تريد مقدار جبال من كثرته.

قوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

(١) التقدير اذن من جبال من برد تنزل من السماء.

وقرأ أبو جعفر المدني: يُذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ، ولم يقرأ بها غيره، ووجهها في العربية ضعيف، لأن كلام العرب: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُهُ. وتلك جائزة أيضاً - أعني الضم في الياء في يُذْهَبُ. ومعنى ﴿سَنَا بَرْقَهُ﴾ ضَوْءُ بَرْقِهِ، وقُرئت سنا بَرْقِهِ يذهب بالأبصار، على جَمْعِ بَرْقَةٍ وَبُرْقٍ، والفرق بين بَرْقِهِ - بِالضَّمِّ - وَبَرْقِهِ بالفتح أن البرق المقدارُ من البرق، والبرقة أن يبرق الشيء مرةً واحدةً، كما تقول: غَرَفْتُ غَرْفَةً وَاحِدَةً تريد مرةً واحدةً. والغرفة مقدار ما يُغْرِفُ، وكذلك اللقمة واللَّقْمَةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾.

ويقراء، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾، فدَابَّةٌ اسم لكل حيوان مُمَيِّزٍ وغيره: فلما كان لما يعقل ولما لا يعقل قال ﴿فمنهم﴾، ولو كان لما لا يَعْقِلُ لَقِيلَ فمنها أو مِنْهُنَّ. ثم قال: ﴿مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾.

فقال «مَنْ» - وأصل مَنْ لِمَا يَعْقِلُ -، لأنه لَمَّا خَلَطَ الجماعة فْقِيلَ فمنهم جعلت العبارة بِمَنْ، وقيل يمشي على بطنه، لأن كل سائر كان له رجلان أو أربع أو لَمْ تكن له قوائم، يقال له ماشٍ وَقَدْ مَشَى، ويقال لكل مُسْتَمِرٍّ مَاشٍ، وإن لم يكن من الحيوان حَتَّى يقال قد مشى. هذا الأمر.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾، وإنما قيل من ماءٍ كما قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١).

وقوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾.

جاء في التفسير «مُسْرِعِينَ»، والإدْعَانُ في اللغة الإسراعُ مَعَ الطَّاعَةِ تقول: قَدْ أَدْعَنَ لِي بِحَقِّي، معناه قَدْ طَاوَعَنِي لِمَا كُنْتُ أَلْتَمِسُهُ مِنْهُ، وصَارَ يُسْرِعُ إِلَيْهِ.

(١) سورة الانبياء الآية ٣٠.

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾.

تأويله طاعة مَعْرُوفَةٍ أمثل مِنْ قَسَمِكُمْ لِمَا لَا تَصْدُقُونَ فِيهِ^(١). والخبر مُضْمَرٌ، وهو «أمثل» - وَحَذِفَ لَأَنْ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ، لَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾. واللَّهُ عز وجل وراء مَا فِي قُلُوبِهِمْ فقال: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا، طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ويجوز طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ عَلَى مَعْنَى أَطِيعُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ، لَأَنَّهُمْ أَقْسَمُوا إِنْ أَمَرُوا أَنْ يُطِيعُوا فَقِيلَ أَطِيعُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا^(٢)، فَإِنْ لَمْ تُرَوْ فَلَا تُقَرَأُ بِهَا، وَهَذَا يُعْنَى بِهِ الْمَنَافِقُونَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وإنما جاءت اللام لأن «وَعَدْتُهُ بِكَذَا أَوْ كَذَا» و«وَعَدْتُهُ لِأَكْرَمَنَّهُ» بمنزلة قُلْتُ لِأَنَّ الْوَعْدَ لَا يَنْعَقِدُ إِلَّا بِقَوْلٍ، ومعنى ليستخلفهم في الأرض، أي ليجعلنهم يخلفون مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وقرئت كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

يعني به الاسلام.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: وقرئت وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

يجوز أن يكن مستأنفاً، ويجوز أن يكون في موضع الحال، على معنى وعد الله المؤمنين في حال عبادتهم وإخلاصهم لله - عز وجل - ليفعلن بهم، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً عَلَى طَرِيقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَثْبِيثاً كَأَنَّهُ قَالَ: يَعْْبُدُونِي الْمُؤْمِنُونَ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا.

(٢) أي بقراءة النصب.

(١) لعدم صدقكم فيه.

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

القراءة بالتاء على معنى: لا تَحْسَبَنَّ يا مُحَمَّدُ الْكَافِرِينَ مُعْجِزِينَ، أي قدرةُ اللَّهِ محيطَةٌ بِهِمْ وقسرت: لَا يُحْسَبَنَّ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ مِنْ يُحْسَبَنَّ عَلَى معنى لا يُحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيَّاهُمْ معجزين في الأرض، كما تقولُ زَيْدٌ حَسِبُهُ، فانما تريد حَسِبَ نَفْسَهُ قَائِماً، وكأنه لا يُحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْفُسَهُمْ مُعْجِزِينَ، وهذا في بَابِ ظَنَنْتُ، تطرح فيه النفس يُقَالُ ظَنَنْتِي أَفْعَلُ، ولا يقال ظننت نفسي أَفْعَلُ، وَلَا يَجُوزُ ضَرَبْتِي، اسْتَغْنِي عنها بِضَرَبْتُ نَفْسِي^(١).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾.

فأمر الله عز وجل بالاستئذان في الاوقات التي يُتَخَلَّى فيها^(٢) ويتكشفون، وَبَيَّنَّهَا فَقَالَ: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾.

يعنى به العَتَمَةُ عِشَاءُ الْآخِرَةِ، فأعلم أنها عورات فقال ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾، على معنى هي ثلاث عورات لكم، وقرئت «ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ» والإسكان أكثر لثقل الحركة والواو. تقول طلحة وطلحات، وجمرة وجمرات، ويجوز في لوزة لَوْرَاتٍ بحركة الواو، والأجودُ لَوْرَاتٍ، ويجوز ثلاث عَوْرَاتٍ بالنَّصْبِ، على معنى ليستأذنوكم ثلاث عَوْرَاتٍ، أي في أَوْقَاتٍ ثلاث عَوْرَاتٍ.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.

أي ليس عليكم جناح ولا عليهم في أن لا يَسْتَأْذِنُوا بعد أن يمضي كل وَقْتٍ من هذه.

(١) لا يجيء الفاعل هو المفعول إلا في هذا الباب، وفي غيره تذكر كلمة النفس، تقول أطعمت

نفسي وسقيت نفسي ولا تقول سقيتني.

(٢) يتخلَّى الناس فيها عن ملابسهم الخارجية.

وقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.

على معنى هم طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ.

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: على معنى يَطُوفُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾.

فالبالغ يستأذن في كل الأوقات، والطفل والمملوك يستأذن في الثلاث العورات.

وقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾.

القواعد جمع قاعدة، وهي التي قعدت عن الزواج، اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً، أي لَا يَرُدُّنَّهُ، وَلَا يَرْجُونَهُ، وقيل أيضاً اللَّاتِي قَدْ قَعَدْنَ عَنِ الْحَيْضِ، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾.

قال ابن مسعود: أن يضعن المِلْحَفَةَ والرِّدَاءَ.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

أي أن لَا يَضَعْنَ الرِّدَاءَ والملحفة خير لهن من أن يَضَعْنَ^(١).

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾.

الحرَج في اللغة الضيق، وَمَعْنَاهُ فِي الدِّينِ الْإِثْمُ، وجاء في التفسير أن أهل المدينة قبل أن يُبعثَ النبي ﷺ كانوا لَا يُؤَاكِلُونَ هَوْلَاءَ، فقليل إنهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من تمكن الأصحاء في الطعام، وَقَلَّةٌ تَمَكَّنُ هَوْلَاءَ^(٢)، فقليل

(١) يضعنه بمعنى يلقينه عن جسدهن. أي هذا خير لهن من وضع الرِّدَاءِ، وتدخل فيه الملحفة والأصل أن يقول يضعنهما.

(٢) عدم قدرتهم عليه وأخذهم منه نصيباً يكفي.

لهم ليس في مُؤَاكِلَتِهِمْ حَرَجٌ، وقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك تقززاً، وقيل أيضاً إنهم كانوا إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ خَلَفُوا هؤلاء فكانوا يتحوبون^(١) أن يأكلوا مما يحفظونه فَأَعْلِمُوا أَنَّهُ ليس عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ، وقيل أيضاً انه كان قوم يَدْعُونَهُمْ إلى طعامِهِمْ فربما صاروا إلى منازلهم فلم يجدوا فيها طعاماً، فيمضون بهم إلى آبائهم.

وجميع ما ذكروا جيّد^(٢) بالغ إلا ما ذكروا من ترك المؤاكلة تقززاً، فإنني لا أدري كيف هو.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾.

معنى أشتاتاً متفرقين مُتَوَحِّدِينَ. ونصب «جميعاً» على الحال، ويروى أن حياً من العرب كان الرجل منهم لَا يَأْكُلُ وحده، وهم حَيٌّ من كنانة، يمكث الرجل يَوْمَهُ فإن لم يجد مَنْ يَؤَاكِلُهُ لم يأكل شيئاً، وربما كانت مَعَهُ الْإِبِلُ الْحُفْلُ، وهي التي مِلْءُ أَخْلَافِهَا اللَّبَنُ فلا يَشْرَبُ من ألبانها حتى يَجِدَ من يَشَارِبُهُ، فأعلم الله عز وجل أَنَّ الرَّجُلَ منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

معناه فَلْيَسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فالسلام قد أمر الله به، وقيل أيضاً: إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً وكانت خَالِيَةً فَلْيَقُلِ الدَّاحِلُ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وعلى عباد الله الصَّالِحِينَ..

وقوله عز وجل: ﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

(١) يتأثمون من الحُوب وهو الانتم.

(٢) في الأصل فجيّد.

مَعْنَاهُ^(١) النَّصْبُ عَلَى الْمَصَدَرِ، لَأَن قَوْلَهُ فَسَلِّمُوا، مَعْنَاهُ تَحِيَّوْا، وَيُحْيِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا، تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَأَعْلَمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّ السَّلَامَ مُبَارَكٌ طَيِّبٌ.

وقوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

قال بعضهم كان ذلك في الجمعة، فهو-والله أعلم- أن الله عز وجل أمر المؤمنين إذا كانوا مع نبيه فيما يحتاج فيه إلى الجماعة، نحو الحرب للْعُدُوِّ، أَوْ مَا يَحْضُرُونَهُ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَى الْجَمْعِ فِيهِ، لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، وكذلك ينبغي أن يكونوا مَعَ أَئِمَّتِهِمْ لَا يَخَالِفُونَهُمْ وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْهُمْ فِي جَمْعٍ مِنْ جَمْعِهِمْ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ، وَلِلْإِمَامِ أَنْ يَأْذِنَ، وَلَهُ أَنْ لَا يَأْذِنَ، عَلَى قَدَرِ مَا يَرَى مِنَ الْحَظِّ فِي ذَلِكَ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

فجعل المشيئة إليه في الاذن.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾.

أي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ بِخُرُوجِهِمْ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا رَأَيْتَ أَنَّ لَهُمْ عُذْرًا.

وقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

أي لا تقولوا: يا محمد كما يقول أحدكم لصاحبه، ولكن قولوا يا رسول الله ويا نبي الله بتبجيلٍ وَتَوْقِيرٍ وَخَفْضِ صَوْتٍ.

أعلمهم الله عز وجل فضل النبي عليه السلام على سائر البرية في المخاطبة.

(١) أي تقديره، وقد مر كثيراً أنه يقول المعنى كذا وكذا وهو يريد التقدير.

وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾.

أُظْهِرَتِ الْوَاوُ فِي «لِوَاذًا» عَلَى مَعْنَى لَا وَذْتُ لِوَاذًا، وَمَعْنَى لِوَاذًا ههنا
الْخِلَافُ [أَي] يُخَالِفُونَ خِلَافًا، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ﴾.

فَإِذَا مَصْدَرُ لُذْتُ فَقَوْلُكَ : لُذْتُ بِهِ لِيَاذًا.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ .

﴿تبارك﴾ معناه تفاعل من البركة، كذلك يقول أهل اللغة، وكذلك رُوي عن ابن عباس ، ومعنى البركة الكثرة في كل ذي خير. والفرقان القرآن، يُسمى فرقانا لأنه فَرَّقَ به بين الحق والباطل .

وقوله : ﴿ليكون للعالمين نَذِيرًا﴾ .

«النذير» المخوف من عذاب الله، وكل من خَوْفَ فقد أَنْذَرَ، قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(١) .

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ .

خلق الله الحيوان وقدر له ما يُصلحه ويقيمه، وَقَدَّرَ جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقديرٍ وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ﴾ .

«الإفك» الكَذِبُ .

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ .

يعنون اليهود .

(١) سورة والليل إذا يغشى، الآية ١٤ .

﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

والزُّورُ الكَذِبُ، ونَصَبُ ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ على: فقد جاءوا بظلم وزُورٍ،
فَلَمَّا سَقَطَ الباءُ أَفْضَى الْفِعْلُ فَنَصَبَ.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

خبر ابتداء محذوف، المعنى وقالوا: الذي كتابه أساطير الأولين^(١)،
معناه مِمَّا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ، وواحدُ الأساطير أُسْطُورَةٌ، كما تقول أَعْدُوْثَةٌ
وَأَحَادِيثٌ.

وقوله عز وجل: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

الأصيل العشيُّ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

«ما» منفصلة من اللام، المعنى أي شيء لهذا الرسول في حال أكله
الطَّعَامَ وَمَشْيِهِ فِي الْأَسْوَاقِ. التمسوا أن يكون الرسول على غير بَنِيَّةِ الْأَدَمِيِّينَ،
والواجب أن يكون الرسول إلى الْأَدَمِيِّينَ أَدَمِيًّا ليكون أقرب إلى الفهم عنه.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.

طلبوا أن يكون في النبوة شَرِكَةٌ، وأن يكون الشريك مَلَكًا، واللَّه عز
وجل يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾^(٢) أي لم يكن يُفْهَمُهم حَتَّى
يكون رَجُلًا، وَمَعْنَى لَوْلَا: هَلَّا وتَأْوِيل هَلَّا الاستفهام، وانتصبَ فَيَكُونُ على
الجواب بالفاء للاستفهام.

(١) قالوا الكتاب الذي جاء به أساطير - أي الذي هو كتابه إنما هو أساطير.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾.

وإن شئت أو «يَكُونُ» له جَنَّةٌ، ولا يجوز النَّصْبُ في يكون له، لأن يكون عطف على الاستفهام، المعنى: لولا أنزل إليه مَلَكٌ أَوْ يُلْقَىٰ إليه كَنْزٌ، أو تكون له جَنَّةٌ، والجنة البستان فأعلم الله - عز وجل - أنه لو شاء ذلك وخيراً منه^(١) لَفَعَلَهُ، فقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾.

أي لو شاء لفعل أكثر مما قالوا، وقد عرض الله - عز وجل - على النبي أمر الدنيا فَرَهَدَ وَآثَرَ أَمْرَ الْآخِرَةِ. فَأَمَّا «يَجْعَلُ» فبالجزم، المعنى إن يشأ يَجْعَلُ لَكَ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ومن رفع فعلى الاستثناف، المعنى وَسَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا، أي سيعطيك الله في الآخرة أكثر مما قالوا.

وقوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ وَيَأْكُلُ مِنْهَا.

وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾.

أي سمعوا لها غليان تَغِيظٍ.

وقوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

في معنى «هلاكا» ونصبه على المصدر كأنهم قالوا ثُبُرْنَا ثُبُورًا.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

أي هلاكم أكثر من أن تدعوا مَرَّةً وَاحِدَةً. و[قيل] ثُبُورًا كَثِيرًا، لأن ثُبُورًا مصدرٌ فهو للقليل والكثير على لفظ الواحد، كما تقول: ضربته ضَرْبًا

(١) لو شاء أن يعطي النبي ذلك وأكثر منه من خير الدنيا فعل.

كثيراً، وَضَرَبْتُهُ وَاحِداً، تريد ضربته ضرباً واحداً.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: كيف يقال: الجنة خير من النار، وليس في النار خير البتة، وإنما يقع التفضيل فيما دخل في صنف واحد؟، فالجنة والنار قد دُخِلَا في باب المنازل في صنف واحد، فلذلك قيل أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ، كما قال الله عز وجل:

﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾.

مَسْئُولٌ ذَلِكَ^(٢) قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾^(٣).

وقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

لما سُئِلَتِ الْمَلَائِكَةُ فَقِيلَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.

وجائز أن يكون الخطابُ لِعِيسَى والعُزَيْرِ، وقرأ أبو جعفر المدني وَحْدَهُ: قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، بِضَمِّ النُّونِ على ما لم يسم فاعله وهذه القراءة عند أكثر النحويين خطأً، وإنما كانت خطأً لأن «مِنْ» إنما يدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة أولاً، ولا تدخل على مفعول الحال، تقول ما اتخذت من أحدٍ ولياً، ولا يجوز ما اتخذت أحداً مِنْ وَلِيٍّ، لأن «مِنْ» إنما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى

(١) الآية ٢٤ من هذه السورة.

(٢) الذي سئل بذلك أي ما سألت الملائكة الله تعالى أن يمن به.

(٣) سورة غافر الآية ٨.

جميع، تقول: مَا مِنْ أَحَدٍ قَائِمًا، وما من رَجُلٍ مُجِبًا لما يَضُرُّه، ولا يجوز «ما رجل من مُجِبٍ مَا يَضُرُّه». ولا وجه لهذه الْقِرَاءَةِ، إِلَّا أَنَّ الْفَرَاءَ أَجَازَهَا عَلَى ضَعْفٍ، وزعم أنه يجعل مِنْ أَوْلِيَاءَ هو الاسم، ويجعل الخبر ما في تَتَّخَذُ كَأَنَّهُ يُجْعَلُ عَلَى الْقَلْبِ، ولا وجه عندنا لهذا الْبُتَّةِ، لَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ فِي ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ مَا أَحَدٌ عَنْهُ مِنْ حَاجِزِينَ. وهذا خطأ لا وَجْهَ لَهُ فَاعْرِفْهُ، فَإِنْ مَعْرِفَةَ الْخَطَأِ فِيهِ أَمْثَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَالْقُرَاءُ كُلُّهُمْ يُخَالِفُونَ هَذَا مِنْهُ، وَمِنَ الْغَلَطِ فِي قِرَاءَةِ الْحَسَنِ: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.

قيل في التفسير «هَلَكَى»، والباثر في اللغة الْفَاسِدُ، والذي لا خير فيه، وكذلك أرض باثرة متروكة من أن يزرع فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾.

وتقرأ بما يقولون - بالياء والتاء - فمن قرأ بما تَقُولُونَ - بالتاء - فالمعنى فقد كَذَّبُوكُمْ بقولهم إِنْهُمْ آلَهِةُ، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كَذَّبُوكُمْ بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾.

أي ما تستطيعون أَنْ تَصْرِفُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ما يحل بهم من العذاب. ولا ان ينصروا أَنْفُسَهُمْ.

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠ وصحتها الشياطين لأنه جمع تكثير.

(٢) عبارة الأصل هكذا: فمن قرأ بما تقولون - بالتاء - فإن المعنى فقد كذبوكم بقولكم: إِنْهُمْ آلَهِةُ، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾. والمعنى المراد أنهم بما قالوه كذبوكم. في هذه العبارة (سبحانك... الخ) ومعنى كذبوكم بقولهم إِنْهُمْ آلَهِةُ. أنهم بشركهم كذبوكم في كلمة التوحيد وعبارته غير مستقيمة لأن المسلمين لم يقولوا إِنْهُمْ آلَهِةُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾.

ف قيل لهم: كذلك كان مَنْ خَلَا من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بدعاً من الرسل. فأما دخول «أنَّهُمْ» بعد «إِلَّا» فهو على تَأْوِيلٍ ما أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَّا هُمْ يأكلون الطعام، وإِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطعام، وَحُذِفَتْ رُسُلًا لِأَن «مَنْ» في وقوله تعالى ﴿من المرسلين﴾ دليل على ما حذف منه، فأما مثل اللام بعد «إِلَّا» فَقَوْلُ الشَّاعِر^(١):

مَا أَنْطِيَانِي وَلَا سَأَلْتُهُمَا إِلَّا وَإِنِّي لَحَاجِزٌ كَرْمِي
يريد أعطيناني، وزعم بعض النحويين أن «مَنْ» بعد «إِلَّا» مَحْذُوفَةٌ، كأن
المعنى عِنْدَهُ إِلَّا «مَنْ» لَيَأْكُلُونَ الطعام. وهذا خطأ بَيِّنٌ، لِأَن «مَنْ» صِلَتْهَا «أَنَّهُمْ
لَيَأْكُلُونَ»، فلا يجوز حذف الموصول وتبقيَةُ الصِّلَةِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

فيه قولان: قيل كان الرجل الشريف ربّما أراد الاسلام فعلم أن مَنْ دُونَهُ
فِي الشَّرَفِ قد أسلم قبله فيمتنع من الاسلام لئلا يقال أسلم قبله من هو دُونُهُ،
وقيل كان الفقير يقول: لِمَ لَمْ أُجْعَلْ بِمَنْزِلَةِ الْغَنِيِّ، ويقول ذو البلاء: لِمَ لَمْ
أُجْعَلْ بِمَنْزِلَةِ الْمُعَافَى، نحو الأعمى والزَّمِنَ ومن أشبه هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

(١) لكثير بن عبد الرحمن - وقد أورد سيبويه هذا الشاهد وذكر الآية أيضاً انظر كتاب سيبويه ١٤٥ ج ٣ ت هرون - وهو في العيني ٣٠٨/٢ والأغاني ٢٨/٨ وروايته بالعين ما أعطيناني - والنون رواية أخرى.

أي أتصبرون على البلاء فقد عُرِفْتُمْ مَا وَعَدَ الصابرون .

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

معنى «لولا» هَلَا .

﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا [لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا] .

فأعلم الله - عز وجل - أن الذين لا يوقنون بالبعث ، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أُمَّة من الأمم . فأعلم الله عز وجل أنهم قد استكبروا في أنفسهم وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ، ويجوز عتواً كثيراً بالثناء ، والعتو في اللغة المجاوزة في القدر في الظلم . وأعلم الله - عز وجل - أن الوقت الذي يَرَوْنَ فيه الملائكة هو يوم القيامة ، وأن الله قد حرّمهم البُشرى في ذلك الوقت فقال :

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ .

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوبٌ على وجهين ، أحدهما على معنى لا بُشْرَى تكون للمجرمين يوم يَرَوْنَ الملائكة ، و «يَوْمَئِذٍ» هو مؤكّد «لِيَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ» ، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله «لَا بُشْرَى» لأن ما اتصل بلا لا يَعْمَلُ فيما قبلها ، ولكن لما قيل لَا بُشْرَى للمُجْرِمِينَ بَيَّنَّ في أي يوم ذَلِكَ ، فكأنه قيل يجمعون البُشرى يوم يرون الملائكة ، وهو يوم القيامة .

﴿وَيَقُولُونَ حُجْرًا مَحْجُورًا﴾ .

وقرئت «حُجْرًا» بضم الحاء ، والمعنى وتقول الملائكة حُجْرًا هـ . ورأى ، أي حراماً مُحَرَّمًا عَلَيْهِمُ البُشرى ، وأصل الحجر في اللغة ما حَجَرَتْ عليه أي ما مَنَعَتْ من أن يوصل إليه ، وكل ما منعت منه فقد حَجَرَتْ عليه ، وكذلك حَجَرُ الْقَضَاءِ على الأَيْتَامِ إنما هو مَنَعُهُمْ إِيَّاهُمْ عن التصرف في أَمْوَالِهِمْ ، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هو ما حَوَّطُوا عليه ، ويجوز أن يَكُونَ «يَوْمَ»

مَنْصُوباً عَلَى مَعْنَى اذْكُرْ يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ، ثُمَّ اخْبِرْ فَقَالَ: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُجْرِمِينَ﴾. وَالْمُجْرِمُونَ^(١) الَّذِينَ اجْتَرَمُوا الذُّنُوبَ، وَهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
الَّذِينَ اجْتَرَمُوا الْكُفْرَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾.

مَعْنَى قَدِمْنَا عَمَدَنَا وَقَصَدْنَا كَمَا تَقُولُ: قَامَ فُلَانٌ يَشْتُمُ فُلَانًا، تَرِيدُ قَصْدَ
إِلَى شَتَمِ فُلَانٍ، وَلَا تَرِيدُ قَامَ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الرَّجُلِينَ.
﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

«الْهَبَاءُ» مَا يُخْرَجُ مِنَ الْكَوَّةِ مَعَ ضَوْءِ الشَّمْسِ شَبِيهًا^(٢) بِالْغُبَارِ. وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْهَبَاءِ الْمَنْثُورِ. ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ فَضْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

وَالْمَقِيلُ الْمَقَامُ وَقَتَ الْقَائِلَةِ، وَقِيلَ هُوَ النَّوْمُ نِصْفَ النَّهَارِ، وَجَاءَ فِي
التَّفْسِيرِ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُصِيرُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَقَتَ نِصْفِ النَّهَارِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: وَيَقْرَأُ تَشْقَى بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ
وَالْمَعْنَى تَتَشَقَّقُ.

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾.

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ تَتَشَقَّقُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَتَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ
قَوْلُهُ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٣).

(١) فِي الْأَصْلِ وَالْمُجْرِمِينَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ شَبِيهٌ.

(٣) سُورَةُ الْفَجْرِ.

وقوله عز وجل: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾.

الحق صفة للملْك، ومعناه أن الملك الذي هو الملك حقاً هو ملك الرحمن يوم القيامة كما قال عز وجل: ﴿لَمِنَ الْمُلْكِ الْيَوْمَ﴾^(١) لأن الملك الزائِلُ كأنه ليس بملك. ويجوز الملك يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ للرحمن ولم يقرأ بها فلا تقرأ بها، ويكون النصب عَلَى وَجْهَيْنِ: أحدهما على معنى الملك يومئذ للرحمن أَحَقُّ ذَلِكَ الْحَقِّ، وعلى أَغْنَى الْحَقِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

يروى أن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ هو الظالم ههنا، وأنه يأكل يَدَهُ ندماً ثم يَعُودُ وأنه كان عزم على الاسلام فبلغ [ذلك] أُمِّيَّةً بن خَلْفٍ فقال له أُمِّيَّة: وَجْهِي من وجهك حرام إِنْ أَسْلَمْتُ، إِنْ كَلَمْتُكَ أَبَدًا^(٢)، فامتنع أُمِّيَّة من الاسلام لقول أُمِّيَّة فإذا كان يوم القيامة أكل يَدَهُ ندماً وتمنى أن آمن واتخذ مع النبي عليه السلام طريقاً إلى الْجَنَّةِ. وهو قوله: ﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾.

وقد قيل أيضاً في ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، أي لم اتخذ الشيطان خَلِيلًا، وتصديق هذا القول ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.

ولا يمتنع أن يكون قبوله مِنْ أُمِّيَّة من عمل الشيطان وأعوانه. ويجوز «اتَّخَذْتُ» بتبيين الدال، وبإدغامها في التاء، والإدغام أكثر وأجود.

وقوله عز وجل: ﴿وقال الرسول: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

(١) سورة غافر.

(٢) أي لَا اكلمك أبداً.

جَعَلُوهُ بِمَنْزِلَةِ الْهَاجِرِ. وَالْهَاجِرُ مَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَهْجُرُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْجُورًا مَتْرُوكًا، أَيْ جَعَلُوهُ مَهْجُورًا لَا يَسْتَمِعُونَهُ وَلَا يَفْهَمُونَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

عَدُوًّا لَفْظُهُ وَاحِدٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى الْجَمَاعَةِ وَالْوَاحِدِ كَمَا قَالَ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى أَعْدَاءٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ عَدُوَّ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

وَهَادِيًا وَنَصِيرًا مَنْصُوبَانِ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا الْحَالُ، الْمَعْنَى وَكَفَىٰ رَبِّكَ فِي حَالِ الْهَدَايَةِ وَالنَّصْرِ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ عَلَى مَعْنَى كَفَىٰ رَبُّكَ مِنَ الْهُدَاةِ وَالنُّصَارِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

مَعْنَاهُ: هَلَّا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَآخِرِهِ عِشْرُونَ سَنَةً، فَقَالُوا: لِمَ لَمْ يَنْزَلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ: فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ إِنْزَالَهُ مُتَّفَرِّقًا لِيُثَبِّتَ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أَيْ أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتَّفَرِّقًا، لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مُتَّفَرِّقًا فَأَعْلَمُوا لَمْ ذَلِكَ، أَيْ لِلتَّثْبِيتِ.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

أَيْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى التَّرْتِيلِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعَجَلَةِ، وَهُوَ التَّمَكُّثُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

(١) سورة الشعراء ٧٧.

معناه ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالذي هو الحق وأحسن تفسيراً من مثليهم، إلا أن «من» حذفت لأن في الكلام دليلاً عليها، لو قلت: رأيت زيداً وعمراً فكان عمرو أحسن وجهاً، كان الكلام فيه دليل على أنك تريد: من زيد.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

«الذين» رفع بالابتداء، و«أولئك» رفع ابتداء ثانٍ، و«شر» خبر «أولئك»، و«أولئك» مع «شر» خبر «الذين». وجاء في التفسير أن الناس يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ على ثلاثة أصنافٍ، صنف على الدوابِّ وصنف على أرجلهم وصنف على وُجُوهِهِمْ. قيل يا رسول الله: كيف يمشون على وُجُوهِهِمْ، فقال النبي ﷺ الذي مشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾.

الوزير في اللغة الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه، والوزر ما يلتجأ إليه ويُعتَصَمُ به، ومنه قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾^(١) أي لا ملجأ يوم القيامة ولا منجأ إلا لمن رحم الله عز وجل.

وقوله: ﴿فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا﴾.

يعني به فرعون وقومه، والذين مسخوا قردهً وخنازير.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.

يدل هذا اللفظ أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح أيضاً لقوله «الرُّسُل»، ويجوز أن يكون الروح يعني به نوح وحده، لأن من كذب بنبي فقد كذب

(١) سورة القيامة الآية ١١.

بجميع الأنبياء، لأنه مخالف للأنبياء، لأن الأنبياء يؤمنون بالله وبجميع رُسُلِهِ، ويجوز أن يكون يُعْنَى بِهِ الواحدُ. وَيَذَكِّرُ لَفْظُ الْجِنْسِ كما يقول الرجل للرجُلِ ينفق الدِرْهَمَ الواحدَ أنتَ مِمَّنْ يُنْفِقُ الدِرَاهِمَ، أي ممن نفقته من هذا الجنس، وفلان يركب الدوابَّ وإن لم يركب إلا واحدةً.

وقوله: ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

قومَ نوحٍ «مَنْصُوبُونَ»^(١) على معنى وأغرقنا قومَ نوحٍ، وعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ نصب عطف على الهاء والميم^(٢)، التي في قوله جعلناهم للناسِ آيَةً. ويجوز أن يكون معطوفاً على معنى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ويكون التأويل: وَعَدْنَا الظالمين بالعَذَابِ، ووعدنا عاداً وثموداً وأصحابَ الرَّسِّ.

قال أبو إسحاق: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

والرَّسُّ بَثْرٌ، يروى أَنَّهُمْ قَوْمٌ كَذَبُوا بَنِيهِمْ وَرَسُوهُ فِي بَثْرٍ، أي دَسُّوه فيها، ويروى أن الرَّسَّ قرية باليمامة يقال لها مَلَحٌ، ويروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود.

وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

يروى أن القرن مدته سبعون سنةً.

وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾.

«كُلًّا» منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره، المعنى وأنذرنا كُلًّا

ضربنا له الأمثال.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

التبِير التدمير والهلاك، وَكُلُّ شَيْءٍ كَسَّرَتْهُ وَفَتَّتَهُ فَقَدْ تَبَّرَتْهُ، ومن هذا

(١) الأولى أن يقول منصوب، أي هذا اللفظ منصوب لأن قوم نوح البشر لا ينصبون.

(٢) على الضمير.

قيل لمكسر الزجاج التبر، وكذلك تبر الذهب.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السُّوءِ﴾.

﴿أَتَوْا﴾ أي مشركومكة، يعنى به^(١) قرية قوم لوط التي أمر الله عليها الحجارة، فأعلم الله عز وجل أن الذي جرأهم على التكذيب، وأنهم لم يبالوا بما شاهدوا من التعذيب في الدنيا أنهم كانوا لا يصدقون بالبعث فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

قيل لَا يَخَافُونَ مَا وَعَدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ بَعْدَ الْبَعْثِ. والذي عند أهل اللغة أن الرجاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الاضداد، وهو عندي الحق، المعنى بل كانوا لا يرجون ثواب من عمل خيراً بعد البعث فركبوا المعاصي.

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.

المعنى يقولون: أهذا الذي بعث الله إلينا رسولاً.

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

يروى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر، فإذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، وقيل أيضاً من اتخذ إلهه هواه، أي أطاع هواه وركبه فلم يبال عاقبة ذلك.

وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي حفيظاً.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

معناه ما هم إلا كالأنعام في قلة التمييز فيما جعل دليلاً لهم من الآيات

والبرهان.

(١) يعنى بهذا القول.

قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

لأن: الأنعام تسبح بحمد الله وتسجد له وهم كما قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

الظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾، أي ثابتاً دائماً لا يزول.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

فالشمس دليل على الظل، وهي تنسخ الظل.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

قيل خفياً، وقيل سهلاً، ومعنى ألم تر، ألم تعلم، وهذا من رؤية القلب. ويجوز أن يكون ههنا من رؤية العين، ويكون المعنى: ألم تر كيف مَدَّ الظِّلَ رَبُّكَ ! والأجود أن يكون بمعنى ألم تعلم.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

فيها ستة أوجه، نُشْرًا بفتح النون، ونُشْرًا بضمها، ونُشْرًا بضم النون والشين، ويجوز بُشْرَى مؤنث بالباء على وزن فُعْلَى، وبُشْرًا بالتثنية والباء، وبُشْرًا بين يدي رَحْمَتِهِ، فهذه ستة أوجه منها أربعة يقرأ بها. فأما نُشْرًا فمعناه إحياء ينشر السحاب الذي به المطر، الذي فيه حياة كل شيء، ومن قرأ نُشْرًا فهو جمع نُشُور ونُشْر مثل رسول ورُسُل، ومن قرأ بالإسكان أَسَكَنَ الشَّيْنَ اسْتَحْفَافًا، فهذه ثلاثة أوجه في النون. فأما الباء فمن نَوْنٍ بالباء وَضَمَّهَا وَتَسْكِينِ الشَّيْنَ، فإنما هو يتسكين العين من قولك بُشْرًا، وإذا لم يُنَوَّنْهَا فَلِئِذَا

(١) سورة البقرة / ٧٤.

للتَّائِبِث. ومن قرأ بُشْرًا بالتنوين فهو جمع: يقال: ربح بُشُورٌ، كما قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٌ﴾ أي تبشر بالغيث. ومن قرأ بُشْرًا - بِالضَّمِّ - فهو على أصل الجمع. ومن قرأ بُشْرَى بغير تنوين فهو بمعنى بشارة.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.

كل ما نزل من السماء أو خرج من بحر أو أذِيبَ مِنْ ثَلْجٍ أو بَرَدٍ فهو طهور، قال عليه السلام في البحر: هُوَ الطَّهْورُ مَأْوُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ.

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾.

ولو كان ميتة لجاز وقيل: «مَيِّتًا» ولفظ البلدة مؤنث، لأن معنى البلد والبلدة وَاحِدٌ.

وقوله: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾.

أَنَاسِيٌّ جمع أَنَسِيٍّ مِثْلُ كُرْسِيٍّ وَكَرَاسِيٍّ ويجوز أن يَكُونَ جَمْعُ إِنْسَانٍ وتكون الياء بدلًا من النون، الأصل أَنَاسِينَ بِالنون مثل سَرَاجِينَ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾.

أَيَّ صَرَّفْنَا الْمَطَرَ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا، أَيَّ لِيَتَفَكَّرُوا فِي نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَيَحْمَدُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

وهم الذين يقولون: مُطَرَّنَا بِنُوءٍ كَذَا، أَيَّ بِسُقُوطِ كَوْكَبٍ كَذَا، كَمَا يَقُولُ الْمُتَنَجِّمُونَ فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ كَافِرِينَ.

وقوله: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

ويجوز كثيراً، والقراءة بالباء، ومعنى به أي بِالْحَقِّ، أي بالقرآن الذي أنزل إليك وهو الحق.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾.

معنى مَرَجَ خَلَّى بَيْنَهُمَا، تقول: مَرَجْتُ الدَّابَّةَ وَأَمَرَجْتُهَا إذا خلقتها تَرَعَى والمَرَجُ من هذا سَمِي، ويقال مَرَجْتُ عُهْدَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ إِذَا اخْتَلَطَتْ. يروى ذلك عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾.

فُرَاتٌ صفةٌ لِعَذْبٍ، والفُرَاتُ أَشَدُّ المِياهِ عُذُوبَةً، والمعنى هَذَا عَذْبٌ أَشَدُّ المَاءِ عُذُوبَةً.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

وَالْأُجَاجُ صفةٌ لِلْمِلْحِ، المعنى وهذا ملح أَشَدُّ المُلُوحَةِ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾.

الْبَرْزَخُ الحاجزُ فهُمَا فِي مَرَأَى الْعَيْنِ مُخْتَلِطَانِ، وفي قدرة الله - عز وجل - مُنْفَصِلَانِ لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

فَالْأَصْهَارُ مِنَ النِّسْبِ مَنْ يَجُوزُ لَهُمُ التَّزْوِيجُ، وَالنِّسْبُ الَّذِي لَيْسَ يُصْهِرُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ إِلَى ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيْرًا﴾.

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.

معنى الظَّهِيرِ الْمُعِينُ، لأنه يتابع الشَّيْطَانَ ويعاونه على مَعْصِيَةِ اللَّهِ، لأنَّ عِبَادَتَهُمْ لِلْأَصْنَامِ معاونة لِلشَّيْطَانِ.

وقوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾.

ويجوز «الرَّحْمَنِ فَاسْأَلْ»، فمن قال: الرَّحْمَنُ فهو رَفَعَ من جِهَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا عَلَى الْبَدَلِ مِمَّا فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾، ثُمَّ يَبَيِّنُ بِقَوْلِهِ الرَّحْمَنُ. ويجوز أن يكون ابتداءً و«فاسأل به» الخبر، والمعنى فاسأل عنه خبيراً. ومن قال الرَّحْمَنِ، فهو على معنى وتوكل على الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ الرَّحْمَنُ. صفة للْحَيِّ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

وتقرأ يأمرنا، والرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الْكُتُبِ الْأَوَّلِ وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١).

ومعناه عند أهل اللغة ذُو الرَّحْمَةِ التي لا غاية بعدها في الرَّحْمَةِ، لأنَّ فَعْلَانِ بِنَاءٍ مِنْ أَيْبِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، تقول: رَجُلٌ عَطْشَانٌ وَرِيَّانٌ إِذَا كَانَ فِي النِّهَايَةِ فِي الرِّيِّ وَالْعَطَشِ، وكذلك فَرَحَانٌ وَجَذْلَانٌ وَخَزْيَانٌ، إِذَا كَانَ فِي غَايَةِ الْفَرَحِ أَوْ فِي نِهَايَةِ الْخِزْيِ.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾.

البروج قيل هي الكواكب العظام، والْبَرْجُ تباعد بين الْحَاجِبَيْنِ، وكل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، وإنما قيل لها بُرُوجٌ لظهورها وتباينها وارتفاعها.

(١) سورة الاسراء الآية ١١٠.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

ويقراً سُرْجاً، ويجوز سُرْجاً بتسكين الراء، مثل رُسُل ورُسُل، فمن قرأ سِرَاجاً عَنِ الشَّمْسِ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(١)، ومن قرأ سُرْجاً أراد الشمس والكواكب العظام معها.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

ويقراً لمن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ. قال الحسن: من فاته عَمَلُهُ مِنَ التَّذَكُّرِ والشُّكْرِ كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مُسْتَعْتَبٌ، وقال أهل اللغة خِلْفَةٌ يجيء هذا في أثر هذا، وأنشدوا قول زهير^(٢):

بها العين والأرام يمشين خِلْفَةً وأطلاؤها يَنْهَضْنَ من كل مَجْتَمِ

وجاء أيضاً في التفسير خِلْفَةٌ مختلفان كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا﴾ الآية^(٣).

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

أي يمشون بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَجِلْمٍ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا: سَلَامًا﴾.

أي نتسلم منكم سلاماً لا نُجَاهِلُكُمْ، كأنهم قالوا تَسَلَّمًا مِنْكُمْ، و«عباد»

(١) سورة نوح الآية ١٦.

(٢) البيت الثالث من معلقته، والعين جمع أعين وعيناء. وهي ذوات العيون الواسعة والاسم منه عين - كفرح - وأراد بها البقر الوحشية، والأرام جمع ريم. وهو الظبي الخالص البياض والاطلاء جمع طلى، وهو ولد البقرة والظبية.

أراد بها الظباء الخالصة البياض أو المجثم موضع الجنوم، كالمرقد، يريد يخلف بعضها بعضاً أي يأتي قطيع بعد آخر.

(٣) سورة ال عمران الآية ١٩٠، ١٩١.

مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ الْإِبْتِدَاءِ هَهُنَا مَا فِي آخِرِ السُّورَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ كُلُّهَا - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ رَفْعاً بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الْغَرَامُ فِي اللَّغَةِ أَشَدُّ الْعَذَابِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْجَفَارِ كَانَا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا^(١)

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا مَنْصُوبَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ، الْمَعْنَى أَنَّهَا سَاءَتْ فِي الْمُسْتَقَرِّ وَالْمُقَامِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

كُلُّ مَنْ أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فَقَدْ بَاتَ يَبِيتُ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنْمَ، بَاتَ فَلَانَ الْبَارِحَةَ قَلْبًا، إِنَّمَا الْمَبِيتُ إِذْرَاكُ اللَّيْلِ.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

[يُقْتَرُوا] بَضَمِ الْيَاءِ وَكَسْرِ التَّاءِ، وَبِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِ التَّاءِ، وَلَمْ يُقْتَرُوا وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا، أَعْنِي بِتَشْدِيدِ التَّاءِ. وَالَّذِي جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْإِسْرَافَ الْإِنْفَقَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا إِسْرَافَ فِي الْإِنْفَاقِ فِيمَا قَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلُّ مَا أَنْفَقَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِسْرَافٌ، لِأَنَّ الْإِسْرَافَ مَجَاوِزَةَ الْحَدِّ

(١) هُوَ الطَّرْمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ الْخَارِجِيُّ. وَرَوَاتِهِ فِي اللِّسَانِ (حَجَّجَ) كَانُوا عَذَابًا وَكَانُوا غَرَامًا، وَهُوَ أَيْضًا فِي (غَرَمَ) وَفِي الطَّبْرِيِّ ٢١/١٩ - وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ الطَّرْمَاحِ فِي الْأَغَانِي ١٢ ص ٣٥ وَمَا بَعْدَهَا.

وَالْقَصْدِ. وجاء في التفسير أيضاً أن الاسراف ما يقول الناس فيه فلان مُسْرِفٌ. والحق في هذا ما أدب الله عز وجل به نبيه ﷺ فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ إِلَىٰ غَنَاقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (١).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

«يلق» جزم على الجزاء، وتأويل الأثام تأويل المُجَازاة على الشيء. قال أبو عمرو الشيباني: يقال قد لقيَ إثم ذلك أي جزاء ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه يلقي جزاء الإثم، قال سيبويه جُرِمتُ. ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾، لأن مضاعفة العذاب لُقيَ الإثم (٢) كما قال الشاعر (٣):

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً توقدا
لأن الإتيان هو الإلزام، فجزم تلمم لأنه بمعنى تأتي، وقرأ الحسنُ وَحْدَهُ «يُضَعَّفُ» له لعذاب، وهو جيد بالغ، تقول ضاعفت الشيء وَضَعْفَتُهُ، وقرأ عاصمٌ: يضاعفُ له العذاب بالرفع. على تأويل تفسير يلق أثاماً، كأن قائلًا قال ما لُقيَ الإثم، فقليل يضاعف للإثم العَذْبُ.

وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

ليس أن السَّيِّئَةَ بعينها تصير حَسَنَةً، ولكن التأويل أن السَّيِّئَةَ تمحى بالتَّوْبَةِ وتكتب الحسنة مع التوبة، والكافر يُحْبِطُ اللَّهُ عَمَلَهُ ويثبت الله عليه السَّيِّئَاتِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

(١) سورة الاسراء / ٢٨.

(٢) يريد أن يضاعف له العذاب بدل من يلق أثاماً.

(٣) الشاهد فيه وقوع تلمم/بدلاً من تأتينا، والشرط الأول ورد في أشعار أخرى كثيرة ولم أقف على قائل البيت.

قيل الزُّور الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وجاء أيضاً أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَعْيَادَ النَّصَارَى.
والذي جاء في الزور أَنَّهُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ، فأما النهي عن شهادة الزور في كِتَاب
اللَّهِ فقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

تأويله أعرضوا عنه، كما قال الله عز وجل: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا
عنه، وتأويل 'مرّوا باللغو' مرّوا بجميع ما ينبغي أَنْ يُلْغَى، ومعنى 'يُلْغَى' يطرح.
وجاء في التفسير أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا ذَكَرَ النِّكَاحِ كَنَوْا عَنْهُ، وقال بعضهم:
[هو] ذكر الرفث، والمعنى واحد. وجاء أيضاً أَنَّهُمْ لَا يَجَالِسُونَ أَهْلَ اللَّغْوِ
وهم أهل المعاصي، ولا يمالئونَهُمْ عَلَيْهَا، أَي يُعَاوَنُونَهُمْ عَلَيْهَا، وجاء أيضاً
في ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ مَجَالِسَ الْغِنَاءِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا
وَعُمْيَانًا﴾.

تأويله: إِذَا تُلِّيتْ عَلَيْهِمْ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكْيًا، سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ لما أُمِرُوا
بِهِ وَنُهِوا عَنْهُ. ودليل ذلك قوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ
الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكْيًا﴾^(٢)، ومثل هذا من الشعر قوله^(٣):

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ وَلَمْ يَكْثُرُوا الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) سورة مريم الآية ٥٨.

(٣) أنظر الكامل ١٨١/١ (تجارية) وابن يعيش، وشواهد المغني ٢٩٣ واللسان (خرر).
لم يشيموا لم يغمدوا، والواو في ولم يكثروا للحال، أي لا يغمدون سيوفهم والحال أن القتلى
لم تكثر، أي لا يغمدونها إلا وقد كثرت القتلى أو لا يغمدونها دون أن تكثر، والبيت للفرزدق.

تأويله : بأيدي رِجَال شَامُوا سُيُوفَهُمْ وقد كثرت القَتْلَى ، ومعنى يشيموا سُيُوفَهُمْ يَغْمِدُوا سُيُوفَهُمْ ، فالتأويل : وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ خَرُوا سَاجِدِينَ مُطِيعِينَ .

وقوله عز وجل : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ .

ويقرأ ﴿ وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾ . سألوا أن يُلْحَقَ اللَّهُ بهم ذُرِّيَّتَهُمْ في الجنة ، وأن يجعلَ أَهْلَهُمْ يَقْرُبُهُمْ أَغْنِيَهُمْ .

﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ .

أي واجعلنا ممن يَهْتَدِي به المتَّقُونَ ، وَيَهْتَدِي بِالْمُتَّقِينَ .

وقوله : ﴿ قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ .

أي لولا توحيدكم إياه . وجاء في التفسير ما يعْبَأُ بكم مَا يَفْعَلُ بِكُمْ وتأويل ما يعْبَأُ بكم أي : أَيُّ وَزْنٍ يكون لكم عنده ، كما تقول : ما عبأتُ بفلانٍ أي ما كان له عندي وَزْنٌ ولا قَدْرٌ . وأصل الْعِبَاءِ في اللَّغَةِ الثِّقْلُ ، ومن ذلك عَبَأْتُ الْمَتَاعَ جَعَلْتُ بَعْضَهُ على بعض .

وقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ .

جاء في التفسير عن الجماعة أَنَّهُ يُعْنَى به يَوْمُ بَدْرٍ ، وجاء أَنَّهُ لَوْزَمَ بين القَتْلَى لِزَامًا ، وَقُرِئَتْ لِزَامًا ، وتأويله - واللَّهُ أعلم - فسوف يكون تَكْذِيبُكُمْ لِزَامًا ، يلزمكم فلا تعطون التَّوْبَةَ وتلزمكم الْعُقُوبَةُ ، فيدخل في هذا يوم بَدْرٍ ، وغيره مما يَلْزَمُهُمْ من العذاب .

وقال أبو عبيدة : لِزَامًا فَيَصَلَاً ، وهو قريب مِمَّا قُلْنَا ، إِلَّا أَن الْقَوْلَ أَشْرَحَ .

وأنشد أبو عبيدة لَصَخْرٍ أَخِي الْهُذَلِيِّ ^(١) .

(١) البيت لصخر الغي من قصيدة يرثي بها ابناً له يسمى تليداً . والضمير في «ينجوا» لهماين =

فإِذَا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيَا حَتُوفَهُمَا لَزَامًا
وتأويل هذا أن الحتف إذا كان مَقْدَرًا فهو لازم، وإن نجا من حَتْفِ مكان
لِحَقِّهِ فِي مَكَانٍ آخَرَ لَا زِمًا لَهُ لَزَامًا، وَمَنْ قَرَأَ لَزَامًا [بفتح اللام] فهو على
مَصْدَرٍ لَزِمَ لَزَامًا.

== وحشيين، يقول انهما لن ينجوا من الموت وإن سلما من شر مهلكة مرة فإن هذا لا يرد الموت
عنهما بعد ذلك - والذي في ديوان الهزليين ٦٥ ج ٢ من خوف أرض، ويروى من خوف
بالحاء المهملة والخوف الجور، والمعنى واحد. والبيت أيضاً في الطبري ٣٣/١٩، والقرطبي
٨٦/١٣ واللسان (لزم)

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طسم﴾.

قُرِئَتْ بِإِدْغَامِ النُّونِ فِي الْمِيمِ وَوَصَلَ بِبَعْضِ الْحُرُوفِ بَعْضُ، وَقُرِئَتْ طَسِينَ مِيمَ بَتْسِينِ النُّونِ، وَالْوَقْفُ عَلَى النُّونِ، وَيَجُوزُ - وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا، قَرَأَهُ - طَسِيمًا - عَلَى أَنْ يُجْعَلَ طِسم اسماً لِلسُّورَةِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ: خَمْسَةَ عَشَرَ، وَلَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ وَعِدُوا بِالْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى فَكَانَ الْمَعْنَى هَذِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّذِي وَعِدْتُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى، وَعَلَى مَعْنَى هَذِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. وَقَدْ فَسَّرْنَا ذَلِكَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ مُهْلِكٌ نَفْسَكَ، وَقِيلَ قَاتِلُ نَفْسِكَ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الْآيَةُ (١).

(١) ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحُبِّيبِ﴾ سَفَا. سُورَةُ الْكَهْفِ الْآيَةُ ٦.

وموضع أن النصبُ مفعول له، المعنى فلعلك قاتل نفسك لتركيهم
 الايمان، فأعلمه الله سبحانه أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر
 على ذلك الا أنه - عز وجل - تعبدهم بما يستوجبون به الثواب مع الإيمان،
 وأنزل لهم من الآيات ما يتبين به لمن قصده إلى الحق^(١) فأما لو أنزل على
 كل من عند عن الحق عذاب في وقت غنوده لخضع مضطراً، وآمن إيمان من
 لا يجد مذهبا عن الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

معناه فتظل أعناقهم، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى
 المستقبل تقول: إن تأتي أكرمك، معناه أكرمك، وإن أتيتني وأحسننت معناه
 وتحسن وتجميل.

وقال ﴿خَاضِعِينَ﴾ وذكر الأعناق لأن معنى خضوع الأعناق هو خضوع
 أصحاب الأعناق. لَمَّا لم يكن الخُضُوعُ إِلَّا لِخُضُوعِ الأعناقِ جاز أن يُعَبَّرَ عن
 المضاف إليه كما قال الشاعر: (٢)

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينَ أَخَذَنْ مَنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ
 لَمَّا كَانَتْ السَّنُونَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَرٍّ (٣) أَخْبَرَ عَنِ السَّنِينَ وَإِنْ كَانَ أَضَافَ
 إِلَيْهَا الْمُرُورُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُ الشَّاعِرِ: (٤)

(١) أي أن الاجبار على الايمان لا يستتبع ثواباً، وإنما يشاب من يؤمن بالتأمل ويهتدي بالاقتناع
 والارادة.

(٢) هو جرير، والبيت من شواهد النحو وهو في ديوانه ٤٢٦ والطبري ٢٣/٤ بولاق ومن الايات
 الشائعة في كتب النحو، والسرار اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني نحوله كلما
 دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) إنما تحدث السنون بمرور الأيام.

(٤) تقدم ج ٣٦٢/١.

مشين كما اهتزت رياح تَسْفَهُتْ أعالها مَرُّ الرياح النواسيم

كأنه قال تسفرتها الرياح، لما كانت الرياح لا تكون إلا بالمرور، وجاء في التفسير «أَعْنَقُهُمْ» يُعْنَى به كبراًؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللُّغَةِ أَعْنَقُهُمْ جَمَاعَتُهُمْ، يقال: جاء لي عُنُقُ من الناس أي جَمَاعَةٌ وذكر بَعْضُهُمْ وجهاً آخر، قالوا: فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ هُمْ، وَأَضْمَرُهُمْ، وَأَنْشَدَ^(١)

تري أرباقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا إِذَا صَدِئِ الْحَدِيدُ عَلَى الْحُمَاةِ
وهذا لا يجوز في القرآن، وهو على بَدَلِ الْغَلَطِ يجوز في الشَّعْرِ، كأنه قال: يرى أرباقهم يرى متقلديها، كأنه قال: يرى قوماً متقلدين أرباقَهُمْ فلو كان على حذف هم لكان مما يجوز في الشعر أيضاً^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

انباء أخبار المعنى فَسَيَعْلَمُونَ نبأ ذلك في الْقِيَامَةِ، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يَوْمَ بَدْرٍ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

معنى زوج نوع، ومعنى كريم محمود فيما يحتاج إليه، كمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انبائه وإنشائه إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ. ثم قال:
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.

(١) للفرزدق. وهو في ديوانه ١٣١ ومجاز أبي عبيدة ٨٤/٢ - وذكر أبو عبيدة أن يونس حكى هذا الرأي عن أبي عمرو. وعزا الفراء في معانيه ٢٧٧ ج ٢ مثل هذا للكسائي. والأرباق جمع ربق - وهو جبل به عرى تشد به صغار الشاء كيلا ترضع أمها. ويرى الكماء بدل الحماة، والكماء جمع كمي وهو شاكي السلاح - والحماة الذين يحمون الحديد. وتقدير الكلام متقلديها هم.
(٢) ظاهر البيت أنه - ترى أرباقهم حاله كونهم متقلديها - فَرَّقَ الفراء بين التعبيرين وقال لو كانت الآية: فَظَلَّتْ أَعْنَابُهُمْ خَاضِعِينَ لَصَلَحَ هذا أن يكون شاهداً.

دليلاً على أن الله - عز وجل - واحد وإن المخلوقات آيات تدل على أن الخالق واحد ليس كمثله شيء.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

معناه وما كان أكثرهم يؤمن، أي علم الله أن أكثرهم لا يؤمنون أبداً كما قال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(١) أي لستم تعبدون ما أعبد الآن ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(١) فيما يستقبل، وكقوله في قصة نوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٢)، فأعلمه أن أكثرهم لا يؤمنون.

وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

موضع إذ نصب، على معنى . . وأتل هذه القصة فيما تتلو، ودليل ذلك قوله عطفًا على هذه القصة: ﴿وَأْتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾.

بالنصب والرفع^(٣)، فمن رفع فعطف على أخاف، على معنى إني أخاف. ويضيق صدري، ومن نصب فعطف على أن يكذبون، وأن يضيق صدري وأن لا ينطلق لساني. والرفع أكثر في القراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾.

أي ليعينني ويؤازرنِي على أمري، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾.

(١) سورة الكافرون آية ٣، ٥.

(٢) سورة هود ٣٦.

(٣) في يضيق.

يعني بالذنب الرَّجُل الذي وَكَّزَهُ ففَضَى عليه، إني أخاف أن يقتلوني
بقتلي إياه.

﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾.

كلَّا ردع وزجر عن الإقامة على هَذَا الظَّنِّ، كأنه قال: ارْتَدِّعْ عن هذا
الظَّنِّ وَتَقْ بِاللَّهِ.

وقوله عز وجل: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه إنا رِسَالَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أي ذوو رسالة رب العالمين، قال
الشاعر^(١):

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسوء ولا أُرْسَلْتهم بِرَسُولٍ

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

موضع «أَنْ» نَصْبٌ، المعنى أُرْسِلْنَا لترسل - أي - لَأَنْ تُرْسِلَ معنا بني إسرائيل.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

أي مولوداً حين وُلِدْتَ.

﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

ويجوز من عُمُرِكَ بِإِسْكَانِ الميم، ويجوز من عُمُرِكَ بفتح العَيْنِ، يقال:

(١) هو كثير عزة، وجاء البيت في شواهد المغني: ما بحث عندهم بليلي، وقد كنى كثير عن عزة

باسم ليلي في مطلع القصيدة: أَلَا حَيَا لَيْلَى أَجْدُ رَحِيلِي وَيُرَوِّى أَن رَحِيلِي - وهي من جِيَادِ

قصائد كثير وفيها كثير من الآيات السائرة مثل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

ويقال انه سرقه من جميل، والبيت في الديوان ٢٤٣/٢، القرطبي ٢٩٣/١٣ والطبري (بولاق)

٢٣٧/١٩ واللسان (رسل) ومجاز أبي عبيدة ١٩٨/٢. ومعناه ما أرسلت إليهم رسالة.

هو العُمُر والعُمُرُ والعُمُرُ في عُمُر الإنسان، فاما في القَسَمِ فلا يجوز إلا «لَعَمْرُ
الله» لا غير - بفتح العين. ذكر سيوبه والخليل وجميع البصريين ان القَسَمَ
مفتوح لا غَيْرُ.

فاعْتَدُ^(١) فرعون على موسى بأنه ربّه وَلِيداً منذ وُلِدَ إلى أَنْ كَبُرَ.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾.

وقرأ الشعبي فَعَلْتِكَ - بكسر الفاء - والفتح أجود وأكثره لأنه يريد قتلت
النفس قَتَلْتِكَ على مذهب المرّة الواحدة، وقرأ الشعبي على معنى وقتلت
القَتْلَةَ التي عرفتها، لأنه قتله بوكزة، يقال: جَلَسْتُ جَلْسَةً تُرِيدُ مرّةً واحدةً،
وجَلَسْتُ جَلْسَةً - بالكسر تريد هيئة الجلوس.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فيه وجهان أحدهما من الكافرين لنعمتي، والآخر وأنت من الكافرين
بقتلك الذي قتلت، فنفي موسى ﷺ الكفر واعترف بأن فعله ذلك جهلٌ فقال:

﴿فَعَلْتُهَا إِذَنْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

أي من الجاهِلِينَ، وقد قرئت وأنا من الجاهِلِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾.

يعنى التوراة التي فيها حكم الله^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أخرجه المفسرون على جهة الانكار أن تكون تلك نِعْمَةٌ، كأنه قال فاية
نعمة لك عليّ في أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، واللفظ لفظ خبر، والمعنى يخرج

(١) عدّ من نعمه عليه أنه ربه صغيراً.

(٢) الحكم بمعنى الحكمة.

على ما قالوا على أن لفظه لفظ الخبر وفيه تبيكت للمخاطب كأنه قال له : هذه نعمة أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً على جهة التبيكت لِفِرْعَوْنَ^(١)، واللفظ يوجب ان موسى ﷺ قال : هذه نعمة لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ولم تتخذني عبداً. ويقال : عَبَّدْتُ الرَّجُلَ، وَأَعْبَدْتُهُ، اتخذته عبداً. وموضع أن رفع على البذل من نعمة، كأنه قال : وتلك نعمة تَعَبَّدُكَ بني إسرائيل وتركك إياي غير عبدي. وَيَجُوزُ أن يكون «أَنْ» في موضع نصبٍ، المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. أي لو لم تفعل ما فعلت لكفني أهلي ولم يلقوني في اليم، وإنما صارت نعمة بما فعلت من البلاء.

وقال الشاعر في أَعْبَدْتُ اتخذت عبداً: (٢)

عَلَامٌ يُعْبِدُ نِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعِبْدَانُ

وقوله عز وجل : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.

فأجابه موسى ﷺ بما هو دليل على الله - جل وعز - بما خلق مما يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله فقال :

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾.

فتحير فرعون ولم يَرُدُّ جَوَاباً يَنْقُضُ به هذا القول، فقال لمن حوله : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾.

فزاده موسى في البيان فقال : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾.

(١) خرجه ابن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهام، أراد أو تلك نعمة؟

(٢) البيت للفرزدق. انظر معاني الفراء ٢/ ٢٧٩، ومشاهد الانصاف ١٣١ واللسان (عبد) جاء البيت

مرتين نسبه في الثانية للفرزدق - ورواه في الأولى حتام يعبدني قومي. وجاء في الطبري

٦٩/ ١٩ - (ط الحلبي) بدون نسبة.

فلم يجبه أيضاً، فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

فقال موسى زيادة في الابانة:

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُتُومَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فلم يجبه في هذه الأشياء بنقض لحجته.

﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

فزاده في البيان واحتج بما شاهده هو والملا من حوله:

﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنَّ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾.

والثعبان الكبير من الحيات، فإن قال قائل: فكيف جاء، فإذا هي ثعبان مبين، وفي موضع آخر ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، والجأن الصغير من الحيات، فالجواب في هذا مما يدل على عظم الآية، وذلك أن خلقها خلق الثعبان واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجأن وخفتها^(١).

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾.

نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء بياضاً نورياً، من غير سوء، أي من غير برص، فلم يكن عنده دفع لما شاهده إلا أن قال: إن هذا سحر فقال للملاحوه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

فجعل الآية المعجزة سحراً، ثم استكان وخضع للذين هم من أتباعه

فقال:

(١) وصف العصا بأنها جان كان عند ما كلم الله موسى بجانب الطور، فهي هناك ثعبان صغير، وأمام فرعون وقومه حية تسمى.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾.

بكسر الهاء وضمِّها، وبالياء والواو^(١) أَرْجِهِي وَأَرْجِهْهُ وَأَخَاهُ.

﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

فمعنى «أَرْجِهْ» أَخْرَهُ، وجاء في التفسير اخْبِسْهُ وَأَخَاهُ، والمعنى واحدٌ وتأويله أَخْرَهُ عَنْ وَقْتِكَ هَذَا وَأَخْرَأَ اسْتِمَامَ مُنَازَظَرَتِهِ إِلَى أَنْ يَجْتَمَعَ لَكَ السَّحَرَةُ.

وقوله: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

فغني عن أن يقول فبعث فجمع السَّحَرَةُ^(٢).

وقوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذْنُ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مع أَجْرَتِكُمْ وجزائكم على غلبتكم موسى إن غلبتموه مع الفائدة، القريبى والزُلْفَى عندي، ويقرأ أثن لنا لأجراً على جهة الاستفهام، ويجوز إن لنا لأجراً - على غير الاستفهام. وعلى جهة التَّكْثِيرِ مِنْهُمْ بِهِ، قَالُوا إِنَّ لَنَا لأجراً.

أي إِنَّكَ مِمَّنْ يَحْبُونَا وَيُجَازِينَا.

﴿فَالْقَوَاعِبُ أَلَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

أي مما جَمَعُوا مِنْ كَيْدِهِمْ وَعَصِيَّتِهِمْ. وَرُوي عَنْهُمْ أَنَّهُمْ^(٣) كانوا اثني

(١) قراءة حفص أرجه يسكون الهاء.

(٢) استغنى الكلام عن ذلك.

(٣) في الأصل أنه.

عشر ألف ساحر، فَنَصِرَ موسى عليه السلام أكثرَ ما كَانَ السِّحْرُ وَأَغْلَبَهُ عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الدَّهْرِ، وَكَانَتْ آيَتُهُ آيَةً بَاهِرَةً مِنْ جِهَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا أَنَّهُ أَتَى بِمَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْمَخْلُوقُونَ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّ السَّحْرَةَ، وَعَدَّهُمْ هَذَا الْعَدَدُ الْقُوَا سَاجِدِينَ .

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

فَسَلَّمُوا الْأَمْرَ لِلَّهِ وَتَبَيَّنَ لَهُمْ مَا لَا يُدْفَعُ . وَكَذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْعَرَ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ وَأَخْطَبَ مَا كَانَتْ وَأَبْلَغَ مَا كَانَتْ (١) فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مَعَ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .

وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّ السَّحْرَةَ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا .

وقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

اللام دخلت على سوف بمعنى التوكيد، ولم يُجْزِ الكوفيون: إِنَّ زَيْدَ لَسَوْفَ يَقُومُ، وَقَدْ جَاءَ دُخُولُ اللَّامِ عَلَى سَوْفَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّامَ مُؤَكِّدَةٌ .

وقوله عز وجل: ﴿لَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ .

وروي في التفسير أن أول من قُطِعَ وَصَلَّبَ فِرْعَوْنُ .

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ .

أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(١) أي والعرب أبلغ وأخطب ما كانوا - لم يكونوا في وقت من الأوقات أبرع في القول مما كانوا في هذا الوقت .

بفتح «أن» أي لِأَنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ، وزعم الفراء أنهم كانوا أَوَّلَ مُؤْمِنِي أَهْلِ ذَهْرِهِمْ ، وَلَا أَحْسَبُهُ عَرَفَ الرِّوَايَةِ فِي التَّفْسِيرِ لِأَنَّهُ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتْمَاةَ أَلْفٍ ؛ وَقِيلَ سِتْمَاةُ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ، وَإِنَّمَا مَعْنَى ﴿أَنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . أي أَوَّلَ مَنْ آمَنَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عِنْدَ ظُهُورِ آيَةِ مُوسَى حِينَ أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَاجْتَهَدُوا فِي سِحْرِهِمْ ، وَيُقَالُ : لَا ضَيْرَ وَلَا ضُورَ ، فِي مَعْنَى لَا ضَرَّ وَلَا ضَرَرَ .

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ، يُقَالُ : أَسْرَى يُسْرِي إِذَا سَارَ لَيْلًا ، وَسَرَى يُسْرَى ، قِيلَ هُوَ فِي مَعْنَى أَسْرَى يُسْرَى أَيْضًا .
وقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ .

أي أَرْسَلَ مِنْ جَمْعٍ لَهُ الْجَيْشُ ، مَعْنَاهُ فَجَمَعَ جَمْعَهُ ، فَقَالَ :
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ .

والشِرْذِمَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْقَلِيلُ ، يُرْوَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ شِرْذِمَةً كَانُوا سِتْمَاةَ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا ، وَكَانَتْ مَقْدَمَةُ فِرْعَوْنَ سَبْعَمِائَةَ أَلْفٍ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى حِصَانٍ ، وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَةٌ ، فَاسْتَقَلَ مِنْ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) عِنْدَ كَثْرَةِ جَمْعِهِ ، وَقَالَ «قَلِيلُونَ» فَجَمَعَ «قَلِيلًا» كَمَا يُقَالُ : هَؤُلَاءِ وَاحِدُونَ فَيَجْمَعُ الْوَاحِدَ ، كَمَا قَالَ الْكَمِيتُ :

فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيٍّ وَاحِدِينَ (٢)

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ .

(١) اعتبر فرعون قوم موسى عدداً قليلاً .

(٢) صدر البيت : فضم قواصي الأحياء منهم .

اللسان (وحد) .

يقال قد غاظني فلان، ومن قال أغاظني فقد لحن.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾.

ويقراء حَاذِرُونَ، وجاء في التفسير أن معنى حَاذِرُونَ، مُؤَدُّونَ أي ذُوو أداة، أي ذُوو سِلَاحٍ والسلاح اداة الحرب، فالحاذر المستعد، والحذر المتيقظ.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾.

أي في وقت شروق الشمس، يقال أشرقنا اي دَخَلْنَا في وقت طلوع الشمس، ويقال شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقَتْ إذا أضاءت وصَفَتْ، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ أي لَمَّا واقف جمعُ موسى جمعَ فرعونَ وكان أصحاب موسى قد خَرَجُوا ليلاً، فقال أصحابُ موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أي سَيُذْرِكُنَا جمعُ فرعونَ هذا الكثير، وَلَا طاقة لَنَا بِهِمْ.

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

أي قال موسى كلا أي ارتدعوا وازدجروا فليس يدركوننا.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾.

أي كُلُّ جزءٍ تَفَرَّقَ مِنْهُ.

﴿كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾.

أي كالجبل العظيم.

وقوله: ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ﴾.

أي قَرَّبْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ مِنَ الْغَرَقِ، وهم أصحاب فرعون - وقال أبو عبيدة: أَرْزَلْنَا جمعنا ثُمَّ الْآخِرِينَ، قال ومن ذلك سميت مُزْدَلِفَة جمعاً، وكلا القولين حسنٌ جميل، لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعضٍ وأصل الزُّلْفَى في كلام العرب القُرْبَى.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناه خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ.

وقوله: ﴿فَنَظَّلْ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.

معناه مقيمين على عِبَادَتِهَا.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ﴾.

إن شئت بَيَّنْتَ الذال، وإن شئت أَدَغَمْتَهَا في التاء فجعلتها تَاءً فقلت «إِتَدْعُونَ»، وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء، ويجوز إِذْدْعُونَ، ولم يُقْرَأ بها كما قال مُدَكِّر، وأصله مُدْتَكِّرٌ.

وقوله: ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال النحويون: إِنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ ليس من الأول، أي لكن ربُّ العالمين، ويجوز أن يكونوا عبدوا مع الله الأصنام وغيرها، فقال لهم: إن جميع من عَبَدْتُمْ عُدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ لأنهم سَوُّوا آلِهَتَهُم بالله فَأَعْلَمَهُمْ أنه قد تبرأ مما يَعْبُدُونَ إِلَّا الله فإنه لم يَتَبَرَّأ من عبادته.

وقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

جاء في التفسير أن خطيئته قوله: إن سَارَةَ أُخْتِي، وقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم.

وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

وقد بيّنا معنى قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

ومعنى خطيئتي أن الانبياء بَشَرٌ، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة إلا أنهم صلوات الله عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم مَعْصُومُونَ مُخْتَارُونَ عَلَى الْعَالَمِينَ كل نبي هو أفضل من عالم أهل دَهْرِهِ كُلِّهِمْ.

قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

معناه اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر.

وقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

معناه قُرِبَتْ، وتأويله أنه قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها.

قوله: ﴿وَبُرِّرَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

أي أظهرت لِلضَّالِّينَ، والغاوي الضال.

وقوله: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا﴾.

أي في الجحيم، ومعنى كُبِّبُوا طُرِحَ بعضهم على بعضٍ، وقال أهل اللغة معناه هُوِرُوا^(١)، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا أُلْقِيَ يَنْكَبُ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ حتى يَسْتَقِرَّ فيها يَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ منها.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه والله ما كنا إلا في ضلالٍ مبين حيث سويناكم بالله - عز وجل - فأعظمناكم وعبدناكم كما يُعْبَدُ اللَّهُ^(٢).

(١) هُوَرُ الرجل - كَعَلَمَ - صرعه، وهور البناء هدمه.

(٢) لا وجه للقصر في هذا التعبير، وإن هي المخففة أي إنه الحال والشأن لقد كنا في ضلال.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

دَخَلْتُ التاء وقوم نوح مُذَكَّرُونَ، لأن المعنى كذبت جماعة قَوْمُ نوح، وقال المرسلين، ويجوز أَنْ يَكُونُوا كَذَّبُوا نوحاً وَحْدَهُ، ومن كذب رَسُولاً واحداً من رسل الله فقد كَذَّب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وجائز أن يكونَ كَذَّبَتْ جميع الرُّسُلِ.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقيل أَخُوهُمْ لأنه منهم، وكل رسول يأتي بلسان قَوْمِهِ ليوضح لهم الحجة ويكون أبينَ لهم.

وقوله: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾.

ويقرأ وَأَتْبَاعَكَ الْأَرْذُلُونَ، وهي في العربية جَيِّدَةٌ قَوِيَّةٌ لَأَنَّ وَاو الحال تصحبُ الاسماءَ أَكْثَرُ في العربية، لأنك تقول: جِئْتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزَّيْدُونَ، ويجوز: وَصَحْبَكَ الزَّيْدُونَ، والأكثر جِئْتُكَ وَقَدْ صَحِبَكَ الزَّيْدُونَ، وقيل في قوله: الْأَرْذُلُونَ: نسبوهم الى الحياكة والحجامة، والصناعات لا تضرُّ في باب الدِّيَانَاتِ (١).

وقوله: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: أي بالحجارة.

وقوله: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

واحدها فُلْكٌ وجمعها فُلُكٌ، وزعم سيبويه أنه بمنزلة - أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وقياس فُعْلٍ قِيَّاسُ فَعَلٍ، ألا ترى أنك تقول قُفِّلَ وأُقْفِلَ وجُمِّلَ وأَجْمَل، وكذلك أَسَدٌ وَأُسْدٍ وآسَادٍ، وفُلْكٌ وفُلُكٌ وأَفْلَاكٌ في الجمع - والمشحون المملوء، يقال شحنته أي ملأته.

(١) الرذل كضخم، والرذال - كغراب - والرذيل - الدون الخسيس أو الرديء من كل شيء.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾.

يقرأ رِيعَ وَرِيعٍ - بكسر الراء وفتحها - وهو في اللغة الموضع المرتفع من الأرض ومن ذلك كَمْ رِيعٌ أَرْضِكَ، أي كم ارتفاع أَرْضِكَ، جاء في التفسير: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ كل فَجٍّ وَالْفَجُّ الطريق الْمُتَفَرِّجُ في الجبل، وجاء أيضاً بكل طريق، وقوله ﴿آيَةً﴾: علامة.

وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

واحد المصانع مَصْنَعَةٌ وَمَصْنَعٌ، وهي التي تتخذ للماء، وَقِيلَ مَبَانٍ ومعنى لعلكم تخلصون أي لِأَنْ تَخْلُدُوا، أي وتخلصون مباني للخلود لا تفكرون في الموت.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

جاء في التفسير أَنَّ بَطِشْتُمْ كَانَ بِالسُّوْطِ وَالسَّيْفِ، وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم، فأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَظِيمٌ﴾.

الهظيم: الداخل بعضه في بعض، وهو فيما قيل أن رُطْبَهُ بغير نَوَى، وقيل الهظيم الذي يَتَهَشَّمُ تَهْشُمًا، والهظيم في اللغة الضامر الداخل بعضه في بعض ولا شيء في الطلع أبلغ من هذا.

وقوله: ﴿فَرَاهِينَ﴾.

جاء في التفسير أَشْرِينَ وجاء في التفسير مَرِحِينَ، وقرئت ﴿فَارَاهِينَ﴾ ومنه فَرَاهِينَ حاذقين. و«فرهين» منصوب على الحال.

وقوله: ﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾.

أي مِمَّنْ له سَحَرٌ، والسَّحَرُ الرِّثَّةُ، أي إنما أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنَا،
رجائز أن يكون من المسحَرين من المَفْعَلِينَ من السَّحَر أي ممن قد سَجَرَ
مرَّةً بعد مرَّةً.

وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ويقراء ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾، فمن قرأ خُلُقَ الْأَوَّلِينَ بِضَمِّ الْخَاءِ فمعناه
عادةُ الأولين، ومن قرأ خُلُقُ بفتح الخاء، فمعناه اخْتِلَاقُهُمْ وَكَذِبُهُمْ.
وفي ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ وجه آخر، أي خُلِقْنَا كما خُلِقَ من كان قَبْلَنَا، نحيا
كما حَيَوْا، ونموتُ كما ماتوا وَلَا نُبْعَثُ، لأنَّهُمْ أنكَرُوا البعث.

وقوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾.

معناه احكم بيني وبينهم حكماً، والقاضي يسمى الْفَتَّاحُ مِنْ هَذَا.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

الأيكة الشجر الملتفُّ، ويقال أيكة وأَيْكٌ، مثل أَجَمَةٍ، وَأَجَمٌ
والفصل بين واحده وجمعه الهاء. ويقال في التفسير إن أصحاب
الأيكة هؤلاء كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، ويقال إن شجرهم هو الدَّوْمُ،
والدَّوْمُ هو شجر المُقْلِ، وأكثر القراء على إثبات الألف واللام في
الأيكة، وكذلك يَقْرَأُ أبو عمرو وأكثر القراء، وقرأ أهل المدينة أصحابُ
لَيْكَةٍ مفتوحة اللام^(١)، فإذا وَقَفَ على أَصْحَابِ، قَالَ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ،
وكذلك هي في هذه السُّورَةِ بغير ألف في المصحف، وكذلك أيضاً في
سورة (ص) بغير ألف وفي سائر القرآن بألف. ويجوز وهو حسن جداً:
«كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ» بِغَيْرِ أَلْفٍ فِي الْخَطِّ عَلَى الْكُسْرِ، عَلَى

(١) واعتبرت أيضاً ممنوعة من الصرف ففتح آخرها لأن «ال» تنوين.

أن الأصل الأيكة فَأَلْقَيْتِ الْهَمْزَةَ فَقِيلَ لَيْكَةَ، والعرب تقول الاحمر جاءني، وتقول إذا أَلْقَتْ الهمزة لَحْمَرُ جَاءَ فِي بَفَتْحِ اللَّامِ وَاثْبَاتِ الْفِ الْوَصْلِ، ويقولون أيضاً: لَاحْمَرُ جَاءَنِي يُرِيدُونَ الْأَحْمَرَ، وَاثْبَاتِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ فِيهِمَا فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَذْفَ الْهَمْزَةِ مِنْهَا الَّتِي هِيَ الْفِ الْوَصْلِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِمْ لِأَحْمَرَ.

قال أَبُو إِسْحَاقَ: أَعْنِي إِنَّ الْقِرَاءَةَ بِجَرِّ لَيْكَةَ، وَأَنْتَ تَرِيدُ الْأَيْكَةَ وَاللَّامَ، أَجُودُ مِنْ أَنْ تَجْعَلَهَا لَيْكَةَ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ الْأَلْفَ وَاللَّامَ وَتَفْتَحُهَا لِأَنَّهَا لَا تَنْصَرِفُ، لِأَنَّ لَيْكَةَ لَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا هِيَ أَيْكَةُ لِلوَاحِدِ وَأَيْكَ لِلجَمْعِ، فَأَجُودُ الْقِرَاءَةَ فِيهَا الْكُسْرَ، وَإِسْقَاطَ الْهَمْزَةَ لِمُوَافَقَةِ الْمَصْحَفِ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَفْتَحُونَ عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ اسْمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَيْكَةُ». وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ يَخْتَارُ قِرَاءَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْفَتْحَ، لِأَنَّ لَيْكَةَ لَا تَنْصَرِفُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ اخْتَارَ ذَلِكَ لِمُوَافَقَتِهَا الْكِتَابَ مَعَ مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ، كَأَنَّهَا تَسْمَى الْمَدِينَةَ الْاَيْكَةَ، وَتَسْمَى الْغِيْضَةُ الَّتِي تَضُمُّ هَذَا الشَّجَرَ الْاَيْكَةَ. وَالْكَسْرُ جَيِّدٌ^(١) عَلَى مَا وَصَفْنَا، وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَدْ قَرِئَ بِهِ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾.

الظُّلَّةُ سَحَابٌ أَظْلَمَتْهُمْ، فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهَا مُسْتَجِيرِينَ بِهَا مِمَّا نَالَهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ثُمَّ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ يَوْمٍ فِي الدُّنْيَا عَذَاباً.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

(١) أي جر الأيكة لمراعاة تعريفها بالألف واللام.

ولو كان في غير القرآن لجاز عَظِيماً، والجرُّ أَجودُ كَمَا جَاءَ به القرآن.

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ، يعني به الْفُرُوجُ، وعلى ذلك التفسير. وذلك أَنَّ قومَ لوطٍ كانوا يَعْدِلُونَ في النساء عن الفروج إلى الأدبار، فأعلم الله عز وجلَّ أَنَّهُمْ بفعلِهِمْ هذا عَادُونَ.

وعادون ظالمون غاية الظلم.

ويروى أَنَّ ابنَ عُمَرَ سئل عن التَّحْمِيضِ، فقال: أَوْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ والتَّحْمِيضُ فعل قوم لوط بالنساء والرجال. ومن أجاز هذا في النساء فمخطئ خطأ عظيماً.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾.

والقالي التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة.

وقوله: ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾.

جاء في التفسير في الباقيين في العذاب، والغابر في اللغة الباقي وأنشدوا للعجاج^(١).

فما وني محمدٌ مُذْ أَنْ عَفَرَ لَهُ الْإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ

(١) الرجز للعجاج وهو في ديوانه ص ١٥ - والقرطبي ٢٤٦/٧ والطبري ١٩٨/١١، ١١٢/١٦.

(بولاق) - وهو يمدح به عمر بن عبد الله بن معمر - ومحمد يعني به رسول الله ﷺ وهو يعني أنه ﷺ غفر الله له ما تقدم وما تأخر، ولم يقصر في عبادته.

وأنشدوا للعجاج^(١):

لَا تَكْشَعِ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَنِ النَّاتِجِ
أَغْبَارِهَا مَا بَقِيَ مِنَ اللَّبَنِ فِي أَخْلَافِ النَّاقَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

ويقراً نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، المعنى نزل الله به الروح الأمين،
والروح الأمين جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾.

مَعْنَاهُ نَزَلَ عَلَيْكَ فَوْعَاهُ قَلْبُكَ وَتَبَّتْ فَلَا تَنْسَاهُ أَبَدًا وَلَا شَيْئًا مِنْهُ،
كما قال عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾.

تأويله والله أعلم أَنَّ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَكَرَ الْقُرْآنُ فِي زُبُرِ
الْأَوَّلِينَ، وَالزُّبُرُ الْكُتُبُ، زُبُورٌ وَزُبُرٌ مِثْلُ قَوْلِكَ رَسُولٌ وَرُسُلٌ كَمَا قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾.

(١) الشعر للحرث بن حلزة - والمضارع مجزوم بلا الناهية - وكسع الناقة أن يترك في ضرعها بقية من لبن - والعرب تقول: كسع الناقة بغيرها والغبر هو هذه البقية. والشُّوْلُ جمع شائلة وهي التي بلغت سبعا، يقول لا ترك شيئا من لبن الناقة بل احلبها للضيف، فقد يستولي عليها عدوك فيبوء دونك بنفعها - فهو اذن ناتجها. وانظر اللسان (غبر - كسع - نتج). ومعاني الفراء ٢/٢٨٢، والقرطبي ٣/١٣٣، ونسبته للعجاج غير جيدة.

(٢) سورة الأعلى آية ٦.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٧.

عطف على الكاف والميم^(١). المعنى اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وخلق
الْجِبْلَةَ الْأَوَّلِينَ، وبقراً والجِبْلَةَ بضم الجيم والباء، ويجوز: والجِبْلَةَ
الأولين والجِبْلَةَ الأولين. فأما الْأَوَّلِيَّانِ فالقراءة بهما، وهاتان جائزتان.

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ - وَكِسْفًا - يُقْرَأُ بهما جميعاً.

فمن قرأ كِسْفًا - بِإِسْكَانِ السَّيْنِ - فمعناه جانباً، وَمَنْ قرأ كِسْفًا
فتأويله قِطْعًا من السماء جمع كِسْفَةٍ وَكِسْفٍ، مثل كِسْرَةٍ وَكِسَرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ [عُلَمَاءُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ]﴾.

إذا قلت يَكُنْ فالاختيار نصب ﴿آيَةٍ﴾، ويكون ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ اسم كان
ويكون آيَةٌ خبر كان، المعنى أو لم يكن عِلْمٌ علماء بني إسرائيل أن
النبي عليه السلام حق وأن نبوته حق آيَةٌ؟ أي علامة مَوْضِحَةٌ، لأن
الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي عليه السلام
﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ كما قال الله عز وجل^(٢). ومن قرأ أو
لم تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ - بالتاء - جعل «آيَةٌ» هي الاسم، و«أَنْ يَعْلَمَهُ» خبر يكن،
ويجوز أيضاً أو لم تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ بالتاء ونصب آيَةٌ كما قال عز وجل: ﴿ثُمَّ لَمْ
تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(٣)، ومثله قول لبيد^(٤):

فمضى وقدمها وكانت عادةً منه إذا هي عَرَدَتْ أَقْدَامُهَا

(١) الآية: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبْلَةَ الْأَوَّلِينَ﴾ فالجِبْلَةُ عطف على الضمير المنصوب في
خلقكم.

(٢) في الآية السابقة من سورة الأعراف ١٥٧.

(٣) سورة الأنعام / ٢٣.

(٤) من معلقته يصف غييراً وأتناً تعدو نحو الماء، والفاعل في مضى العير والضمير في قدمها =

فنصب «عادة» وقد آثت «كَانَتْ» وهي للأقدام، لأن الاسم والخبر في كان لشيء واحد وقد جاورَ الفعلَ لفظ التانيث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾.

﴿الأعجمين﴾ جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم الذي لا يفصح، وكذلك الأعجمي، فأما العجمي فالذي من جنس العجم، أفصح أولم يفصح.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

أي سلكناهم تكذيبهم به في قلوبهم، جعل الله - عز وجل - مجازاتهم أن طبع على قلوبهم وسلك فيها الشرك.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

أخبر عز وجل أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمان

به.

وقوله عز وجل: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: معنى بغتة فجاءة.

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى﴾.

[ذكرى] يكون نصباً ويكون رفعاً إلا أن الإعراب لا يظهر فيها لأن آخرها ألف مقصورة، فمن نصب فعلى المصدر ودل عليه الإنذار لأن قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ معناه إلا لها مذكرون ذكرى، ويجوز أن تكون

= للأتان، أي مضى العير نحو الماء وقدم أثناء، وكانت عادته أن يقدم الأتان إذا تراخت. وهو معنى عرّدت. والتأخير الجبن والتأخر، والاقدام مصدر أقدم بمعنى قدم، وأنت الفعل لما ذكر المصنف أو لأن الاقدام بمعنى التقدم - كما قال الآخر: غفرنا وكانت من سَجِينَا الْغَفْرِ، أي المغفرة. وإقدامها اسم كان وعادة هي الخبر - انظر شرح الزوزني. ص ١٠٤ ط صحيح.

في موضع رفع على معنى إنذارنا ذكركي، على خبر الابتداء، ويجوز
ذكرأوما كنا ظالمين، مَنُونٌ ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلا أن
تثبت بها روايةً صحيحةً، يقال: ذكَّرتُه ذكركي بألف التانيث وذكرته ذكراً
وتذكيراً وتذكيرةً وذكراً، وهو مِنِّي على ذكرك لا غير.

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقرأ الحسن الشَّيَاطُونُ، وهو غَلَطٌ عِنْدَ النحويين، ومخالفةٌ عند
القراء للمصحف. فليس يجوز في قراءة ولا عند النحويين، ولو كان
يجوز في النحو، والمصحف على خلافه لم تجزْ عندي القراءة به.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾.

لَمَّا رُمُوا بالنجوم مُنِعُوا مِنَ السَّمْعِ.

وقوله عز جل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

يُرَوَّى في التفسير أنه لما نزلت هذه الآية نادى النبي ﷺ: يا بني
عبد المطلب، يا بني هاشم، يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا
صفية عمّة رسول الله، إني لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من
مالي ما شئتم. ويروى أيضاً أنه لما نزلت هذه الآية صعد الصفا،
ونادى الأقرب فالأقرب فخذاً فخذاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

تأويله: أَلِنْ جَنَاحَكَ، أَمِرَ النبي ﷺ بإلانة الجانب مع ما وصفه.
الله به من لين الخلق وتعظيم خلقه في اللين وجميل الأخلاق، فقال:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ﷺ.

(١) سورة «ن» الآية ٤.

وقوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.
أي المصلين.

وقوله: ﴿هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾.

ثم أنبا فقال: ﴿تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ﴾.

لأنه عز وجل قال: ﴿وَإِنه لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم قال ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ...﴾ وما تنزلت به الشَّيَاطِينُ كَالْمُتَّصِلِ بهذا، ثم أعلم أن الشياطين تنزل على كل آفاكٍ أثيم، أي على كل كذابٍ، لأنها كانت تأتي مُسَيَّلِمَةً الكَذَابَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْكُهْنَةِ فَيَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ وَيَزِيدُونَ أَوْلَئِكَ كَذِباً^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾.

ويجوز يَتَّبِعُهُم - بالتشديد والتخفيف - والغاؤون الشَّيَاطِينُ في التفسير، وقيل أيضاً الغاؤون من الناس، فإذا هجا الشاعر بما لا يجوز، هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وأخْبَوْه، وَهُمْ الغاؤون، وكذلك إن مَدَحَ مَمْدوحاً بما ليس فيه أَحَبُّ ذَلِكَ قَوْمٌ وتَابَعُوهُ فهم الغاؤون.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

ليس يعنى بِهِ أَوْدِيَةِ الْأَرْضِ، إنما هو مثل لقولهم وشعرهم، كما تقول في الكلام: أنا لك في وادٍ وَأَنْتَ لي في وادٍ، وليس يُريدُ أنك في وادٍ من الْأَرْضِ، إنما يريدُ أنا لك في وادٍ مِنَ النِّفَعِ كَبِيرٍ وَأَنْتَ لي في صِنْفٍ. والمعنى أَنَّهُمْ يَغْلُونَ فِي الدِّمِّ وَالْمَدْحِ، وَيُكْذِبُونَ. ويمدحُ [الشَّاعِرُ] الرَّجُلَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وكذلك الدِّمُّ فَيَسْبُونَ، فذلك قوله:

(١) تزيد الشياطين هؤلاء القوم كذباً.

﴿فِي كُلِّ وَاِدٍ يَّهِيْمُوْنَ وَاَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا لَا يَفْعَلُوْنَ﴾.

وهذا دليل على تكذيبهم في قَوْلِهِمْ . ثم استثنى - عز وجل -
الشعراء الذين مَدَحُوا رسول الله ﷺ وَرَدُّوا هَجَاءَ مَنْ هَجَاهُ وَهَجَا
المسلمين فقال :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

أي لَمْ يَشْغَلْهُمْ الشَّعْرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ هِمَّتَهُمْ،
إِنَّمَا نَسَاضَلُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَهَجَّوْا مَنْ يَسْتَحِقُّ
الهَجَاءَ وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِالْهَجَاءِ مَنْ كَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهَجَاهُ، فقال :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾.

وجاء في التفسير أن الذين عُنُوا بـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾
عبدُ الله بنُ رواحة الأنصاري وكعبُ بن مَالِك وحَسَّانُ بن ثابت
الأنصاري .

وقوله : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

يعني أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يُخْلَدُونَ فيها . و «أي» منصوبة
بقوله يَنْقَلِبُونَ، لا بقوله وَسَيَعْلَمُ، لَأَنَّ «أَيًّا» وَسَائِرَ الاستفهام لا يعمل
فيها مَا قَبْلَهَا^(١) .

(١) أي إن «أَيَّ» مفعول مطلق - أي ينقلبون أي انقلاب .

سُورَةُ النَّملِ مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طس﴾.

قال ابن عباس ﴿طس﴾ اسم من أسماء الله [تعالى] أقسم به، وقال قتادة إنه اسم من أسماء القرآن.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

معنى ﴿تلك﴾ أنهم كانوا وعدوا بالقرآن في كُتُبِهِمْ، فقليل لهم هذه «تلك الآيات» التي وُعِدْتُمْ بِهَا، وقد فسرنا ما في هذا في أول سورة البقرة و «كتاب» مخفوض على معنى تلك آيات القرآن آياتُ كِتَابٍ مُبِينٍ، ويجوز وكتابٌ مُبِينٌ، ولا أعلم أحداً قرأ بها، ويكون المعنى: تلك آيات القرآن وذلك كِتَابٌ مُبِينٌ.

وقوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون «هُدًى» في موضع نَصْبٍ على الحال، المعنى: تلك آيات الكتاب هَادِيَةٌ وَمُبَشِّرَةٌ. ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين، إحداهما على إضمار هُوَ هُدًى وبُشْرَى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وبُشْرَى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وَبُشْرَى. وفي الرفع وجه ثالثٌ حَسَنٌ، على أن

يكون خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ، وهما جميعاً خَبْرٌ لِتِلْكَ على معنى قولهم: هو حُلُو حَامِضٌ أي قد جمع الطعمين، فيكون خير تلك آيات وخبرها هدى وبشرى، فتجمع أنها آيات وأنها هَادِيَةٌ مُبَشِّرَةٌ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَاهُمْ﴾. أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أَنْ زَيْنًا لَّهُمْ مَا هُمْ فِيهِ. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾.

أي يتحيرون، قال العجاج^(١):

أعمى الهدى بالجاهلين العُمة

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

أي يلقي إليك القرآن وَحْيًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَنْزَلَهُ بعلمه وَحْكَمَتِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾.

مَوْضِعٌ إِذْ نَضَبُ، المعنى اذْكَرْ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ، أي اذكر قِصَّةَ مُوسَى، وَمَعْنَى آنَسْتُ نَارًا رَأَيْتُ نَارًا.

وقوله - عز وجل - ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

يقرأ بالتَّنوين وبالإضافة، فمن نَوْنٍ جعل «قَبَسٍ» من صِفَةِ شِهَابٍ، وكلُّ أبيضٍ ذي نُورٍ فَهُوَ شِهَابٌ.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا في شتاءٍ، فلذلك احتاجوا إلى الاصطلاء وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾.

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٩١.

أي فلمَّا جاء موسى النار ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

فموضع «أَنْ» إن شئت كان نصباً وإن شئت كان رُفعاً، فمن حكم عليها بالنصب فالمعنى نودِيَ مُوسَى بأنَّه بورك من في النَّار، واسم ما لم يُسمِّ فاعله مُضْمَرٌ في نُودِيَ، ومن حكم عَلَيْهَا بِالرُّفْعِ، كَانَتْ اسم ما لم يُسمِّ فاعله، أي نُودِيَ أَنْ بُورِكَ. وجاء في التفسير أَنَّ ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ ههنا نورُ الله - عز وجل - ﴿ومن حولها﴾ قيل الملائكة وقيل نور الله. وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه تنزيه الله تبارك وتعالى عن السُّوء، كذلك جاء عن النبي ﷺ وكذا فسره أهل اللغة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾. أي تتحرك كما يتحرك الجَانُّ حركةً خفيفة، وكانت في صورة الثُّعْبَانِ، وهو العظيم من الحيات. ﴿وَلَيْ مُذْبِرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

جاء في التفسير «لم يُعَقِّبْ» لم يلتفت، وجاء أيضاً لم يَرْجِعْ، وأهل اللغة يقولون لم يرجع، يقال: قَدْ عَقَّبَ فُلَانٌ إِذَا رَجَعَ يُقَاتِلُ بَعْدَ أَنْ وَلَّى، قال لبيد^(١):

حتى تهجَّرَ في الرُّوَّاحِ وهاجه طَلَبُ المَعْقِبِ حَقَّه المَظْلُومُ

(١) اللسان (عقب) والخزانة ٢٠٨ ج ٢ (سلفية) الشاهد ١٢٢. وتهجَّرَ سار في وقت الهجير. منتصف النهار. والرواح الوقت من بعد الزوال الى الغروب، والبيت ضمن أبيات يصف بها لبيد حماراً وأتانه. وانظر شواهد الكشف: الآية ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ ومشاهد الانصاف ١١٧. والتقدير طلب المعقب المظلوم حقه. والمعقب مضاف إليه في محل رفع فاعل طلب، فتعت بمرفوع.

وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

معناه لا يخاف عندي المرسلون .

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ .

إلا استثناء ليس من الأول ، والمعنى ، والله أعلم ، لكن من ظلم ثم تاب من المرسلين وغيرهم ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ .

المعنى أدخل يدك في جيبك وأخرجها تخرج بيضاء من غير سوء . جاء في التفسير ﴿من غير سوء﴾ من غير برص ، وجاء أيضاً ، أنه كانت عليه مَذْرَعَةٌ صُوفٌ بغير كُمَيْنِ .

وقوله عز وجل: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ .

«في» من صلة قوله: وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ ، وأدخل يدك . فالتأويل : وأظهر هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي تِسْعِ آيَاتٍ وَتَأْوِيلُهُ مِنْ بَيْنِ آيَاتٍ . وجاء في التفسير أَنَّ التِّسْعَ كَوْنُ يَدِهِ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَكَوْنُ الْعَصَا حَيَّةً وَمَا أَصَابَ آلَ فِرْعَوْنَ مِنَ الْجَذْبِ فِي بَوَادِيهِمْ ، وَنَقْصُ الثَّمَارِ مِنْ مَزَارِعِهِمْ ، وَإِرْسَالُ الْجَرَادِ عَلَيْهِمْ ، وَالْقُمَّلُ ، وَالضَّفَادِعُ ، وَالِدَّمَ وَالطُّوفَانُ . فهذه تِسْعُ آيَاتٍ .

ومثل قوله: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ ، وَمَعْنَاهُ ، مِنْ تِسْعِ قَوْلِهِمْ : خُذْ لِي عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فِيهَا فَحْلَانِ ، المعنى منها فَحْلَانِ .

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ .

أي واضحة، ويجوز مُبَصَّرَةً، ومعناها مُبَيَّنَةٌ تُبَصَّرُ وتُرى.

وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

المعنى: وجحدوا بها ظُلْمًا وَعُلُوًّا، [أي] تَرْفَعًا عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بما جاء به مُوسَى عليه السلام. فَجَحَدُوا بها وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وقوله عز جل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾.

جاء في التفسير أنه وَرَثَهُ نُبُوَّتُهُ وَمُلْكُهُ، وَرُوي أنه كان لداود تسعة عشر ولداً فورثه سُلَيْمَانُ من بينهم النُّبُوَّةُ وَالْمُلْكُ^(١).

وقوله: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

وجاء في التفسير أنه الْبُلَّةُ مِنْهَا^(٢). وأحسبه - والله أعلم - مَا أَلْهَمَ اللَّهُ الطَّيْرَ مما يُسَبِّحُهُ به، كما قال: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

المعنى أوتينا من كل شيء يجوز أَنْ يُؤْتَاهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالنَّاسُ وكذلك قوله: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) أي من كل شيء يؤتاه مِثْلُهَا وعلى هذا جرى كلام النَّاسِ، يقول القائل: قد قَصَدَ فُلَاناً كلَّ أَحَدٍ فِي حَاجَتِهِ، المعنى قصده كثير من الناس.

(١) أي إن سليمان من بين الاخوة وَرِثَ أَبَاهُ فِي النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ.

(٢) كذا بالأصل وليست واضحة المعنى.

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٩. (٤) الآية ٢٣ من هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

في اللغة يُوزَعُونَ يُكْفُونَ، وجاء في التفسير يُكْفُ أَوْلَهُمْ ويحبس أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ﴾.

يروى أن وادي النمل هذا كان بِالشَّامِ، وأن نَمْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مثال الذُّبَابِ.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.

جاء لفظ ادْخُلُوا كلفظ ما يَعْقِلُ، يقال للناس: ادخلوا وكذلك للملائكة والجنِّ، وكذلك دَخَلُوا، فإذا ذكرت النمل قلت: قَدْ دَخَلْنَ وَدَخَلْتُ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إِلَّا أَنَّ النمل ههنا أُجْرِي مَجْرَى الْأَدَمِيِّينَ حين نطق كما ينطق الْأَدَمِيُّونَ.

﴿لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾.

ويقراء ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾، ولا تُحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ، ولا يُحْطِمَنَّكُمْ جائزٌ.

وقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾.

لأنَّ أَكْثَرَ ضِحِكِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التَّبَسُّمُ، وَضَاحِكًا منصوب، حال مُؤَكَّدَةٌ، لأنَّ تَبَسَّمَ بمعنى ضَحِكَ.

﴿وقال: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

معنى ﴿أَوْزِعْنِي﴾ أَلْهِمْنِي، وتأويله في اللغة كَفَّنِي عن الأشياء إِلَّا

عَنْ شُكْرِ نِعْمَتِكَ ، أَيِ كُفْنِي عَمَّا يَبَاعِدُ مِنْكَ ، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ .

بفتح الياء وإسكانها في مَالِي ، والفتحُ أَجُودٌ ، وقد فسرنا ذلك .
وقوله أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، معناه بَلْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ^(١) ، وجاء في التفسير أن سليمان ﷺ تفقد الهدد لأنه كان مهندس الماء ، وكان سُلَيْمَانُ عليه السلام ، إِذَا نَزَلَ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ عَرَفَ مَقْدَارَ مَسَافَةِ الْمَاءِ مِنَ الْهُدْهُدِ . وقيل إِنَّ الْهُدْهُدَ يَرَى الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ كَمَا يُرَى الْمَاءُ فِي الزُّجَاجَةِ .

وقوله عز وجل : ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ .

رُوي أن عذاب سُلَيْمَانَ - كان للطير - أن ينتف ريش جناح الطائر ويلقى في الشمس .

﴿أُولَئِكَ لِيُؤْتَيْنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ .

أَي لِيَأْتِيَنِي بِحُجَّةٍ فِي غَيْبَتِهِ .

وقوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ .

ويقرأ فَمَكَثَ بضم الكاف وفتحها ، أَي غَيْرَ وَقْتٍ بَعِيدٍ^(٢) .

وقوله : ﴿فَقَالَ أَحْطُتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ .

(١) المعروف في «أم» أو «بل» أنها لا يفارقها معنى الاستفهام ، وعليه يكون التقدير «بل أكان من الغائبين» - وعلى تقديره يكون سليمان قد جزم بأنه كان غائباً .

(٢) أي لم يمض غير وقت قليل حتى جاء الهدد .

المعنى فجاء الهذهُدُ فسأله سُلَيْمَانُ عن غَيْبته، فقال أَحَطْتُ بما لم تُحِطْ به، وحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى أَحَطْتُ علمتُ شيئاً من جميع جهاته، تقول: أَحَطْتُ بهذا علماً، أي علمته كُلُّه لم يَبْقَ عليّ منه شيء..

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾.

يقرأ بالصرف والتنوين، ويقرأ من سَبَأٍ - بفتح سَبَأٍ وحذف التنوين، فأما من لم يَصْرِفْ فيجعله اسم مَدِينَةٍ، وأما من صَرَفَ، فذكر قوم من النحويين أنه اسمُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وذكر آخرون أن الاسم إذا لم يُذَرَّ ما هُوَ لم يَصْرِفَ، وأحد هذين القولين خطأ لأن الأسماء حقها الصَّرْفُ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أو للمؤنث فحقه الصَّرْفُ حَتَّى يُعْلَمَ أنه لا ينصرف، لأن أصل الأسماء الصَّرْفُ، وكل ما لا ينصرف فهو يُصَرَّفُ في الشعر. وأما الذين قالوا إن سَبَأَ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سَبَأَ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثة أَيَّامٍ، قال الشاعر:

من سَبَأِ الحاضرين مَأْرِبَ إِذْ يَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا^(١)
فمن لم يصرف لأنه اسم مدينة، ومن صرفه - والصرف فيه أكثر في القراءة - فلأنه يكون اسماً لِلْبَلَدِ فيكون مُذَكَّرًا سُمِّيَ بِهِ مُذَكَّرًا فَإِنْ صَحَّتْ فِيهِ رَوَايَةٌ، فَإِنَّمَا هُوَ أَنَّ الْمَدِينَةَ سُمِّيَتْ بِاسْمِ رَجُلٍ.

(١) البيت لأمية بن أبي الصَّلْتِ وهو في ديوانه ٥١، وفي الجمهرة ٢١٥/٣ والقرطبي ٢٨٣/١٤، واللسان (عزم) وكتاب سيويه ٢٨/٢، وينسب البيت للناطقة الجعدي وهو في ديوانه ١٣٤، وينسب للأعشى. وحَاضِرُوا مَأْرِبَ، المقيمون على الماء بها، والعزم جمع عزمة وهي السد العالي. أي المقيمون على هذا الماء يبنون السدود من دونه حتى لا يتبدد.

وقوله: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ﴾.

معناه وأوتيت من كل شيء تعطاه الملوك ويؤتاه الناس، والعَرْشُ سريرٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ويقرأ أَلَّا يسجدوا، فمن قرأ بالتشديد، فالمعنى وزَّينَ لهم الشيطان أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ أَلَّا يسجدوا، أي فَصَدَّهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ، وَمَوْضِعُ أَنْ نَضَبَ بقوله فَصَدَّهُمْ، ويجوز أن يكون مَوْضِعُهَا جَرًّا وَإِنْ حُذِفَتِ اللَّامُ. ومن قرأ بالتخفيف فَأَلَّا لِابْتِدَاءِ الكلام والتنبية، والوقوف عليه أَلَايَا - ثم يستأنف فيقول: اسْجُدُوا لِلَّهِ، وَمَنْ قرأ بالتخفيف فهو موضع سَجْدَةٍ من القرآن ومن قرأ أَلَّا يَسْجُدُوا - بالتشديد - فليس بموضع سَجْدَةٍ، ومثل قوله أَلَّا يَسْجُدُوا بالتخفيف قول ذي الرُّمَّةِ.

الَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبِلَا ولا زال مُنْهَلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ^(١)
وقال الأَخْطَلُ:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وإن كان حَيَّانَا عِدَى آخِرِ الدَّهْرِ^(٢)
وقال العجاج^(٣):

(١) الديوان ص ٢٠٦ مطلع قصيدة، واللسان (يا) وشواهد المغني ٢١٠ ومعه قصص طريف والجرعاء أرض رَمْلِيَّةٌ مُسْتَوِيَّةٌ لَا نَبَاتَ بِهَا - وقام حول البيت نقد ودفاع ذكره السيوطي في شواهد المغني - فيحسن الرجوع إليه.

(٢) البيت في ديوان الأَخْطَل ١٦٣، وأمالِي القالي ٦٥/٣ ومجاز أبي عبيدة ٩٤/٢، وابن يعيش ٢٤/٢، ومعاني الفراء ٢٩٠/٢.

(٣) تقدم في الجزء الأول - وانظر ديوانه ص ٥٨، وابن يعيش ٨٩٠/١.

يا دار سَلَمَى يا اسلمي ثم اسلمي عَنْ سَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِينِ سَمْسَمٍ
وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلنا، وإنما
فعلوا ذلك لقلّة اعتياد العامّة لدخول «يا» إلّا في النداء، لا تكادُ العامّة
تقول: يَا قَدْ قَدِمَ زَيْدٌ، ولا يا اذْهَبْ بِسَلامٍ .

وقوله: ﴿لِلّٰهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ .
كل ما خبأته فهو خبء، وجاء في التفسير أن الخبء ههنا القَطْرُ
من السَّمَاءِ، والنبات من الأرض . ويجوز وهو الوجه أن يكون الخبء
كل ما غاب، فيكون المعنى يعلم الغيب في السموات والأرض،
ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ .
وفي قوله تعالى: ﴿أَلْقِهٖ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ - خمسة أوجه:

فأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ بإثبات الياء - وهو أكثر القراءة، ويجوز فأَلْقِهٖ -
إِلَيْهِمْ بحذف الياء وإثبات الكسرة، لأن أصله فأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ . فحذفت
الياء للجزم، أعني ياء أَلْقِيهِ، ويجوز فأَلْقِيهِمْ بإثبات الواو،
ويجوز فأَلْقِهٖ إِلَيْهِمْ بالضم، وحذفت الواو، وقد قرئ فأَلْقِهٖ إِلَيْهِمْ
باسكان الهاء . فاما إثبات الياء فهو أجودها فأَلْقِيهِ، فإن الياء التي
تسقط للجزم قد سقطت قبل الهاء، لأن الأصل فأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ، ومن
حذف الياء وترك الكسرة بعد الهاء فلائنه كان إذا أثبت الياء في قولك
أنا أَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ كان الاختيار حذف الياء التي بعد الهاء . وقد شرحنا
ذلك في قوله يُودِّهِ إِلَيْكَ شرحاً كافياً .

ومن قرأ فأَلْقِيهِمْ إِلَيْهِمْ ردّه إلى أصله، والأصل إثبات الواو مع هاء
الإضمار . تقول أَلْقِيْتُهُو إِلَيْكَ . ومعنى قولنا إثبات الواو والياء أعني
في اللفظ ووصل الكلام، فإذا وقفت وقفت بهاء، وإذا كتبت كتبت

بهاء. ومن قرأ بحذف الواو وإثبات الضمة فذلك مثل حذف الياء وإثبات الكسرة، وَمَنْ أَسْكَنَ الهَاءَ فغالط، لأن لهاء ليست بمجزومة ولها^(١) وَجْهٌ من القياس، وهو أنه يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقى كسرة.

قال الشاعر:

فإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنِّي سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا
وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فيه قولان. قال بعضهم: معناه التقديم والتأخير، معناه اذهب بكتابي هذا فאלقه إليهم فانظر ماذا يَرْجِعُونَ ثم تول عنهم، وقال هذا لأن رُجُوعَهُ من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظر ما الجواب^(٢)، وهذا حسن، والتقديم والتأخير كثير في الكلام، وقالوا معنى ﴿ثم تول عنهم﴾: تول عنهم مُسْتَتِرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَكَ، فانظر ماذا يردُّونَ مِنَ الجواب.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾.

فمضى الهدهد فالقى الكتاب إليهم فسمِعَهَا تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى ﴿كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ حَسَنٌ ما فيه، ثم بَيَّنَّتْ ما فيه فَقَالَتْ:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

(١) في نسخة «وله» كما أشير في الهامش.

(٢) أي إن التولي إنما يكون بعد معرفة إجابتهم.

فهذا ما كان في الكتاب، وكتبُ الأنبياء صلواتُ الله عليهم جاريةً على الإيجاز والاختصار، وقد رُوِيَ أن الكتاب كان من عبد الله سُليمانَ إلى بلقيس بنت سراحيل، وإنما كتب الناس من عبد الله احتذاءً بسُليمانَ.

ومعنى ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾: أَلَّا تَرْفَعُوا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾.

أَيَّ بَيِّنُوا لِي مَا أَعْمَلُ، والملأُ وجوهُ القومِ، الذين هم مُلأٌ بما يحتاجُ إليه.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

ويروى أنه كان معها ألف قيلٍ والقيلُ الملك، ومع كل قيل ألف رجلٍ، وقيل مائة ألف رجل، وأكثر الرواية مائة ألف رجل.

وقوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾.

بكسر النون، ولا يجوز فتح النون لأن أصله حتى «تشهدونني» فحذفت النون الأولى للنصب وبقيت النون والياء للاسم، وحذفت الياء لأن الكسرة تدل عليها، ولأنه آخر آية، ومن فتح النون فلاجن، لأن النون إذا فتحت فهي نون الرفع، وليس هذا من التي ترفع فيه حتى، ويجوز أنه من سُليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، بفتح الألف فيكون موضع أن الرفع على معنى: أُلقي إلي أنه من سُليمان، ويجوز أن تكون أن في موضع نصبٍ على معنى كتاب كريم لأنه من سُليمان ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم، فأما ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ فيجوز أن يكون أن في موضع رفعٍ وفي موضع نصبٍ، فالنصب على معنى كِتَابٌ بِأَنَّ لَا

تَعْلُوا عَلَيَّ أَي كَتَبَ بِتَرْكِ الْعُلُوِّ، وَيَجُوزُ عَلَى مَعْنَى: أَلْقَيْ إِيَّيَّ الْأَ تَعْلُوا عَلَيَّ، وَفِيهَا وَجْهٌ آخَرُ حَسَنٌ عَلَى مَعْنَى قَالَ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ، وَفَسَّرَ سِيبَوِيهِ وَالْخَلِيلُ أَنَّ «أَنَّ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي تَأْوِيلِ أَي^(١)، عَلَى مَعْنَى أَي لَا تَعْلُوا عَلَيَّ، وَمِثْلُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا﴾^(٢) وَتَأْوِيلُ أَي هَهُنَا تَأْوِيلُ الْقَوْلِ وَالتَّفْسِيرِ: كَمَا تَقُولُ فَعَلَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، أَي إِنِّي جَوَادٌ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: يَقُولُ إِنِّي جَوَادٌ.

وقوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾.

مَعْنَاهُ إِذَا دَخَلُوهَا غَنَوَةً عَنْ قِتَالٍ وَغَلَبَةٍ.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَأَنَّهَا هِيَ قَدْ ذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فَلَيْسَ فِي تَكْرِيرِ هَذَا مِنْهَا فَائِدَةٌ.

وقوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾.

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا أَهْدَتْ سُلَيْمَانَ لَبِنَةً ذَهَبٍ فِي حَرِيرٍ، وَقِيلَ لَبِنٌ ذَهَبٌ فِي حَرِيرٍ. فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ بِلَبِنَةٍ ذَهَبٍ^(٣) فَطَرَحَتْ تَحْتَ الدَّوَابِّ، حَيْثُ تَبُولُ عَلَيْهَا الدَّوَابُّ وَتَرُوثُ، فَصَغُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ مَا جَاءَ بِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ، وَقَدْ ذُكِرَ، أَنَّ الْهَدِيَّةَ قَدْ كَانَتْ غَيْرَ هَذَا، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ سُلَيْمَانَ: ﴿أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ مَالًا.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

(١) أَي هِيَ تَفْسِيرِيَّةٌ.

(٢) سُورَةُ صَ الْآيَةُ ٦.

(٣) مِنَ اللَّبَنِ الَّذِي أَحْضَرُوهُ.

حروف الجر مع «مَا» في الاستفهام تحذف معها الألف من «مَا»
لأنَّهُمَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وَلِيُقْصَلَ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالِاسْتِفْهَامِ؛ تَقُولُ: قَدْ
رَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَكَ، فَتَثْبُتُ الْأَلْفُ، وَتَقُولُ: فِيمَ نَظَرْتُ يَا هَذَا فَتَحْذِفُ
الْأَلْفَ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانٌ﴾.

معناه فلما جاء رَسُولُهَا سُلَيْمَانُ، ويجوز أن يكون فَلَمَّا جَاءَ
بِرُّهَا^(١) سُلَيْمَانُ إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ: أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ مَخَاطَبَةً لِلرَّسُولِ.

وقوله تعالى: ﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾.

معناه لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُقَاوَمَةِ جُنُودِهَا.

وقوله: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾: أي بسريرها.

﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

أحب سليمان ﷺ أن يأخذ السَّرِيرَ مِنْ حَيْثُ يَجُوزُ أَخْذُهُ، لِأَنَّهُمْ لَوْ
أَتَوْا مُسْلِمِينَ لَمْ يَجْزُ أَخْذُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ سُلَيْمَانُ
إِظْهَارَ آيَةٍ مُعْجِزَةٍ فِي تَصْيِيرِ الْعَرْشِ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ لِأَنَّهَا مِنْ
الْآيَاتِ الْمَعْجَزَاتِ.

﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ﴾.

والعفريت النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خُبثٍ وَدَهَاءٍ، يُقَالُ:
رَجُلٌ عَفْرٌ وَعَفْرِيَّتٌ، وَعَفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ، وَنُفَارِيَّةٌ، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ.

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

(١) أي هديتها والمال الذي بعثت به - وانظر هل يصح أن يسمى برًّا.

أي مقدار جُلُوسِكَ الَّذِي تَجْلِسُهُ مع أصحابك، وقيل قَبْلَ أَنْ تقومَ من مَجْلِسِكَ لِلْحُكْمِ .

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ .

ويقال إنه آصف بن برخيا .

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ .

أي بمقدار ما يبلغُ البالغُ إلى نهايةِ نظرك ثم يَعُودُ إِلَيْكَ، وقيل في مِقْدَارِ ما تفتح عَيْنَكَ ثُمَّ تَطْرِفُ، وهذا أشبه بارتدادِ الطرف، ومثله من الكلام: فعل ذلك في لحظة عَيْنٍ، أي في مِقْدَارِ ما نظر نظرة واحدة .

ويقال في التفسير إِنَّهُ دَعَا بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وقيل إنه: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل إِنَّهُ يَا إِلَهَنَا وَإِلَهَ الْخَلْقِ جَمِيعاً إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فذكر هذا الاسمَ ثم قال إئت بِعَرْشِهَا، فَلَمَّا اسْتَمْتَمَ ذَلِكَ ظَهَرَ السَّرِيرُ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ .

وقوله: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ .

الجزم في نَظَرَ الوجه وَعَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، ويجوز نَظَرَ بِالرُّفْعِ فمن جزم فلجواب الأمرِ، ومن رفع فعلى معنى فَسَنَنْظُرُ، وقوله أَتَهْتَدِي معناه أَتَهْتَدِي لِمَعْرِفَتِهِ أَمْ لَا .

وقوله: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ .

ولم تقل إنه عَرْشُهَا، وَلَا قَالَتْ: ليس هو بِعَرْشِهَا، شَبَّهَتْهُ بِهِ لِأَنَّهُ مُنْكَرٌ، يُرَوَى أَنَّهُ جُعِلَ أَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ .

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

أي صدها عن الايمان العادة التي كَانَتْ عَلَيْهَا^(١)، لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف الا قوماً يعبدون الشَّمْسَ، فَصَدَّتْهَا الْعَادَةُ، وَيَبَيِّنُ عَادَتَهَا بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

ويجوز أنها كَانَتْ من قوم كافرين فيكون المعنى صَدَّهَا كَوْنُهَا من قومٍ كَافِرِينَ ويكون مبيناً^(٢) عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾.

وَالصَّرْحُ فِي اللَّغَةِ الْقَصْرُ، وَالصُّحْنُ، يُقَالُ هَذِهِ سَاحَةُ الدَّارِ وَصَحْنَةُ الدَّارِ وَبَاحَةُ الدَّارِ وَقَاعَةُ الدَّارِ وَقَارِعَةُ الدَّارِ، هَذَا كُلُّهُ فِي مَعْنَى الصُّحْنِ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾.

أَي حَسِبَتْهُ مَاءً، وَكَانَ قَدْ عَمِلَ لِسُلَيْمَانَ صَحْنٌ^(٣) مِنْ قَوَارِيرَ وَتَحْتَهُ الْمَاءُ وَالسَّمَكُ، فَظَنَّتْ أَنَّهُ مَاءٌ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّ عَابُوا عِنْدَهُ سَاقِيهَا وَرِجْلَيْهَا وَذَكَرُوا أَنَّ رِجْلَيْهَا كَحَافِرِ الْحِمَارِ فَتَبَيَّنَ أَمْرُ رِجْلَيْهَا.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

(١) «ما» الموصولة في ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ هي عاداتها التي صَدَّتْهَا عَنِ الْإِيمَانِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ مَبِينٌ وَهُوَ خَطٌّ.

(٣) فِي الْأَصْلِ صَحْنًا.

أي فإذا قَوْمٌ صَالِحٍ فريقان مؤمن وكافر يختصمون فيقول كل فريقٍ مِنْهُمُ الْحَقُّ مَعِيَ، وطلبت الفرقَةُ الْكَافِرَةُ عَلَى تصديق صَالِحِ الْعَذَابِ،^(١) فقال: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾، أي لم قلتم إن كان ما أتيت به حَقًّا فأتنا بِالْعَذَابِ.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أي هَلَّا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ.

قوله: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾.

الأصل تطيّرنا فأدغمت التاء في السّطاء، واجتلبت الألف لسكون السّطاء، فإذا ابتدأت قُلْتَ اطَّيَّرْنَا بِكَ، وإذا وصلت لَمْ تُذَكِّرْ الألف. وتسقط لأنها ألف وصل.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي ما أصابكم من خَيْرٍ أو شَرٍّ فمن الله.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

[أي] تختبرون، ويجوز تُفْتَنُونَ من الْفِتْنَةِ، أي تطيّركم فِتْنَةً.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.
هؤلاء عتاة قَوْمٍ صَالِحٍ.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾. [ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ] ﴿

وَتَجُوزُ لَنُبَيِّتَنَّهُ، ويجوز لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله بالياء، فيها ثلاثة أَوْجُهٍ. فمن قرأ بالنون قرأ «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ» لِوَلِيِّهِ، ممن قرأ «لَنُبَيِّتَنَّهُ» بالتاء قرأ «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ» ومن قرأ «لَنُبَيِّتَنَّهُ» بالياء قرأ «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ» لِوَلِيِّهِ.

(١) تحدوه وطلبوا أن يسقط عليهم العذاب إن كان نبياً حقاً.

فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا: اخلِفُوا لِنُبَيْتِنَا وأهلَهُ، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا اخلِفُوا لتبَيْتِنَا، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ، والنون أَجُودٌ في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدخل نفسه في التاء لأنه إِذَا قَالَ تَقَاسَمُوا، فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ قالوا تقاسموا بالله لِيُبَيْتِنَا، فالمعنى قالوا لِيُبَيْتِنَا متقاسمين، فكأن هؤلاء نفر تحالفوا أَنْ يُبَيِّتُوا صَالِحًا وَيَقْتُلُوهُ وَأَهْلَهُ فِي بَيَاتِهِمْ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شَهِدُوا مَهْلِكُهُ وَمَهْلِكُ أَهْلِهِ، ويحلفون أنهم لصادقون. فهذا مَكْرٌ عَزَمُوا عَلَيْهِ.

قال الله - عز وجل: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فمضوا لِيُبْغِثِيهِمْ فأرسل الله عليهم صَخْرَةً فَدَمَغَتْهُمْ^(١)، وأرسل على باقي قومهم مَا قَتَلَهُمْ بِهِ.

وقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ﴾ [أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ] ﴿١﴾.

يقرأ إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ - بكسر إن وبفتحها - فمن قرأ بالكسر رفع العَاقِبَةُ لا غير، المعنى فانظر أي شيء كان عاقبة مُكْرِهِمْ، ثم فَسَّرَهَا فقال: إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ، فدل على أن العاقبة الدَّمَارُ، ومن قرأ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ - بالفتح - رفع العاقبة وإن شاء نَصَبَهَا، والرفعُ أَجُودٌ على معنى فانظر كيف كان عاقبة أَمْرِهِمْ، وأضمر العَاقِبَةَ. أَنَا دَمَرْنَاهُمْ. فيكون أنا في موضع رَفْعٍ عَلَى هذا التفسير، ويجوز أن تكون أنا في موضع نَصْبٍ، على معنى فانظر كيف كان عاقبة مكرهم لَأَنَا دَمَرْنَاهُمْ، ويجوز أن

(١) حطمت أدمغتهم.

تكون «أَنَا دَمَرْنَاهُمْ» خَبَرَ كَانَ المعنى فانظر كيف كان عاقبة مَكْرِهِمْ الدَّمَارَ، ويجوز أن يكون اسم كان أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَعَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ منصوبةٌ، المعنى فانظر كيف كان الدَّمَارُ عَاقِبَةَ مَكْرِهِمْ، وكيف في موضع نصب في جميع هذه الأقوال، - ونصبها - إِذَا جُعِلَتْ العَاقِبَةُ اسم كان وكيف الخبرُ لأنها في موضع خبر كان، فَإِذَا جُعِلَتْ (١) اسم كان وخبرها مَا بَعْدَهَا فهي (٢) منصوبة على الظرف (٣)، وعمل فيها جملة الكلام كما تقول: كيف كان زيدٌ، وكيف كان زيد قائماً.

وقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾.

أكثر القراء نَصَبَ خَاوِيَةً على الحال، المعنى فانظر إلى بُيُوتِهِمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا. ورفعها من أربعة أوجهٍ قد بَيَّنَّاها فيمن قرأ ﴿وهذا بَعْلِي شَيْخٌ﴾ (٤).

وقوله عز وجل: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾.

نَصَبَ لوط من جهتين، على معنى وَأَرْسَلْنَا لُوطاً وعلى معنى واذكر لُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، لأنه قد جرت أقاصيص رُسُلٍ، فدخل معنى اضممار اذكر ههنا.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة، فهو أعظم لذُنُوبِكُمْ.

﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(١) العاقبة.

(٢) كيف.

(٣) هي حال.

(٤) انظر تفسير سورة هود. الآية ٧٢.

يجوز على أوجه، الإِثْنَكُم بهمزيّن بينهما ألف، ويجوز أُثْنَكُم بهمزيّن مُحَقَّقَتَيْن، والأجودُ أيْنَكُم بجعل الهمزة الثانية بينَ بَيْنَ تكون بين الياء والهمزة.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

«جَوَابَ» خَبَرُ كَانَ وَ «أَنْ قَالُوا» الاسم، ويجوز فما كان جَوَابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قال قوم لوط هذا لِلْوَطِ ولَمَن آمَن مَعَهُ، على جهة الهزؤ بِهِمْ لأنهم تطهّروا عن أَذْبَارِ الرِّجَالِ وَأَذْبَارِ النِّسَاءِ.

ويروى عن ابن عمر أنه سُئِلَ: هل يجوز هذا في النساء؟ قيل له ما تَقُول في التحميص فقال: أو يفعل ذلك المُسْلِمُونَ؟ فهذا عظيم جداً^(١). وهو الذي سَمَّاهُ اللَّهُ فَاحِشَةً.

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وتشركون بالياء والتاء، ويقرأ آله، وآله، بالمد وترك المَدِّ، ويجوز - والله أعلم - الله خير أَمَّا يُشْرِكُونَ^(٢).

قال أبو إسحاق: إِذَا ضُمَّتِ التَّاءُ وَالْيَاءُ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ، وَإِذَا فُتِحَتْ التَّاءُ وَالرَّاءُ، فَمَعْنَاهُ أَنْكُمْ تَجْعَلُونَ أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، يُقَالُ: شَرِكْتُ الرَّجُلَ [أَشْرَكَهُ] إِذَا صِرْتُ شَرِيكَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

(١) تقدم هذا في سورة الشعراء من هذا الجزء. (٢) بالإمالة.

حجز بينهما بقدرته فلا يختلط العذب بالملح .

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

بالرفع القراءة^(١)، ويجوز النصب، ولا أعلم أحداً قرأ به، فلا تقرأن به. فمن رفع في قوله: إِلَّا اللَّهُ فَعَلَى الْبَدَلِ، المعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله، أي لا يعلم الغيب إلا الله، ومن نصب فعلى معنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله، على معنى آسْتَشِينِي اللَّهُ عز وجل، فإنه يعلم الغيب.

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

وَأَيَّانَ تُبْعَثُونَ جميعاً، أي لا يعلمون متى البعث.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَدَارِكْ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾.

فيها أوجه: قرأ أبو عمرو: بل أدرك علمهم في الآخرة، وقرأ أكثر الناس بل أدراك بتشديد الدال، وروي عن ابن عباس بلى أدرك علمهم في الآخرة، ويجوز بلى أدراك علمهم في الآخرة فمن قرأ بل أدراك علمهم في الآخرة وهو الجيد، فعلى معنى بل تدارك علمهم في الآخرة، على معنى بل يتكامل علمهم يوم القيامة، لأنهم مبعوثون، وكل ما وعدوا به حق، ومن قرأ بل أدرك علمهم فعلى معنى التقرير^(٢) والاستخبار، كأنه قيل: لم يُدرك علمهم^(٣) في الآخرة أي ليس يفتنون في الدنيا على حقيقتها، ثم بين ذلك في قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾

(١) أي في لفظ الجلالة.

(٢) أي هناك همزة محذوفة، وهي استفهام للتقرير أي هل ادرك علمهم الآخرة.

(٣) في الآخرة متعلق بعلمهم، أي علمهم بما في الآخرة.

وقالوا في تفسير ﴿بَلْ أَذَارَكَ عِلْمُهُمْ﴾: أَمْ أَذَرَكَ عِلْمُهُمْ، والقراءة
 الْجَيِّدَةُ أَذَارَكَ على معنى تدارك بإدغام التاء في الدال، فتصير دالاً
 سَاكِنَةً فلا يُبتدأُ بها، فيأتي بألف الوصل لتصل إلى التكلُّم بها. وإذا
 وقفت على بل وابتدأت قلت أَذَارَكَ، فإذا وَصَلْتَ كسرت اللام [في بل]
 لسكونها وسكون الدال.

وقوله: ﴿حَدَائِقُ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

الحدائق واحدتها حديقة، والحديقة البُسْتَانُ، وكذلك الحائط
 وقيل القطعة من النخل، وقوله ذات بَهْجَةٍ معناه ذات حُسْنٍ
 ويجوز في غير القراءة ذوات بهجة، لأنها جماعة، كما تقول:
 نِسْوَتُكَ ذَوَاتُ حُسْنٍ، وإنما جاز ذات بهجة لأن المؤنث يخبر عنه في
 الجَمْع بلفظ الواحدة، إذا أردت جماعةً، كأنك قلت جماعة ذات
 بَهْجَةٍ.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

معناه يكفرون، أي يَعْدِلُونَ عَنِ الْقَصْدِ وطريق الحق.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

يُقْرَأُ فِي ضَيْقٍ وَضَيْقٍ.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قيل في التفسير عَجَلَ لَكُمْ ومعناه في اللُّغَةِ رَدِفَكُمْ مِثْلُ رَكِبَكُمْ
 وجاء بَعْدَكُمْ.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾.

وتقرأ: وما أَنْتَ تهْدِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ، ويجوز بهادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ. فأما الْوَجْهَانِ الْأَوَّلَانِ فَجَيِّدَانِ فِي الْقِرَاءَةِ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا جَمِيعاً، وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ يَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنْ ثَبَتَ بِهِ رَوَايَةٌ وَإِلَّا لَمْ يُقْرَأْ بِهِ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾.

معناه مَا تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ، وتَأْوِيلُ مَا تَسْمِعُ، أَيِ مَا يَسْمَعُ مِنْكَ فَيَعْبِي وَيَعْمَلُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، فأما مَنْ سَمِعَ وَلَمْ يَقْبَلْ فَبِمَنْزِلَةِ الْأَصَمِّ. كما قال الله عز وجل: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾^(١)، قال الشاعر:

أَصَمٌّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ^(٢)

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أَيِ إِذَا وَجَبَ.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.

وَتُكَلِّمُهُمْ، وَيُرْوَى أَنَّ أَوَّلَ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ خُرُوجُ الدَّابَّةِ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا تَخْرُجُ بِتُهَامَةٍ. تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا تَخْرُجُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَمَكِنَةٍ، وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ تَنَكَّتْ فِي وَجْهِ الْكَافِرِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَفِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ نَكْتَةٌ بَيَضَاءُ، فَتَفْشُو نَكْتَةُ الْكَافِرِ حَتَّى يَسْوَدَ مِنْهَا وَجْهُهُ أَجْمَعُ وَتَفْشُو نَكْتَةُ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَبْيَضَ مِنْهَا وَجْهُهُ فَتَجْتَمِعُ الْجَمَاعَةُ عَلَى الْمَائِدَةِ، فَيُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ.

فَمَنْ قَرَأَ «تُكَلِّمُهُمْ» فَهُوَ مِنَ الْكَلَامِ، وَمَنْ قَرَأَ تُكَلِّمُهُمْ فَهُوَ مِنَ الْكَلَمِ، وَهُوَ الْأَثَرُ وَالْجُرْحُ.

(١) سورة البقرة الآية ١٨.

(٢) تقدم.

وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾.

القراءة النَّصْبُ، ويجوز الرفع: صُنِعَ، فمن نصب فعلى معنى الْمَصْدَرِ، لأن قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾ دليل على الصَّنْعَةِ، كأنه قِيلَ صَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ صنْعاً. ومن قال صُنِعَ اللَّهُ بالرفع، فالمعنى ذَلِكَ صُنِعَ اللَّهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُلُّ أُنثَى ذَاخِرِينَ﴾.

وَأَنثَاهُ ذَاخِرِينَ، مَنْ وَحَدَ فَلِلْفِظِ كُلِّ، ومن جمع فلمعناها.

وقوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾.

﴿الذي﴾ في موضع نصب من صفة ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ وقد قُرِئَتْ: التي حَرَّمَهَا؛ وقد قرئ بها لكنها قليلة، فالتى في مَوْضِعِ خَفَضٍ مِنْ نَعْتِ الْبَلَدَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

أي سِيرِكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ.

سُورَةُ الْقَصَصِ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسم﴾: قد تقدم ما ذكر في هذا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

يقال: بان الشيء وَأَبَانَ في معنى واحدٍ، ويقال بَانَ الشيء، وَأَبْنَتْهُ أنا، فمعنى مبين مُبَيِّنُ خَبْرِهِ وَبَرَكَتِهِ، وَمُبَيِّنُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ، ومبين أَنَّ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ ﷺ حق لأنه لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ، ومبين قصص الأنبياء.

وقوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾.

أي من خبر موسى وخبر فرعون.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معناه يُصَدِّقُونَ.

وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: معناه طغى.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾.

معنى شيع فرق، أي جعل كل فرقة يُشيع بعضها بعضاً في فعلها.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَزِفُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾.

معنى نسايتهم ههنا أنه كان يستحيي بناتيتهم، وإنما كان يعمل ذلك لأنه قال له بعض الكهنة إن مولوداً يُولد في ذلك الحين يكون سبب ذهاب مُلكك، فالعجب من حُمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القتل، وإن كان كاذباً فما معنى القتل.

وقوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾. يعني بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون.
﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً﴾.

أي نجعلهم ولاية يؤتم بهم^(١).

﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

أي يرثون فرعون وملكه.

وقوله: ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾.

القراءة النصب، نُمَكِّنْ ونُرِيَ. وَيَجُوزُ الرَّفْعُ. . وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ - بإسكان الياء، فمن نصب عطف على نُمْن، فكأن المعنى وان نمكِّن وَأَنْ نُرِيَ، ومن رفع فعلى معنى ونَحْنُ نمكن، وَقُرِئَتْ: وَيُرَى فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا، فيرى يكون في موضع نصب على العطف على نُمَكِّنْ، ويجوز أن يكون في موضع رفع على وَسَيُرَى فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

قيل إن الوحي ههنا ألقاء الله في قلبها، وما بعد هذا يدل - والله

(١) في الأصل: يؤتم به.

أعلم- أنه وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عز وجل على جهة الاعلام للضَّمانِ لها.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ويدل عليه : ﴿وَلَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

وقد قيل إِنَّ الوحي ههنا الإلهام ، وجائز أن يُلقَى الله في قلبها أَنَّهُ مردودٌ إليها وأنه يكون مُرْسَلًا ، ولكن الإعلام أَتَيْن في هذا أَغْنَى أن يكون الوحي ههنا إعلامًا . وأصل الوحي في اللغة كلها إعلامٌ في حَقِّي ، فلذلك صار الإلهام يُسَمَّى وَحْيًا .

وقوله : ﴿فَالْقِيَّةِ فِي الْيَمِّ﴾ : اليمُّ الْبَحْرُ .

وقوله تعالى : ﴿فَالْتَقِطْهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ .

ويجوز وَحْزَنًا ، ومعنى ليكون لهم عَدُوًّا أي ليصير الأمر إلى ذَلِكَ لا أنهم طلبوه وأخذوه لهذا كما تقول للذي كسب مَالًا فَأَدَّى ذَلِكَ إلى الْهَلَاكِ : إنما^(١) كسب فلان لِحَتْفِهِ ، وهو لم يَطْلُبِ الْمَالَ لِلْحَتْفِ ، ومثله : فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ ، أي فهي لَمْ تَلِدْهُ طَلَبًا أَنْ يَمُوتَ وَلَدُهَا ولكن المصير إلى ذلك .

وقوله عز وجل : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ .

رفع قُرَّةُ عَيْنٍ على إضمار هو قُرَّةُ عين لي ولك ، وهذا وقفُ التَّمَامِ ، وَيَقْبَحُ رَفْعُهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَأَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ «لَا تَقْتُلُوهُ» فيكون كَأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ أَنَّهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لَهُ^(٢) ، ويجوز رفعه على الْإِبْتِدَاءِ عَلَى بُعْدٍ على معنى إذا كان قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولك فلا تَقْتُلُوهُ ، ويجوزُ النَّصْبُ ولكن لا

(١) في الأصل وإنما .

(٢) يقبح أيضاً لأن الخبر إنشائي .

تقرأ به لأنه لم يأت فيه رواية قراءة، والنصب على معنى لا تقتلوا قرّة
لي ولك لا تقتلوه، كما تقول زيدا لا تضربه.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾.

المعنى أصبح فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وقيل إلا
من الهم بموسى والمعنى واحد.

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾.

المعنى إن كادت لتظهر أنه ابنها، وقد قرئت فرغاً، والأكثر فارغاً.
﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾.

معناه لولا ربطنا على قلبها، والربط على القلب إلهام الصبر
وتشديده وتقويته.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾.

بمعنى اتبعي أثره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾.

معناه فاتبعته، فبصرت به عن جنب أي عن بعد تبصر ولا تؤهم
أنها تراه، يقال: بصرت به عن جنب وعن جنابة إذا نظرت إليه عن
بعد، قال الشاعر^(١):

فلا تحرمني نائلا عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب
أي لا تحرمني نائلا عن بعد، وإن كنت بعيداً منك.

(١) لعقمة بن عبدة. الكامل ٣٧/٢ (تجارية) والمفضليات ٧٨٩، والقرطبي ١٨٣/٥، والستمرى
٤٢٣/٢، والديوان من السنة ١٠٧.

وقوله عز وجل: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

معناه من قبل أن نرُدَّهُ على أمِّه، وكان موسى لم يأخذ من ثديي، أي لم يرضع من ثديي إلى أن رُدَّ إلى أمِّه فرضع منها، وهذا معنى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾.

أي فقالت أخت موسى عليه السلام لما تَعَذَّرَ عَلَيْهِمْ رِضَاعُهُ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

فلما سمعوا قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. قالوا: قد عَرَفْتَ أَهْلَ هَذَا الْغُلَامِ - بقولك وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فقال عَنِيَّتُ «هم له» هم للمَلِكِ نَاصِحُونَ، فَدَلَّيْتَهُمْ عَلَى أُمِّ مُوسَى، فَدَفَعَ إِلَيْهَا تَرْيِيَهُ لَهُمْ فِي حِسَابِهِمْ^(١)

وقوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

يعني ما وعدت به مما أَوْجِيَّ إِلَيْهَا من قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. واستقر عندها أنه سيكون نبياً.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾.

قيل الْأَشَدُّ بضع وثلاثون سنة. وهو ما بين ثلاث وثلاثين إلى تسع وثلاثين. وتأويل «بَلَغَ أَشُدَّهُ» استكمل نهاية قُوَّةِ الرَّجُل وقيل إن معنى وَاسْتَوَى - بلغ الأربعين، وجائز أن يكون «اسْتَوَى» وَصَلَ^(٢) حقيقة بلوغ الْأَشَدِّ.

(١) في تقديرهم وظنهم أنها تربيته لهم. (٢) في الأصل: وَصَفَ.

وقوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

فَعَلِمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُكِمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

فجعل الله إتيان العلم والحكمة مجازاةً على الإحسان لأنَّهُمَا يَوْدِيَانِ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ، وَالْعَالَمُ الْحَكِيمُ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فجعلهم إذ لم يَعْمَلُوا بِالْعِلْمِ جُهَالًا.

وقوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

جاء في التفسير أنه دخلها وقت القائلة، وهو انتصاف النهار
وقوله: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾.

هذا موضع فيه لطف، وذلك أنه قيل في الغائب «هذا» والمعنى
وَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنْ شِيعَتِهِ وَأَحَدُهُمَا مِنْ عَدُوِّهِ، وقيل فيهما
هذا وهذا على جهة الحكاية للحضرة، أي فوجد فيها رَجُلَيْنِ إِذَا نَظَرَ
إِلَيْهِمَا النَّازِرُ قَالَ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ.

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾.

أي استنصره، والذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من
عَدُوِّهِ مِنْ أَصْحَابِ فِرْعَوْنَ. وجاء في التفسير أن فرعون كان رجلاً من
أهل اصطخر، ويقال إن الرجل الذي هو من عدوه رجل من القبط،
وقيل أيضاً من أهل اصطخر.

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢.

﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ .

أي فقتله، والوكز أن تضرب بجمع كفك، وقد قيل وكزه بالعصا.

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ .

يدل أن قتله إياه كان خطأ وأنه لم يكن أمير «موسى» بقتل ولا قتال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ﴾ .

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ .

أي يستغيث به، والاستصراخ الإغاثة والاستنصار.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ .

وتقرأ يبطش. المعنى - والله أعلم - فلما أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي هو عدوُّ لهما، ولم يفعل موسى، قال موسى إنك لغويٌّ مبينٌ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ .

فأفسى على موسى عليه السلام. ويقال إن من قتل اثنين فهو جبار، والجبار في اللغة المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله، فالقاتل مؤمناً جباراً، وكل قاتل فهو جبار. قتل واحداً أو جماعة ظُلماً.

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ .

يقال إنه مؤمن آل فرعون، وإنه كان نجاراً، ومعنى يسعى يعدو .

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ﴾ .

الملا أشرف القوم، والمنظور إليهم، ومعنى ياتَمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك .

﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ .

أي فاخرج من المدينة، وقوله «لك» ليست من صلة الناصحين لأن الصلة لا تقدّم على الموصول، والمعنى في قوله «إني لك» أنها مُبَيَّنَةٌ كأنه قال إني من الناصحين ينصحون لك، والكلام نصحت لك، وهو أكثر من نصحتك .

وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ .

أي يرقب أن يلحقه من يقتله، وينظر الآثار .

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

يعني من قوم فرعون .

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ

السَّبِيلِ﴾ .

«مَدْيَن» ماء كان لقوم شعيب يقال إن بينه وبين مِصْرَ مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، كما بين البصرة والكوفة، وكان موسى عليه السلام خرج من مِصْرَ ومعنى تَلْقَاءَ مَدْيَنَ، أي سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَلْقَاءُ مَدْيَنَ فِيهَا .
﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ .

السبيل الطريق، وسواء السبيل قصد الطريق في الاستواء .

قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ .

مَدْيَنَ في موضع خفض ، ولكنه لا ينصرف لأنه اسم للبقعة .

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ .

أمة جماعة .

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ .

أي تذودان غنمهما عن أَنْ يَقْرُبَ موضع الماء ، لأنها يطردُها عن الماء من هو على السَّقي أقوى مِنْهُمَا .

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ .

أي مَا أَمْرُكُمَا ، معناه مَا تَخْطُبَانِ ، أي مَا تُرِيدَانِ بِذَوْدِكُمَا غَنَمَكُمَا عن الماء .

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ﴾ .

وقرئت ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ﴾ - بضم الراء وكسر الدال - أي لَا نَقْدِرُ أَنْ نَسْقِي حَتَّى تَرُدَّ الرِّعَاءُ غَنَمَهُمْ وَقَدْ شَرِبَتْ فَيَخْلُو الموضع فَنَسْقِي . فَمَنْ قرأ يَصْدُرُ بضم الدال فمعناه حتى يرجع الرِّعَاءُ ، والرِّعَاءُ جمعُ راع ، كما يقال صاحب وصحاب .

وقوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ .

الفائدة في قوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ . أي لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرِدَ وَيَسْقِي .

فلذلك احتجنا ونحن نَسَاءُ أَنْ نَسْقِي .

﴿فَنَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ الآية .

أي فسقى لهما من قَبْلِ الْوَقْتِ الذي كانتا تسقيان فيه، ويُقال إنَّهُ رَفَعَ حَجَرًا عَنِ الْبِئْرِ كان لا يرفعه إِلَّا عَشْرَةُ أَنْفُسٍ . وقيل إنَّ مُوسَى كان في ذلك الوقت من الفقر لا يقدر على شَقِّ تَمْرَةٍ^(١).

وقوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ .

المعنى فلما شَرِبَتْ غنمهما رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا فأخبرتاه خبر مُوسَى وَسَقِيَهُ غَنَمُهُمَا، وجاءتاه قبل وقتهما شاربَةً غَنَمُهُمَا، فَوَجَّهَ بِإِحْدَاهُمَا تَدْعُو مُوسَى فجاءته ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ . جَاءَ فِي التفسير أنها ليست بخرَاجَةٍ مِنَ النِّسَاءِ وَلَا لَاجَةٍ، أي تَمْشِي مَشْيَ مَنْ لَمْ تَعْتَدِ الدخول والخروج مُتَخَفَرَةً مستحْيية.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ .

المعنى فأجابها فمضى معها إلى أبيها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾ .

أي قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ فِي قَتْلِ الرَّجُلِ، وَأَنَّهُمْ يَطْلُبُونَهُ لِيَقْتُلُوهُ.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

وذلك أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا فِي مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ^(٢)، فَأَعْلَمَ شَعِيبُ مُوسَى أَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنَ الْخَوْفِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ - أَعْنَى بِالْقَوْمِ قَوْمَ مَدْيَنَ الَّذِينَ كَانَ فِيهِمْ أَبُو الْمَرَاتَيْنِ . ويقال في التفسير إنه كان ابن أخي شعيب النبي عليه السلام.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ .

أي اتخذهُ أَجِيرًا.

(٢) أي قوم مدين.

(١) لا يملك ما يعادل نصف تمرة.

﴿إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

أي إن خير من استعملت من قَوِي على عملك وأدَّى الأمانة فيه، وإنما قالت «القَوِيُّ الأمين» فوصفته بالقوة لسقيه غنمها بقوة وشدة، وقيل لقوته على رفع الحجر الذي كان لا يُقلُّه أقل من عشرة أنفس. وقد قيل إنه كان لا يقله أقل من أربعين نفساً. فأما وصفها له بالأمانة فقليل إن موسى لما صار معها إلى أبيها تقدّم أمامها وأمرها أن تكون خلفه، وتدلّه على الطريق، وخاف إذا كانت بين يديه أن تُصيب ملحفتها الريح فيتبين وصفها، فذلك ما عرفته من أمانته.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

معنى أُنكِحَكَ أَزْوَاجَكَ.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ﴾.

أي تكون أجيراً لي ثماني سنين.

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾.

أي فذلك بفضل منك ليس بواجب عليك.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

أي ذلك الذي وصفت لي بيني وبينك، ومعناه، ما شرطت عليّ فلك وما شرطت لي فلي، كذلك الأمر بيننا، ثم قال:

﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.

والعدوان المجاوزة في الظلم، وعدوان منصوب بلا، ولو قرئت

فَلَا عُذْوَانٌ عَلَيَّ لِحَازٍ مِنْ جِهَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَكُونَ «لَا» رَافِعَةً كُلَّيْسَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ: (١)

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «عُذْوَانٌ» رَفْعًا بِالْإِبْتِدَاءِ وَ«عَلَيَّ» الْخَبَرُ، وَ«لَا»
نَافِيَةٌ غَيْرُ عَامِلَةٍ، كَمَا تَقُولُ لَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَلَا عَمْرُو، وَ«أَيَّ» هِيَ فِي مَوْضِعِ
الْجَزَاءِ مَنْصُوبَةٌ بِقَضَيْتُ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ فَلَا عُذْوَانٌ، وَ«مَا» زَائِدَةٌ مُوَكَّدَةٌ،
وَالْمَعْنَى أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانٌ عَلَيَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولَ وَكِيلٌ﴾.

أَيُّ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَهِدُنَا عَلَى مَا عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾.

يُرْوَى أَنَّهُ قَضَى أَتَمَّ الْأَجَلَيْنِ، وَهُوَ عَشْرُ سِنِينَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾.

آنَسَ عِلْمَ وَأَبْصَرَ، يُقَالُ: قَدْ آنَسْتُ ذَلِكَ الشَّخْصَ أَيُّ أَبْصَرْتَهُ.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

أَيُّ لَعَلِّي أَعْلَمُ لِمَ أَوْقَدَتْ.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

الْجَذْوَةُ الْقِطْعَةُ الْغَلِيظَةُ مِنَ الْحَطَبِ، وَيُقْرَأُ: أَوْ جُذْوَةٍ بِالضَّمِّ،
وَيُقَالُ حَذْوَةٌ بِالْفَتْحِ. فِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

(١) تقدم ص ٢٧٠ ج ١.

سُمِّيتْ مباركة لأن الله كلم موسى فيها، وبعثه نبياً، ويقال بُقْعَةٌ وبُقْعَةٌ بالضم والفتح. وقد قرئ بهما جميعاً، فمن جمع بقاعاً فهي جمع بُقْعَةٍ بالفتح، مثل قَصْعَةٍ وقِصَاع، ومن قال بُقْعَةٌ - بالضم - فأجود الجمع بُقْعٌ مثل غُرْفَةٍ وغُرْفٌ، وقد يجوز في بُقْعَةٍ بقاع مثل حُفْرَةٍ وحِفَارٍ.

وقوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾.

«أن» في موضع نصب المعنى نُودي بأنه يَا مُوسَى وكذلك ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطفتُ عليها.

﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.
معناه لم يلتفت.

وقوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

أي قد آمنت من أن ينالك منها مكروه وهي حية.

﴿اسْأَلْكَ يَدَكْ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي من غير برص. ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

والرَّهْبُ جميعاً ومعناهما واحدٌ، مثل الرُّشْدُ والرَّشْدُ، والمعنى في جناحك ههنا هو العَضْدُ، ويقال اليد كلها جناحٌ.

وقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾.

تقرأ بتخفيف النون وتشديدها - فَذَانِكَ - فكان فَذَانِكَ تَثْنِيَةٌ ذَلِكَ وذانك تثنية ذاك جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون في ذَانِكَ وبرهانان آيتان بَيِّنَتَانِ.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ﴾.

أي أرسلناك إلى فرعون وملئيه بهاتين الآيتين.

وقوله: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾

يُصَدِّقُنِي - بالرفع والجزم - قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ يُصَدِّقُنِي بضم القاف فهو صفة قوله «رِدْءًا» - والردء العَوْنُ، تقول رَدَأْتُهُ أَرَدُوهُ رَدْءًا، إذا أعنته، والرِدْءُ الْمُعِينُ. ومن جزم «يُصَدِّقُنِي» فعلى جواب المسألة، أرسله يُصَدِّقُنِي، ومن رفع يصدقني فالمعنى رِدْءًا مُصَدِّقًا لِي.

وقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

أي سنعينك بأخيك، ولفظ العَضُدِ على جهة المثل، لأن اليد قوامها عَضُدُهَا، فكل مُعِينٍ عَضُدٌ. وتقول قد عاضدني فلان على الأمر أي عاونني.

وقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾.

أي حجة نيرة بينة، وإنما قيل للزيت السليط لأنه يستضاء به، فالسُلْطَانُ أَتَيْنُ الْحُجَجَ.

وقوله: ﴿فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾.

أي بسلطاننا وحجتنا. فبآياتنا مِنْ صِلَةٍ يَصْلُونَ، كأنه قال: لَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا، تَمْتَنِعَانِ مِنْهُمَا بِآيَاتِنَا. وجائز أن يكون «بآياتنا» متصلاً^(١) بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا، أي حجة تدلُّ على النبوة بآياتنا، أي بالعصا واليد، وسائر الآيات التي أُعْطِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويجوز أن يكون بآياتنا مُبَيَّنًا عن قوله: ﴿أَنْتُمَا تَنْتَعِمَا بِالْعَالَمِينَ﴾

(١) هي الأصل «متصل»

أي تغلبون بآياتنا.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ الآية.

لم يأتوا بحجة يدفعون بها مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ الْأَنْ قَالُوا إِنَّهَا
سِحْرٌ فَلَمَّا جُمِعَ السَّحَرَةُ بَيَّنُّوا أَنَّ آيَاتِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَتْ
بِسِحْرٍ، فَغَلَبَ مُوسَىٰ بِآيَاتِ اللَّهِ وَبِحُجَّتِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ.

وقوله: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾.

أي اعمل آجراً، ويقال إِنَّ فِرْعَوْنَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْآجُرَّ.

﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾.

والصرح كل بناء متسع مرتفع^(١)

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾.

فظن فرعون أنه يتهيأ له أَنْ يَبْلُغَ بِصَرْحِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ فَيَرَى السَّمَاءَ
وَمَا فِيهَا.

﴿وَإِنِّي لِأُظَنُّ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

الظَّنُّ فِي اللُّغَةِ ضَرْبٌ يَكُونُ شَكًّا وَيَقِينًا. وَقَوْلُ فِرْعَوْنَ: وَإِنِّي
لَأُظَنُّ اعْتِرَافٌ بِأَنَّهُ شَاكٌّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَيَقَّنْ أَنَّ مُوسَىٰ كَاذِبٌ، فَفِي هَذَا
بَيَانٌ أَنَّهُ قَدْ كَفَرَ بِمُوسَىٰ عَلَىٰ غَيْرِ يَقِينٍ أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍِّّ، وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ
أَنَّهُ نَبِيٌّ لِأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ النُّبُوَّةُ لَا يَجْهَلُهَا ذُو فِطْرَةٍ، وَقَوْلُهُ فِي غَيْرِ
هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
بَصَائِرَ...﴾^(٢)، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَلْزَمَ فِرْعَوْنَ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ.

(١) انظر ص ١٢٢ من هذا الجزء الآية: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾.

(٢) سورة الاسراء الآية ١٠٢.

وقوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ .

اليَمُّ البحرُ وهو الذي يقال له «إِسَافٌ» وهو الذي غرق فيه فرعونُ وجنوده بناحية مصر .

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ .

أي من اتبعهم فهو في النار .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ :

أي لا ناصِرَ لَهُمْ ولا عاصِمَ من عذاب الله .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ

الْأُولَى﴾ .

فكان خاتمة إهلاك القرون بالعذاب في الدنيا أن جعل المكذِبِينَ
بِمُوسَى الذين عَدَوْا في السَّيِّئَةِ قِرْدَةً خَاسِئِينَ عند تكذيبهم بِمُوسَى
عليه السَّلَامُ .

وقوله : ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ .

أي مُبَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ ، المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر للناس
أي هذه حال إتياننا إِيَّاهُ الْكِتَابَ مُبَيِّنَاتٍ نُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ عطف
على بصائرٍ ، ولو قرئت بالرفع على معنى فهو هُدًى وَرَحْمَةٌ جَارَ
والنصب أجود ولا أعلم أحداً قرأ بالرفع - فلا تَقْرَأَنَّ بها .

وقوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ .

أي وما كنت بجانبِ الجبل الغربي .

﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ .

أَيَّ مَا كُنْتَ مُقِيمًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ : يَعْنِي [نَادَيْنَا] مُوسَى .

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

المعنى إنك لم تشاهد قَصَصَ الأنبياء ، ولا تُلَيْتَ عَلَيْكَ ، ولكن أَوْحَيْنَاهَا إِلَيْكَ ، وَقَصَصْنَاهَا عَلَيْكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لتُنْذِرَ قَوْمًا ، أَيْ لَتَعْرِفَهُمْ قَصَصَ مَنْ أَهْلِكَ بِالْعَذَابِ وَمَنْ فَازَ بِالثَّوَابِ ، وَلَوْ قُرِئَتْ «لَكِنْ رَحْمَةً» لَكَانَ جَائِزًا عَلَى مَعْنَى وَلَكِنْ فَعُلَ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَالنُّصْبُ عَلَى مَعْنَى فَعَلْنَا ذَلِكَ لِلرَّحْمَةِ ، كَمَا تَقُولُ : فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ الْخَيْرِ ، أَيْ فَعَلْتَهُ لَابْتِغَاءِ الْخَيْرِ ، فَهُوَ مَفْعُولٌ لَهُ .

وقوله : ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَيَتَّبِعُ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

أَيَّ لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَمَوَاتِرَةِ الْاِحْتِجَاجِ .

وقوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ .

أَيَّ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ الَّتِي كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَعْتَلُّوا بِتَأْخِيرِهَا عَنْهُمْ .

﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ .

المعنى : هَلَا أُوتِيَ مُحَمَّدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ أَمْرِ الْعَصَا وَالْحِيَّةِ وَانْفِلَاقِ الْبَحْرِ ، وَسَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا مُوسَى ، فَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ مُوسَى كَمَا كَفَرُوا بِآيَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(١) .

﴿قَالُوا سَاجِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ .

(١) طلبوا معجزات مادية ، ولو جاءتهم لكفروا بها .

أي تعاونا. جاء في التفسير أنهم عَنُوا موسى وهرون. وقالوا عَنُوا موسى وعيسى، وقيل عَنُوا موسى ومحمداً عليهما السلام. وقرئ ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يَعْنُونَ كِتَابَيْنِ، فقالوا: الانجيل والقرآن، ودليل مَنْ قرأ سِحْرَانِ قوله: ﴿قُلْ فَاتُّوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾.

وهذا لا يمنع سَاحِرَانِ، لأن المعنى يصيرُ: قل فاتوا بكتاب من عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْ كِتَابَيْهِمَا.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فاعلم أن مَا رَكُبُوهُ مِنَ الْكُفْرِ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ، وَإِنَّمَا أَثَرُوا فِيهِ الْهَوَى وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾.

أي فَصَّلْنَاهُ بِأَنْ فَصَّلْنَا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَقَاصِيصَهُمْ، وَأَقَاصِيصَ مَنْ مَضَى، بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أَي لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

جاء في التفسير أن هؤلاء طائفة من أهل الكتاب كانوا يَأْخُذُونَ بِهِ وَيَنْتَهُونَ إِلَيْهِ وَيَقْفُونَ عِنْدَهُ. كانوا يحكمون بحكم الله، بالكتاب الذي أُنْزِلَ قَبْلَ الْقُرْآنِ. فلما بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وتلا عليهم القرآن قالوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا.

وذلك أَنَّ ذَكَرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ مَكْتُوباً عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَلَمْ يَعَانِدْهُ هَؤُلَاءِ وَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، فَأَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ خيراً وقال:

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

أي يؤتون أجرهم بإيمانهم بالكتاب الذي من قبل محمد ﷺ،
ويؤتون أجرهم بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

معنى يَذَرُونَ يدفعون - بما يعلمون من الحسنات - ما تقدّم لهم
من السيئات.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ : أَي يَتَصَدَّقُونَ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي إذا سمعوا ما لا يجوز وينبغي أن يُلغى لم يلتفتوا إليه.

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ﴾.

ليس يريدون بقولهم ههنا سلام عليكم التحية، المعنى فيه
أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم، أي بيننا وبينكم المたركة والتسليم.
وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

وقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب، وجائز أن يكون
ابتداء نزولها في أبي طالب وهي عامة، لأنه لا يهدي إلا الله، ولا
يرشد ولا يوفق الا هو، وكذلك هو يضل من يشاء.

﴿وَقَالُوا إِن نَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

كانوا قالوا للنبي ﷺ إنا نعلم أن ما أتيت به حق، ولكننا نكره إن آمنا بك

أَنْ نُقْصِدَ وَنُتَخَطَفَ مِنْ أَرْضِنَا فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ آمَنَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ قَدْ آمَنَهُمْ بِحَرَمَةِ الْبَيْتِ، وَمَنْعَ مِنْهُمْ الْعَدُوَّ^(١) أَيَّ فُلُوْا آمَنُوا لَكَانَ أَوْلَى بِالْمَكْمَنِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا﴾.

يعني بأَمَمَةٍ مَكَّةَ، ولم يكن ليُهْلِكَهَا إِلَّا بِظُلْمِ أَهْلِهَا. ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، فَالْمُؤْمِنُ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَطَاعَهُ وَوَقَفَ عِنْدَ أَمْرِهِ فَلَقِيَهُ جَزَاءُ ذَلِكَ، وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَالَّذِي مُتَّعَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَافِرٌ. لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ثُمَّ أُحْضِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَذَابَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَبِي جَهْلٍ ابْنِ هِشَامٍ فَالِنَّبِيِّ ﷺ وَعِدَّ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُ نُصِرَ عَلَى عَذْوِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَبُو جَهْلٍ مِنَ الْمُحْضَرِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾.

«مَعِيشَتَهَا» مَنُصُوبَةٌ بِإِسْقَاطٍ فِي وَعَمَلِ الْفِعْلِ. وَتَأْوِيلُهُ بَطَرَتْ فِي مَعِيشَتِهَا وَالْبَطَرُ الطَّغْيَانُ بِالنِّعْمَةِ.

(١) مَنْعُ الْعَدُوِّ مِنَ التَّعَدِّيِ عَلَيْهِمْ.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي يوم ينادي الأنس . وسماهم «شركائي» على حكاية قولهم،
المعنى أين شركائي في قولكم، والله واحد لا شريك له .

﴿قال الذين حقّ عليهم القول﴾: الجن، والشياطين .

﴿هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم﴾ [كما غوينا] .

يعنون الإنس، أي سولنا لهم الغي والضلال .

﴿أغويناهم كما غوينا﴾ .

أي أضللناهم كما ضللنا .

وقوله عز وجل: ﴿تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ﴾ .

برئ بعضهم من بعض، وصاروا أعداء، كما قال الله عز وجل:
﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾^(١) .

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ .

أي لم يجيبوهم بحجة .

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ .

جواب «لو» محذوف - والله أعلم - المعنى لو كانوا يهتدون لما
اتبعوهم ولا رأوا العذاب .

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ .

أجود الوقوف على ويختار، وتكون «ما» نفياً . المعنى ربك يخلق
ما يشاء، وربك يختار ليس لهم الخيرة، وما كانت لهم الخيرة، أي

(١) سورة الزخرف / ٦٧

ليس لهم أن يَخْتَارُوا عَلَى اللَّهِ، هذا وجه . ويجوز أن تكون ما في معنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة . ويكون معنى الاختيار ههنا ما يتعبد لهم به ، أي ويختار لهم فيما يدعوهم إليه مِنْ عِبَادَتِهِ ما لهم فيه الخيرة ، والقول الأول أجود - [أي] أن تكون ما نَفْيًا .

وقوله : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

معنى سبحان الله تنزيه له من السوء . كذا هو في اللغة - وكذا جاء عن النبي ﷺ .

قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .
السَّرمَدُ في اللغة الدائم .

وقوله : ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ﴾ .

أي بِنَهَارٍ تُبْصِرُونَ فيه وتتصرفون في مَعَايِشِكُمْ ، وتُصْلِحُ فيه ثَمَارَكُمْ وَمَنَابِتَكُمْ لأن الله - عز وجل - جعل الصلاح للخلق بالليل مع النهار ، فلو كان واحدٌ منهما دون الآخر لهلك الخلق^(١) ، وكذلك قوله في النهار :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

أعلمهم أن الليل والنهار رحمةٌ فقال :

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ .

(١) لو وجد النهار دون الليل أو الليل دون النهار .

المعنى جَعَلَ لَكُمْ الزَّمَانَ لَيْلاً وَنَهَاراً، لتسكنوا بالليل وتبتغوا من فضل الله بالنهار. وجائز أن تَسْكُنُوا فيهما، وأن تبتغوا من فضل الله فيهما، فيكون المعنى جعل لكم الزمان ليلاً ونهاراً لتسكنوا فيه ولتبتغوا مِنْ فَضْلِهِ.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾.

أي نزعنا من كل أمة نبياً أي أَخْتَرْنَا منها نبياً وكلَّ نبيٍّ شاهد على أمته.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

أي هاتوا فيما اعْتَقَدْتُمْ بُرْهَاناً أي بَيَاناً أنكم كنتم على حَقٍّ. ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾.

أي فعلموا أَنَّ الْحَقَّ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَمَا جَاءَ بِهِ أَنْبِيَآؤُهُ.

وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي لم ينتفعوا بكل ما عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، بل ضرهم أعظم الضَّرَرِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾.

قَارُون اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان فاعولاً مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ قَرَنْتُ الشَّيْءَ - لَا يُصْرَفُ^(١). فلذلك لم يُنَوَّنْ.

وجاء في التفسير أن قارون كان ابنَ عَمِّ مُوسَى، وكان مِنْ

(١) يريد أنه مع ان صيغة فاعول موجودة في اللغة العربية مثل جاسوس وقاعد وقانون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

الْعُلَمَاءُ بِالتُّورَةِ. فَبَغَى عَلَى مُوسَى وَقَصَدَ إِلَى الْإِفْسَادِ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبِهِ، وَكَانَ مِنْ طَلَبِهِ لِلْإِفْسَادِ عَلَيْهِ أَنَّ بَغِيًّا كَانَتْ مَشْهُورَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَوَجَّهَ إِلَيْهَا قَارُونَ - وَكَانَ أَيْسَرَ أَهْلِ زَمَانِهِ - بِأَمْرِهَا أَنْ تُصِيرَ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَتَكَذَّبَ عَلَى مُوسَى وَتَقُولَ: إِنَّهُ طَلَبَنِي لِلْفُسَادِ وَالرِّيْبَةِ، وَضَمَّنَ لَهَا قَارُونَ أَنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ أَنْ يَخْلِطَهَا بِنِسَائِهِ، وَأَنْ يُعْطِيَهَا عَلَى ذَلِكَ عَطَاءً كَبِيرًا، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ - وَقَارُونَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ - وَرَزَقَهَا اللَّهُ التَّوْبَةَ فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا مَالِي مَقَامُ تَوْبَةٍ مِثْلُ هَذَا، فَأَقْبَلَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَارُونَ حَاضِرٌ، فَقَالَتْ لَهُمْ إِنَّ قَارُونَ هَذَا وَجَّهَ إِلَيَّ بِأَمْرِي وَيَسْأَلُنِي أَنْ أَتَكَذَّبَ عَلَى مُوسَى، وَأَنْ أَقُولَ أَنَّهُ أَرَادَنِي لِلْفُسَادِ وَإِنَّ قَارُونَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ قَارُونَ كَلَامَهَا تَحِيرَ وَأُبْلِسَ^(١) وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَجَعَلَ اللَّهُ أَمْرَ قَارُونَ إِلَى مُوسَى وَأَمَرَ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَهُ فِيهِ، فَوَرَدَ مُوسَى عَلَى قَارُونَ فَأَحْسَّ قَارُونَ بِالْبَلَاءِ، فَقَالَ يَا مُوسَى ارْحَمْنِي، فَقَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِ فَخُسِفَ بِهِ وَبَدَّارِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُوسَى ارْحَمْنِي، فَقَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِ فَخُسِفَ بِهِ إِلَى سُرَّتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْضُ خُذِيهِ فَخُسِفَ بِهِ إِلَى عُنُقِهِ وَاسْتَرْخَمَ مُوسَى فَقَالَ يَا أَرْضُ خُذِيهِ فَخُسِفَ بِهِ حَتَّى سَاخَتِ الْأَرْضُ بِهِ وَبَدَّارَهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَّارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾.

روي في التفسير أَنَّ مَفَاتِحَهُ كَانَتْ مِنْ جُلُودٍ عَلَى مِقَادِرِ الْأَصْبَعِ وَكَانَتْ تَحْمِلُ عَلَى سَبْعِينَ بَغْلًا أَوْ سِتِينَ بَغْلًا، وَجَاءَ أَيْضًا أَنَّ مَفَاتِحَهُ

(١) بهت ولم يجد ما يقول.

خزائنه، وقيل إن العُصْبَةَ ههنا سَبْعُونَ رَجُلًا، وقيل أربعون، وقيل ما بين الخمسة عَشَرَ إلى الأَرْبَعِينَ، وقيل ما بين الثلاث إلى العشرة. والعُصْبَةُ في اللغة الجماعة الذين أَمَرُهُمْ وَاحِدٌ يتابع بعضهم بعضاً في الفِعْلِ ويتعصَّب بعضهم لِبَعْضٍ. والأشْبَهُ فيما جاء في التفسير أنَّ مفاتحه خزائنه، وأنها خزائن المال الذي يُحْمَلُ على سَبْعِينَ، أو على أربعين بَغْلًا - والله أعلم - لأن مفاتح جلودٍ على مِقْدَارِ الاَصْبَعِ، تُحْمَلُ على سبعين بَغْلًا للخزائن أمر عظيم - والله أعلم -.

ومعنى لَتَنْوُءَ بِالْعُصْبَةِ، لَتَثْقُلُ الْعُصْبَةُ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ نُوتُ بِالْحِمْلِ أَنْوَأَ بِهِ نُوءًا إِذَا نَهَضْتَ بِهِ، وَنَاءَ بِي الْحِمْلُ إِذَا أَثْقَلَنِي.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

جاء في التفسير لا تَأْشُرْ^(١) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْأَشْرِينَ. ولا تفرح ههنا - والله أعلم - أي لا تفرح لكثرة المال في الدنيا لأن الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أمر الآخِرَةِ مَذْمُومٌ فيه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾^(٢).

والدليل على أنهم ارادوا لا تفرح بالمال في الدنيا قولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي لا تنس أن تعمل به لآخرتك، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته.

(١) معنى لا تفرح لا تأشر ولا تبطر.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحديد: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

ادّعى أن المال أُعْطِيَهُ لعلمه بالتوراة، والذي رُوِيَ أنه كَانَ يَعْْمَلُ الكِيمِيَاءَ، وهذا لا يصح لأن الكيمياء باطلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه خرج هُوَ وأصحابُهُ عَلَى خَيْلِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الْخَيْلِ الْأَرْجَوَانُ. والأرجوان في اللغة صَبْغٌ أَحْمَرُ، وقيل: كَانَ عليهم وعلى خيلهم الدِّيَبَاجُ الْأَحْمَرُ.

وقوله: ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

أي لَا يُلْقَى هَذِهِ الْفَعْلَةُ، وهذه الكلمة يعني قولهم: ﴿وَيُلْكَمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾.

يعني الذين قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾.

﴿يَقُولُونَ: وَيَكُ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا، وَيَكُ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

هذه اللفظة لفظة «وَيْكَ» قد أَشْكَلَتْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ مَعْنَاهَا أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهَا أَمَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ، وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ - وَهَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ - إِنَّ مَعْنَاهَا وَيْلَكَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ فَحَذَفَ اللَّامَ فَبَقِيَْتُ وَيْكَ وَحَذَفَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ، لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ لَكَانَتْ أَنَّ مَكْسُورَةً كَمَا تَقُولُ: وَيْلَكَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّ يُقَالُ لِمَنْ خَاطَبَ الْقَوْمَ بِهَذَا

فقالوا: ويلك «إنه لا يفلح الكافرون»^(١)، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل.

والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيويه عن الخليل ويونس. قال سألت عنها الخليل فزعم أنها «وَيَ» مفصولة من كأن. وإن القوم تنبهوا فقالوا: وَيَ، مَتَنَدِّمِينَ على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه أو ندامته أن يقول «وي» كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الوقف عليها وَيَ، وهو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم، قال الشاعر:^(٢)

سَأَلْتَنِي السُّطْلَاقَ إِذْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي. قَدْ جِئْتُمَا فِي بَنْكَرٍ
وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحِبُّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشْ عَيْشَ صَبْرٍ
فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسير، لأن قول المفسرين هو تنبيه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

معنى فرض عليك القرآن أنزله عليك وألزمك، وفرض عليك العمل بما يوجبه القرآن.

(١) قوم قارون بعد أن خسف الله به وبيداره أصبحوا يشكرون الله. على النجاة مما أصابه ويقولون: لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا. وهم يخاطبون بهذا من ليس على مذهب قارون - فلا يناسب أن يقولوا له «ويلك إنه لا يفلح الكافرون» والعبارة غير جيدة.

(٢) عمرو بن نفيل يتحدث عن زوجتين له فركتاه لقله ماله ^{في البيت} تلك عرساي تنطقان على العمد إلى اليوم قول زور وهتر والبيت الأول في كتاب سيويه ١٧٠/٢ - وانظر الخزانة ٩٥/٣، ٩٦ وابن يعيش ٧٦/٤. والبيت الثاني في الكشف في الآية نفسها وذكر المرزوقي في مشاهد الانصاف البيتين وبتا بعدهما - وقال إن الشعر ينسب أيضاً لسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

﴿لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: جاء في التفسير: لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَكَانِكَ بِمَكَّةَ، وقيل إلى معادٍ إلى مكانك في الجنة، وأكثر التفسير لباعثك، وعلى هذا كلام الناس: اذْكُرِ الْمَعَادَ. أي اذكر مبعثك في الآخرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾.

أي مُعِينًا لِلْكَافِرِينَ، ويجوز فلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا، ولكنني أكرهها لأنها تخالف المصحف، ويجب أن تكتب بالتخفيف بالالف.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

وجهه منصوب بالاستثناء، ومعنى الا وجهه الا إياه، ويجوز إلا وجهه بالرفع، ولكن لا ينبغي أن يقرأ بها، ويكون المعنى كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثل قول الشاعر: (١).

وكل أخ مفارقه أخوه لَعَمْرَ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ
المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

(١) البيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي - ومن شواهد النحو السائرة انظر الأغاني ٢٤/١٤، والاصابة ت (٥٩٧٠) والاستيعاب ٥٢٠/٢ وشواهد المغني ٧٨، وكتاب سيويه ٣٢٣/١ بولاق، والكامل ٣٥٧ (ط المعارف). وقد تقدم.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: ﴿أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ﴾.

﴿أَلَمْ﴾ تفسيرها إنا الله أعلم. وقد فسرنا كل شيء قيل في هذا في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾.

اللفظ لفظ استخبار والمعنى معنى تقرير وتوبيخ، ومعناه أَحَسِبُوا أَنْ نَقْنَعَ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا «إنا مؤمنون» فقط ولا يمتحنون بما يَتَبَيَّنُ به حقيقة إيمانهم.

وجاء في التفسير في قوله - جل وعز -: ﴿وَهُمْ لَا يُفْقِنُونَ﴾، لا يختبرون بما يُعْلَمُ بِهِ صِدْقُ إيمانهم من كذبه. وقيل: ﴿لَا يُفْقِنُونَ﴾: لَا يُبْتَلَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. فَيَعْلَمُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ الصَّادِق - الْإِيمَانُ مِنْ غَيْرِهِ.

وموضع «أن» الأولى نصب اسم حَسِبَ وخبره، وموضع «أن» الثانية نصب من جِهَتَيْنِ أَجْوَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً بِتُرْكُوَا، فيكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا، وبأن يقولوا، فلما حذف حرف الخفض وصل بتتركوا إلى أن فنصب، ويجوز أن تكون الثانية

العاملُ فيها «أَحْسَبَ»، كأن المعنى على هذا - والله أعلم - أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. والأوَّلُ أَجْوَدُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي اخْتَبَرْنَا وَابْتَلَيْنَا.

وقوله: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

المعنى وَلْيَعْلَمَنَّ صِدْقَ الصَّادِقِ بِوقوعِ صِدْقِهِ مِنْهُ، وَكَذِبَ الْكَاذِبِ بِوقوعِ كَذِبِهِ مِنْهُ، وهو الذي يُجَازِي عَلَيْهِ، والله قد عَلِمَ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمَا وَلَكِنَّ الْقَصْدَ قَصْدُ وَقوعِ الْعِلْمِ بِمَا يُجَازَى عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾.

أي يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا، أي ليس يُعْجِزُونَنَا.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على معنى ساءَ حَكْماً يَحْكُمُونَ، كما تقول نعم رَجُلًا زَيْدٌ - ويجوز أن تكون رفْعاً، على معنى ساءَ الْحَكْمَ حَكْمَهُمْ.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه والله أعلم مَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ لِقَاءِ اللَّهِ، فأما مَنْ قَالَ: إِنَّ معناه الْخَوْفَ، فَالْخَوْفُ ضِدُّ الرَّجَاءِ، وليس في الْكَلَامِ ضِدٌّ. وقد بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَضْدَادِ.

وقوله: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾.

«من» في معنى الشرط، يرتفع بالابتداء، وخبرها كان، وجواب
الجزاء فإن أجل الله لآت.

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾.

القراءة حُسْنًا، وقد رويت إْحْسَانًا، وحُسْنًا أَجُودُ لموافقة
المصحف، فمن قال حُسْنًا فهو مِثْلٌ وَصَّيْنَا. إلا أن يفعل بوالديه ما
يَحْسُنُ، ومن قرأ إْحْسَانًا فمعناه ووصينا الانسان أن يحسن إلى والديه
إْحْسَانًا، وكان حُسْنًا أَعْمُ في البِرِّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

معناه: وإن جاهدك أيها الانسان والداك لتشرك بي، وكذلك على
أَنْ تُشْرِكَ بِي، ويروى أن رجلاً خرج مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى النبي ﷺ إلى
المدينة، فَحَلَفْتُ أَنَّهُ أَنْ لَا يَظْلِمَهَا بَيْتٌ حَتَّى يَرْجِعَ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ بَرَّ
الْوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ، وَنَهَى أَنْ يَتَابَعَا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالشُّرْكَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ
ذَلِكَ عِنْدَ الْوَالِدَيْنِ بَرًّا.

وقوله: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

أي فإذا ناله أذى أَوْ عَذَابٌ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِ جَزِعَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَجْزِعُ
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى الْأَذْيَةِ فِي اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ
خَطَايَاكُمْ﴾.

يَقْرَأُ وَلْنَحْمِلْ بِسُكُونِ اللَّامِ وَبِكُسْرِهَا. فِي قَوْلِهِ وَلْنَحْمِلْ. وَهُوَ أَمْرٌ
فِي تَأْوِيلِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، وَالْمَعْنَى إِنْ تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ.

والمعنى إن كَانَ فِيهِ إِثْمٌ فَنَحْنُ نَحْتَمِلُهُ ، ومعنى «سبيلنا» الطريق في ديننا الذي نسلكه ، فأعلم الله عز وجل أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال :

﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

معناه من شيء يُخَفَّفُ عن المحمول عنه العذاب ، ثم أعلم أنهم يَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ كما قال عز وجل : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) ، فقال في هذه السورة : ﴿وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ .

وجاء في الحديث تفسير هذا أنه من سَنَ سُنَّةٍ ظَلَمَ ، أو من سَنَ سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ فعليه إثمها وإثم من عمل بها ، ولا ينتقص من أَوْزَارِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِهَا شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ وعلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(٢) ، أي علمت ما قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ ، وما سَنَتْ مِنْ سُنَّةٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فإن ذلك مِمَّا أَخَّرَتْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ» مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وما أَخَّرَتْ مما كان يجب أن تُقَدِّمَهُ . ثم أعلم الله - عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُ يُؤَبِّخُهُمْ فقال :

﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

فذلك سُؤَالُ تَوْبِيخٍ كما قال : ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتُولُونَ﴾^(٣) فَأَمَّا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ فقد أعلم الله - عز وجل - أَنَّهُ لَا يَسْأَلُ سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ فِي

(١) سورة النحل الآية ٢٥ .

(٢) سورة الانفطار / ٥ .

(٣) سورة «الصفّات» ٢٤ .

قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾^(١) .

وقوله : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ .

فالاستثناء مُسْتَعْمَلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَتَأْوِيلُهُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ تَوْكِيدُ الْعَدَدِ وَتَحْصِيلُهُ وَكَمَالُهُ ، لِأَنَّكَ قَدْ تَذَكَّرَ الْجُمْلَةَ وَيَكُونُ الْحَاصِلُ أَكْثَرَهَا ، فَإِذَا أَرَدْتَ التَّوْكِيدَ فِي تَمَامِهَا قُلْتَ كُلَّهَا ، وَإِذَا أَرَدْتَ التَّوْكِيدَ فِي نَقْصَانِهَا أَذْخَلْتَ فِيهَا الِاسْتِثْنَاءَ ، تَقُولُ : جَاءَنِي إِخْوَتُكَ يَعْنِي أَنَّ جَمِيعَهُمْ جَاءَكَ . وَجَائِزُ أَنْ تَعْنِيَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاءَكَ ، فَإِذَا قُلْتَ : جَاءَنِي إِخْوَتُكَ كُلُّهُمْ أَكْذَبْتَ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ ، وَأَعْلَمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ . وَتَقُولُ أَيْضًا : جَاءَنِي إِخْوَتُكَ إِلَّا زَيْدًا فَتُؤَكِّدُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ تَنْقُصُ زَيْدًا . وَكَذَلِكَ رُءُوسُ الْأَعْدَادِ مُشَبَّهَةٌ بِالْجَمَاعَاتِ ، تَقُولُ : عِنْدِي عَشْرَةٌ ، فَتَكُونُ نَاقِصَةً ، وَجَائِزُ أَنْ تَكُونَ تَامَةً ، فَإِذَا قُلْتَ : عَشْرَةٌ إِلَّا نِصْفًا أَوْ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ حَقَّقْتَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ : أَلْفٌ إِلَّا خَمْسِينَ فَهُوَ كَقَوْلِكَ عَشْرَةٌ إِلَّا نِصْفًا لِأَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَعْمَلْتَ الِاسْتِثْنَاءَ فِيمَا كَانَ أَمْلَكَ بِالْعَشْرَةِ^(٢) مِنَ التَّسْعَةِ ، لِأَنَّ النِّصْفَ قَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْعَشْرَةِ ، وَلَوْ قُلْتَ عَشْرَةٌ إِلَّا وَاحِدًا أَوْ إِلَّا اثْنَيْنِ كَانَ جَائِزًا وَفِيهِ قُبْحٌ ، لِأَنَّ تِسْعَةً وَثَمَانِيَةً يُوْدِي عَنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ ، وَلَكِنَّهُ جَائِزٌ مِنْ جِهَةِ التَّوْكِيدِ أَنَّ هَذِهِ التَّسْعَةَ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ ، لِأَنَّ قَوْلَكَ عَشْرَةٌ إِلَّا وَاحِدًا قَدْ أَخْبَرْتَ [فِيهِ] بِحَقِيقَةِ الْعَدَدِ وَاسْتِثْنَيْتَ مَا يَكُونُ نَقْصَانًا مِنْ رَأْسِ الْعَدَدِ .

وَالِاخْتِيَارُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْأَعْدَادِ الَّتِي هِيَ عُقُودُ الْكُسُورِ وَالصِّحَاحِ [أَنَّهُ]^(٣) جَائِزُ أَنْ يَسْتِثْنَى . فَأَمَّا اسْتِثْنَاءُ نِصْفِ الشَّيْءِ فَقَبِيحٌ

(١) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٣٩ .

(٢) أَدْخَلَ فِي عَدَدِ الْعَشْرَةِ وَأَدْلَ عَلَيْهَا .

(٣) زِيَادَةٌ لَا يَبْدُ مِنْهَا لَخُلُوِّ الْخَبَرِ مِنَ الرِّابِطِ .

جداً، لا يتكلم به العَرَبُ، فإذا قلت عشرةً إلا خمسةً فليس تطور^(١) العشرة بالخمسة لأنها ليست تقرب منها، وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان، فتقول: عندي درهم ينقص قيراطاً، ولو قلت عندي درهم ينقص خمسة دنانير^(٢) أو تنقص نصفه كان الأولى بذلك: عندي نصف درهم. ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليلاً من كثير^(٣).
فهذه جملة كافية.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

الطُّوفَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ كَثِيراً مُطِيفاً بِالْجَمَاعَةِ كُلِّهَا كَالْعَرَقِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى الْمَدِينِ الْكَبِيرَةِ. يقال فيه طوفان. وكذلك القتل الذريع والموت الجارف طوفان.

وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾.

قد بين في غير هذه الآية مَنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ، في قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾^(٤).

وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

المعنى وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ عَظِيفاً عَلَى نوح.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾.

(١) الطور - كنه وكعود - والطواز - ما كان بحذاء الشيء أو جواره، والمراد أن الخمسة ليست دانية من العشرة.

(٢) جمع دائق، وجمعه دوائق - والدرهم عشرة دوائق.

(٣) لم يأت الا استثناء الشيء القليل من الكثير.

(٤) سورة هود الآية ٤٠.

وقرئت «وَتُخْلَقُونَ إِنْكًاءً». أوثاناً أصناماً. وتخلقون إفكاً فيه قولان، تخلقون كذباً، وقيل تعملون الأصنام، ويكون التأويل على هذا القول: إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وأنتم تصنعونها. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وتقرأ تَرَوْا بالتاء.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

أي ثم إن الله يبعثهم ثانية بنشئهم نشأة أخرى، كما قال: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾^(١). وأكثر القراءة النشأة بتسكين الشين وترك لمدة، وقراً أبو عمرو والنشأة الأخرى بالمد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

أي ليس يعجز الله خلق في السماء ولا في الأرض. وفي هذا قولان أحدهما معناه ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء مُعْجِزِينَ في السَّمَاءِ، أي من في السموات ومن في الأرض غير مُعْجِزِينَ. ويجوز - والله أعلم - وما أنتم بمعجزين في الأرض، لا ولو كنتم في السماء، أي لا ملجأ من الله إلا إليه.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾.

روي عن قتادة أنه قال: إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْمًا هَانُوا عَلَيْهِ فقال: أولئك يئسوا مِنْ رَحْمَتِي، وقال: إنه لا يئأس من رُوحِ الله إلا القوم الكافرون، وينبغي للمؤمن ألا يئس من روح الله، ولا من رَحْمَتِهِ، ولا يَأْمَنُ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَصِفَةُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ رَاجِئاً لِلَّهِ، خَائِئِفاً.

(١) سورة النجم الآية ٤٧.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾.

وقرأ الحسنُ فما كان جواب قَوْمِهِ - بالرفع - فمن نصب جعل «أَنْ قَالُوا» اسم كان، ومن رفع الجواب جعله اسم كان وجعل الخبر «أَنْ قَالُوا» وما عملت فيه، ويكون المعنى ما كان الجواب إلا مقالتهُم: اقتلوه، لما أَنْ دَعَاهُم إبراهيم إلى توحيد الله عز وجل، واحتج عليهم بأنهم يعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعهم، جعلوا الجواب اقتلوه أو حرِّقوه.

وقوله: ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

المعنى فحرِّقوه فأنجاه الله من النار. ويُرَوَّى أن إبراهيم ﷺ لم تعمل النار في شيء منه إلا في وثاقه الذي شُدَّ به. ويروى أن جميع الدواب والهوام كانت تطفئ عن إبراهيم إلا الوزغ^(١)، فإنها كانت تنفخ النار، فأمر بقتلها ويرد أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار، أعني يوم أخذوا إبراهيم عليه السلام.

وجميع ما ذكرناه في هذه القصة مما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وكذلك أكثر ما رَوِيَتْ في هذا الكتاب من التفسير. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾.

أي قال إبراهيم لقَوْمِهِ إنما اتخذتم هذه الأوثان لتتواذوا بها في الحياة الدنيا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

(١) الوزغ هو سام أ.

وهذا كما قال الله - عز وجل: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وفيها في القراءة أربعة أوجه. منها مودة بينكم، بفتح مودة وبالإضافة إلى بين، وبنصب مودة والتنوين، ونصب بين، «مودة بينكم» ويجوز مودة بينكم - بالرفع والإضافة إلى بين، ويجوز مودة بينكم - بالرفع والتنوين ونصب بين. فالنصب في مودة من أجل أنها مفعول لها، أي اتخذتم هذا للمودة بينكم. ومن رفع فمن جهتين أحدهما أن يكون «ما» في معنى «الذي» ويكون المعنى: إن ما اتخذتموه من دون الله أوثاناً مودة بينكم، فيكون مودة خبر إن، ويكون برفع مودة على إضمار هي، كأنه قال: تلك مودة بينكم في الحياة الدنيا، أي ألفتكم واجتماعكم على الأصنام مودة بينكم في الحياة الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾.

صدق لوط إبراهيم عليه السلام، وقال إني مهاجر إلى ربي. إبراهيم هاجر من كوثى^(٢) إلى الشام.

وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾.

قيل الذكر الحسن، وكذلك ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾. وقيل ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أنه ليس من أمة من المسلمين واليهود والمجوس والنصارى الا وهم يعظمون إبراهيم. وقيل ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

(٢) المعروف تاريخياً أن إبراهيم كان في أور الكلدانيين - قريباً من بابل - ولعل كوثى اسم من اسمائها أو هي قرية قريبة منها.

في الدنيا ﴿أَنَ الانبياء مِن وَلَدِهِ، وقيل الولد الصالح .
وقوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا
سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

المعنى أنه لم يَنْزُ ذَكَرٌ على ذَكَرٍ قبل قَوْمٍ لُوطٍ .

وقوله: ﴿أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ .

اللفظ لفظ استفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ .

﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾ .

جاء في التفسير ويقطعون سبيل الولد، وقيل يعترضون الناس،
في الطُّرُقِ لِطَلَبِ الْفَاحِشَةِ .

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ .

أي تأتون في مجالسكم المنكر، قيل إنهم كانوا يَخْذِفُونَ^(١) النَّاسَ في
مَجَالِسِهِمْ ويسخرون مِنْهم، فأعلم الله جل وعز. أن هذا من المنكر، وأنه لا
ينبغي أن تتعاشر الناس عليه، ولا يجتمعوا إلا فيما قَرَّبَ إلى الله وباعَدَ مِنْ
سَخَطِهِ، وألاً يجتمعوا على الهزء والتلهي، وقيل: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ
الْمُنْكَرَ﴾ أَنَّهُمْ كانوا يَفْسُقُونَ في مَجَالِسِهِمْ .

وقوله: ﴿وَعَاداً وَثَمُوداً وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾ .

المعنى وأهلكنا عاداً وثموداً، لأن قبل هذا قَارُونَ وَأَصْحَابُهُ، فأخذتهم
الرجفة .

وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً﴾ .

(١) الخذف بالخاء المعجمة رمي الحصا بالسبابة .

وهم قوم لوط .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم ثمود ومدين .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ : وهم قارون وأصحابه .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ : وهم قوم نوح وفرعون .

فأعلم الله أن الذي فعلَ بهم عدلٌ ، وأنه لم يظلمهم ، وأنهم ظلموا أنفسهم . لأنه قد بينَ لهم ، وذلك قوله : ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ .

أتوا ما أتوه وقد بينَ لهم أن عاقبته عذابهم .

وقوله عز وجل : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا . . .﴾ الآية (١) .

«لَوْ» متصلة بقوله اتَّخَذُوا ، أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتِّخَاذِ العنكبوتِ ، ليس أنهم لا يَعْلَمُونَ أن بيت العنكبوت ضعيف ، وذلك أن بيت العنكبوت لا يَبِيتُ أضعفُ منه ، فيما يَتَّخِذُهُ الْهَوَامُّ في البيوت ، ولا أقل وقايةً منه من حرٍّ أو برِّدٍ ، والمعنى أن أولياءهم لا يَنْقُصُونَهُمْ ، ولا يرزقونهم ولا يدفعون عنهم ضرراً ، كما أن بيت الْعَنْكَبُوتِ غير مُوقٍ للعنكبوت .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ .

قال الحسن وقتادة : من لم تنهه صَلَاتُهُ عن الفحشاء والمنكر فليست صَلَاتُهُ بِصَلَاةٍ ، وهي وبَالٍ عَلَيْهِ .

(١) بقيتها : ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

وقوله : ﴿لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

فيها أوجه : فمنها أن أكبر في معنى كبير، وجاء في التفسير: ولذكر الله إياكم إذا ذكروا أكبر من ذكركم، ووجه آخر معناه ﴿ولذكر الله أكبر﴾ هو النهي عن الفحشاء والمنكر، أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، لأن الله قد نهى عنها.

وقوله : ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ .

[أي] أهل الحرب، فالمعنى : لا تجادلوا أهل الجزية إلا بالتتي هي أحسن، وقاتلوا الذين ظلموا. وقيل إن الآية منسوخة بقوله : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾^(١). إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. فكان الصغار خارجاً من التي هي أحسن، فالأشبه أن تكون منسوخة. وجائز أن يكون الصغار أخذ الجزية منهم وإن كرهوا، فالذين تؤخذ منهم الجزية بنص الكتاب اليهود والنصارى، لأنهم أصحاب التوراة والانجيل، فأما المجوس فأخذت منهم الجزية لقول رسول الله ﷺ : «سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». واختلف الناس فيمن سوى هؤلاء من الكفار مثل عبدة الأوثان ومن أشبههم فهم عند مالك بن أنس يجرون هذا المجرى. تؤخذ منهم الجزية كانوا عجماً أو عرباً، وأما أهل العراق فقالوا نقبل الجزية من العجم غير العرب إذا كانوا كفاراً، وإن خرجوا من هذه الأصناف أعني اليهود

(١) بقيتها : ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ سورة التوبة الآية ٢٩ .

والنصارى والمجوس، نحو الهند والترك والديلم، فأما العرب عندهم فإذا^(١) خرجوا من هذه الثلاثة الأصناف لم تُقبل منهم جزية، وكان القتل في أمرهم إن أقاموا على ملة غير اليهودية والنصرانية والمجوسية، وبعض الفقهاء لا يرى إلا القتل في عبدة الأوثان والأصنام ومن أشبههم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيْنِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

أي ما كنت قرأت الكتب ولا كنت كاتباً، وكذلك صفة النبي ﷺ عندهم في التوراة والانجيل.

وقوله: ﴿لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ قيل إنهم كفار قريش.

وقوله: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾.

قيل فيه ثلاثة أوجه، منها بل القرآن آيات بينات، ومنها بل النبي ﷺ وأموره آيات بينات، ومنها «بل هو آيات بينات» أي بل إنه لا يقرأ ولا يكتب، آيات بينات، لأنه إذا لم يكن قرأ كتاباً، ولا هو كاتب ثم أخبر بأقاصيص الأولين والأنبياء فذلك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم.

وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾.

هذه نزلت في قوم جهلة قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)، فأعلم الله - عز وجل - أن

(١) في الأصل إذا خرجوا وزدنا الفاء في جواب أما.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الانفال.

لِعَذَابِهِمْ أَجَلًا فَقَالَ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾.

معناه فُجَاءَةً، وبَغْتَةً اسم مَنْصُوبٌ في موضع الحال، ومعناه وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ مفاجأةً.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهود فأتوا به النبي ﷺ، فقال عليه السلام: كَفَىٰ بِهَا حِمَاقَةً قَوْمٍ، أَوْ ضَلَالَةً قَوْمٍ أَنْ رَغَبُوا عَمَّا أَتَىٰ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَىٰ مَا أَتَىٰ بِهِ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ إِلَىٰ غَيْرِ قَوْمِهِمْ.

وقوله عز وجل: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

تفسيرها: قِيلَ إِنَّهُمْ أَمَرُوا بِالْهَجْرَةِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا تَمَكُنُهُمْ فِيهِ عِبَادَةُ اللَّهِ - عز وجل - وأداء فرائضه، وأصل هذا فيمن كان يمكنه مِمَّنْ آمَنَ وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعْمَلُ فِيهِ بِالْمَعَاصِي ولا يمكنه بغير ذلك أَنْ يُهَاجِرَ وَيَنْتَقِلَ إِلَىٰ حَيْثُ يَتَهَيَّأُ لَهُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿فَاِيَايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

«إِيَايَ» منصوب بفعل مضمر، الذي ظَهَرَ يُفَسِّرُهُ، المعنى فاعبدوا إِيَايَ - فاعبدوني، فاستغنى بأحد الفعلين، أعني الثاني - عن إظهار الأول، فإذا قلت: فَاِيَايَ فاعبدوا، فَاِيَايَ منصوب بما بعد الفاء، ولا

(١) سورة القمر الآية ٤٦.

تَنْصِبُهُ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ كَمَا أَنْكَ إِذَا قُلْتَ: بِزَيْدٍ فَاْمُرُّ، فَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِاْمُرُّ، وَالْمَعْنَى: أَنْ أَرْضِي وَاسِعَةً فَاْعْبُدُونِ، فَالْفَاءُ إِذَا قُلْتَ زَيْدًا فَاضْرِبْ لَا يَصْلُحُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ، كَانَ قَائِلًا قَالَ: أَنَا لَا أَضْرِبُ عَمْرًا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ زَيْدًا، فَقُلْتَ أَنْتَ مُجِيبًا لَهُ: فَاضْرِبْ زَيْدًا، ثُمَّ قُلْتَ زَيْدًا فَاضْرِبْ، فَجَعَلْتَ تَقْدِيمَ الْاسْمِ بَدَلًا مِنَ الشَّرْطِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَصِفُ فَاضْرِبْ زَيْدًا، وَهَذَا مَذْهَبُ جَمِيعِ النُّحَوِيِّينَ الْبَصَرِيِّينَ.

وقوله: ﴿وَكَايَيْنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

كُلُّ حَيَوَانٍ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا يَعْقِلُ، وَمَا لَا يَعْقِلُ فَهُوَ دَابَّةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ دَبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ فَهِيَ دَابَّةٌ، وَالْمَعْنَى نَفْسٌ دَابَّةٌ، وَمَعْنَى وَكَايَيْنَ: وَكَمْ مِنْ دَابَّةٍ.

وقوله: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

أَيُّ لَا تَدْخِرُ رِزْقَهَا، إِنَّمَا تَصْبِحُ فَيَرْزُقُهَا اللَّهُ. وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الْحَيَوَانِ وَالذَّبِيبِ وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ ذَبِيبٌ مَا يَدْخِرُ فِيمَا تَبَيَّنَ غَيْرُ النَّمْلِ، فَإِنْ ادَّخَرَهُ بَيَّنَّ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

مَعْنَاهُ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾.

وَقُرِئَتْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ - بِالْثَاءِ - يَقَالُ ثَوَى الرَّجُلِ إِذَا أَقَامَ بِالْمَكَانِ وَأَثْوَيْتُهُ أَنْزَلْتَهُ مَنْزِلًا يَقِيمُ فِيهِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَيَتَمَتَّعُوا﴾.

قَرَأَ بِكَسْرِ اللَّامِ وَتَسْكِينِهَا، وَالْكَسْرُ أَجْوَدُ عَلَى مَعْنَى لَكِي
يَكْفُرُوا وَكِي يَتَمَتَّعُوا.

وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أَي لَمْ يَدْعُوا أَنْ تُنَجِّيَهُمْ أَصْنَانُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَهُ مَعَ اللَّهِ.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

أَي يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

أَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَزِيدُ الْمُجَاهِدِينَ هِدَايَةً كَمَا أَنَّهُ يُضِلُّ الْفَاسِقِينَ،
وَيَزِيدُ الْكَافِرِينَ بِكُفْرِهِمْ ضَلَالَةً، كَذَلِكَ يَزِيدُ الْمُجَاهِدِينَ هِدَايَةً - كَذَا
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١)، فَاَلْمَعْنَى
أَنَّهُ آتَاهُمْ ثَوَابَ تَقْوَاهُمْ وَزَادَهُمْ هُدًى عَلَى هِدَايَتِهِمْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

تَأْوِيلُهُ إِنْ اللَّهُ نَاصِرُهُمْ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾. اللَّهُ
مَعَهُمْ^(٢). يَدُلُّ عَلَى نَصْرِهِمْ، وَالنَّصْرَةُ تَكُونُ فِي عُلُوِّهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ
بِالْغَلْبَةِ بِالْحِجَّةِ وَالْغَلْبَةِ بِالْقَهْرِ وَالْقُدْرَةِ.

(١) سُورَةُ مُحَمَّدٍ آيَةُ ١٧.

(٢) الْعِبَارَةُ غَيْرُ جَيِّدَةٍ، وَيُظْهَرُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّ الْمُجَاهِدِينَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، فَاللَّهُ مَعَهُمْ أَيْ نَاصِرُهُمْ - لِأَنَّ
الْآيَةَ «وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» وَلَيْسَتْ «مَعَ الْمُجَاهِدِينَ» لَكِنْ مَعِيَ الْمُحْسِنِينَ عَامَةً تَسْتَلْزِمُ مَعِيَ
الْمُجَاهِدِينَ، وَرَبِّمَا سَقَطَ مِنْ كَلَامِهِ شَيْءٌ.

سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الْم. غَلَبَتْ الرُّومُ﴾.

قد شَرَحْنَا ما جاء في ﴿الْم﴾، وَقَرِئَتْ غَلَبَتْ بضم الغَيْنِ، وقرأ أبر
عَمِرُو غَلَبَتْ - بفتح الغَيْنِ - والمعنى على غَلَبَتْ، وهي إجماع القراء.
وذلك أن فارسَ كانت قد غَلَبَتْ الروم في ذلك الوقتِ، والروم مغلوبة،
فالقراءة غُلِبَتْ.

وقوله: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾.

قيل في أطراف الشام، وتأويله أدنى الأرض مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾.

هذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله، لأنه أنبأ
بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله - عز وجل - وكان المشركون سُروا
بأن غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ، وَذَلِكَ لَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ
تَزْعُمُونَ بَأْنَكُمْ تُنْصَرُونَ بَأْنَكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَقَدْ غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومَ،
وفارس ليست أهل كتاب، والروم أهل كتاب، فكذلك سنغلبكم نحن،
فأعلم الله - عز وجل - أَنَّ الرُّومَ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ، وَسَيُسْرُ
الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَاهَنَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ وَبَايَعُوهُمْ عَلَى صَاحَةِ هَذَا
الْخَبَرِ. وَالْبَضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ، فَلَمَّا مَضَى بَعْضُ الْبَضْعِ

طالبَ المشركونَ المُسلمينَ وقالوا قَدْ غَلَبْنَاكُمْ، لأنه قد مَضَتْ بضع [سنين] ولم تغلب الرومَ فَارِسَ واحتج عليهم المسلمون بأن البِضْعَ لَمْ يَكْمُلْ، وزادوهم وأخروهم إلى تمام البِضْعِ، فغلبت الرومَ فَارِسَ وقَمَرَ المسلمون وذلك قبل أن يُحَرَّمَ القِمَارُ وَفَرِحَ المسلمون وخَزِيَ الكافرون.

وقوله عز وجل: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

القراءة الضَّمُّ، وعليه أهل العربية، والقراء كلُّهم مجمعون عليه، فأما النحويون فيجيزون مِنْ قَبْلٍ ومن بَعْدٍ بالتنوين، وبعضهم يجيز من قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ - بغير تنوين، وهذا خَطَأٌ لأن قَبْلَ وبَعْدَ ههنا أصلهما الخفض ولكن بُنِيَتْا عَلَى الضَّمِّ لأنهما غَايَتَانِ. ومعنى غاية أن الكلمة حذفت منها الإضافة، وَجُعِلَتْ غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف. وإنما بُنِيَتْا عَلَى الضم لأن إعرابَهُمَا في الإضافة النصب والخفض. تقول: رأيتَه قَبْلَكَ وَمِنْ قَبْلِكَ، ولا يرفعان لأنهما لا يُحْدِثُ عَنْهُمَا لأنهما اسْتُعْمِلَتَا ظَرْفَيْنِ، فلما عُدِلَا عن بابهما حُرِّكََا بغير الحركتين اللَّتَيْنِ كانتا تَدْخُلَانِ عليهما بحق الاعراب. فأما وجوب ذهاب إعرابهما، وَبِنَاؤُهُمَا فَلأنَّهُمَا عُرِّفَا من غير جهة التعريف، لأنه حذف منهما ما أضيفتا إِلَيْهِ.

والمعنى لله الأمر من قبل أن يُغْلِبَ الرومَ ومن بعدما غُلِبَتْ، وأما الخَفْضُ والتَّنْوِينُ فعلى من جعلهما نكرتين، المعنى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ تَقْدِيمٍ وَتَأَخِيرٍ. والضَّمُّ أَجْوَدُ، فأما الكسر بلا تنوين فذكر الفراء أنه تَرَكُهُ عَلَى مَا كَانَ يَكُونُ عَلَيْهِ في الإضافة ولم يُنَوِّنْ، واحتج بقول الأول: (١).

(١) البيت للفرزدق وصدوره: يا من رأى عارضاً أُسْرَ به، وهو في ابن يعيش ٢١/٣، والعيني =

بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجْهَةِ الْأَسَدِ

وَبَقُولِهِ (١):

أَلَّا غَلَالَةً أَوْ بَدَاهَةً قَارِحٍ نَهْدِ الْجُرَارَةِ

وليس هذا كذلك لأن معنى بين ذراعي وجبهة الأسد. بين ذراعيه وَجْهَتِهِ فقد ذَكَرَ أَحَدَ المضافَيْنِ إِلَيْهِمَا، وذلك لو كان لله الأمرُ من قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ كَذَا لجاز وكان المعنى من قبل كذا ومن بعد كذا. وليس هذا القول مما يُعَرَّجُ عَلَيْهِ ولا قاله أحد من النحويين المتقدمين.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾..

الْغَلَبُ وَالطَّلَبُ مَصْدَرَانِ، تقول: غَلَبْتُ غَلْبًا، وَطَلَبْتُ طَلَبًا، وزعم بعض النحويين أنه في الأصل مِنْ بَعْدِ غَلَبَتِهِمْ، وذكر أن الإضافة لما وقعت حذفت هاء الغَلَبَةِ، وهذا خطأ. الغلبة والغَلَبُ مصدر غَلَبْتُ مثل الْجَلَبُ وَالْجَلْبَةُ.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

القراءة النَّصْبُ فِي وَعْدٍ، وَيَجُوزُ الرُّفْعُ، ويجوز النصب، ولا أعلم أحدا قرأ بالرفع. فالنصب على أنه مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ، لأن قوله «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ».

هو وعد من الله للمؤمنين، وقوله «وَعَدَ اللَّهُ» بمنزلة وعد الله

= ٤٧٢/٣ وكتاب سيبويه ٢٧٧/٢ والخزانة ٢٧٧/٢ (سلفية) والستمرى ٩٢/١.

والعارض السحاب تعترض الأفق وذراع الأسد وجبهة الأسد مجموعتان من الكواكب - وللأسد ذراع مقبوضة وأخرى مبسوطة - كل منهما كوكبان.

(١) البيت للأعشى من قصيدته:

يا جارتا ما أنت جاره بانث لتخزننا عفاره

والبيت في الخزانة ١٣١/٣ وهو الشاهد ٢٣، وفي العيني ٤٥٣/٣، وفي الديوان ١١٦، وفي

الخصائص ٤٠٧/٢.

وَعَدًا. ومن قال: وَعَدُ اللَّهِ كَانَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ ذَلِكَ وَعَدُ اللَّهِ كَمَا قَالَ: كَانَهُمْ ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

هذا في مشركي أهل مكة المعنى يعلمون من معاش الحياة الدنيا، لأنهم كانوا يعالجون التجارات، فأعلم الله - عز وجل - لما نفى أنهم لا يعلمون مَا الَّذِي يَجْهَلُونَ، ومقدار مَا يَعْلَمُونَ فقال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

«هم» الأولى مرفوعة بالابتداء، «وهم» الثانية ابتداء ثانٍ، وغافلون خبر «هم» الثانية، والجملة الثانية خبرهم الأولى. والفائدة في الكلام أو ذكر «هم» ثانية، وإن كانت ابتداء تجري مجرى التوكيد كما تقول زيد هو عالمٌ، فهو أؤكد من قولك زيد عالم. ويصلح أن تكون «هم» بدلاً من هم الأولى مؤكدةً أيضاً، كما تقول: رأيتُه إِيَّاهُ.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

معناه أو لم يتفكروا فيعلموا، لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى بالحق ههنا «إِلَّا لِلْحَقِّ» أي لأقامة الحق.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

أي لإقامة الحق ورجلٍ مُّسَمًّى؛ وهو الوقت الذي تُوفَى فيه كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

[أي لكافرون] بلقاء رَبِّهِمْ، تَقَدَّمت الباءُ لأنها مُتَّصِلَةٌ بكافِرُونَ، وما اتَّصَلَ بخبرٍ إن جازَ أن يُقَدَّمَ قَبْلَ اللامِ، ولا يجوزُ أن تَدْخَلَ اللامُ بَعْدَ مُضِيِّ الْخَبَرِ. لا يجوزُ أن تقولَ إن زَيْداً كافرٌ لبالله. لَأَنَّ اللامَ حَقَّقَهَا أن تَدْخَلَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ. أو بينَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، لأنها تُؤَكِّدُ الجُمْلَةَ، فلا تَأْتِي تَوْكِيداً وَقَدْ مَضَتْ الجُمْلَةُ. ولا اِخْتِلَافَ بينَ النَحْوِيِّينَ في أن اللامَ لا تَدْخُلُ بغيرِ الْخَبَرِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

يعني أن الذين أهلكوا من الأمم الخالية، كانوا أكثر حرثاً وعمارَةً من أهل مكة، لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السُّوءَى [أَن كَذَّبُوا...].﴾

القراءة بنصب عاقبة ورفعها، فمن نصب جعل السوءى اسم كان ومن رفع «عَاقِبَةُ» جعل السُّوءَى خبراً لكان، والتفسير، في قوله أُسَاءُوا ههنا أنهم أشركوا، والسُّوءَى النَّارُ، وإنما كان أساءوا ههنا يَدُلُّ على الشُّرْكِ لقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

فإساءتهم ههنا كفرهم، وجزاء الكُفْرِ النَّارُ. وَدَلَّ أيضاً على أن أساءوا ههنا الكُفْرُ: ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فالمعنى: ثم كان عَاقِبَةُ الْكَافِرِينَ النَّارُ لتكذيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ واستهزائِهِمْ. وقوله عز وجل: ﴿يُئِيلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

أعلم الله عز وجل أنهم في القيامة ينقطعون في الحجة انقطاع يثسين من رَحْمَةِ اللَّهِ، والمبلس الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يَهْتَدِيَ إليها، تقول: ناظرت فلاناً فأبلس أي انقطع وأمسك ويثس من أن يحتج.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنفَرُقُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه افتراق لا اجتماع بعده، وفيما بعده دليل على أن التفرق هو للمسلمين والكافرين، فقال: ﴿يَوْمِئذٍ يَنفَرُقُونَ﴾، ثم بين على أي حال يتفرقون فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

وجاء في التفسير أن «يُحْبَرُونَ» سماع الغناء في الجنة، والحبرة في اللغة كل نعمة حسنة، فهي حَبْرَة، والتجبير التحسين والخبرُ العالم أيضاً هو من هذا، المعنى أنه متخلق بأحسن أخلاق المؤمنين، والجبرُ المِدادُ إنما سُمِّيَ لِأَنَّهُ يُحَسِّنُ بِهِ.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

أي حال المؤمنين السماع في الجنة، والشغل بغاية النعمة^(١)، وحال الكافرين العذاب الأليم هم حاضروه أبداً غير مُخَفَّفٍ عنهم، ثم أعلم عز وجل بعد هذا ما تُدْرِكُ به الجنة، ويتباعد به عَنِ النَّارِ بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

جاء في التفسير عن ابن عباس أن الدليل على أن الصلوات خمس هذه الآية ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ فحين تمسون صلاة المغرب وَعِشَاءُ الْآخِرَةِ وحين تصبحون صلاة الغداة^(٢)، وعشياً صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الظهر. وقد قيل ان قوله:

(١) لا يشغلهم الا التمتع بالنعم الكبرى.

(٢) صلاة الصبح.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾^(١) إنها الصلاة الخامسة،
فيكون على هذا التفسير قوله : ﴿حين تمسون﴾ لصلاة واحدة.

ومعنى سبحان الله تنزيه الله من سوء . هذا لا اختلاف فيه .
وقوله - عز وجل - ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ﴾.

جاء في التفسير أنه يخرج النطفة - وهي الميت - من الحي من
الإنسان، ويخرج الحي من الميت، يخرج الانسان من النطفة .

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

أي يجعلها تنبت، وإحياء الأرض إخراج النبات منها .

وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

أي وكذلك تُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ مَبْعُوثِينَ، وموضع الكاف نصب
بِتُخْرَجُونَ، والمعنى أن بعثكم عليه كخلقكم، أي هما في قُدْرَتِهِ
مُتَسَاوِيَانِ .

وقوله عز وجل : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.

أي من العَلَامَاتِ التي تدل على أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لا مثيل له ظهورُ
الْقُدْرَةِ التي يعجز عنها المخلوقون، ومعنى خلقكم مِنْ تُرَابٍ، أي
خلق آدم مِنْ تُرَابٍ .

﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشِيرُونَ﴾.

[أي] آدم وذريته .

(١) سورة النور الآية ٥٨ .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

خلق حواء من ضلعٍ من أضلاع آدم، وجعل بين المرأة والزوج المودة والرحمة من قبل الله، وأن الفرك وهو البغض من قبل الشيطان، يقال فركت المرأة زوجها تفركه فركاً، إذا أبغضته.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

خَوْفًا وطمعاً منصوبان على المفعول له، المعنى يريكم البرق للخوف والطمع، وهو خَوْفٌ لِلْمُسَافِرِ، وطمع للحاضر. المعنى ومن آياته آية يريكم بها البرق خَوْفًا وطمعاً. هذا أجود في العطف. لأنه قال: «ومن آياته خَلَقُ» فنسق باسم على اسم، ومثله من الشعر.

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت، وأخرى ابتغي العيش أكدح^(١)

المعنى فمنهما تارة أموتها أي أموت فيها، ويجوز أن يكون المعنى ويريكُم البرق خَوْفًا وطمعاً من آياته، فيكون عطفاً بِجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾.

أي تقوم السماء بغير عمدٍ، وكذلك الأرض قائمة بأمره^(٢)، والسماء محيطة بها.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾.

أي للبعث بعد الموت.

وقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

(١) تقدم.

(٢) في نسخة أخرى أي تقوم بأمره.

معناه مطيعون، والمعنى: وهذا من آياته، ولم يذكر «ومن آياته» لأنه قد تقدم ذكر ذلك مرّاتٍ، ومعنى «قانتون» مطيعون طاعة لا يجوز أن تقع معها معصية، لأن القنوت القيام بالطاعة. ومعنى الطاعة ههنا، أن من في السموات الأرض في خلقهم دليل على أنهم مخلوقون بإرادة الله - عز وجل - لا يقدر أحدٌ على تغيير الخلقة، ولا يقدر عليه ملك مُقَرَّبٌ، فأثار الصنعة والخلقة تدل على الطاعة، ليس يعني طاعة العباد، إنما هي طاعة الارادة والمشیئة.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

فيه غير قول، فمنها أن الهاء تعود على الخلق، فالمعنى الاعادة والبعث أهون على الانسان من إنشائه، لأنه يُقَاسِي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث.

وقال أبو عبيدة وكثيرٌ من أهل اللغة: إن مَعْنَاهُ: وَهُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ، وإن «أَهْوَنُ» ههنا ليس معناه أن الإعادة أهون عليه من الابتداء، لأن الإعادة والابتداء كُلٌّ سَهْلٌ عَلَيْهِ ومن ذلك من الشعر: ^(١)

لعمرك ما أدري وإني لأَوْجَلُ على أينا تعدو المنية أول

فمعنى لأَوْجَلُ لَوَجَلُ، وقالوا الله أكبر أي الله كبيرٌ، وهو غير منكر، وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَيْنِ الوجهين أنه خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكونَ البعث أَسْهَلُ وأهون من الابتداء

(١) لمعن بن أوس المزني - وكان قد طلق زوجه وتزوج بأخرى فغضب عليه صهره أخوزوجه وقاطعه فأخذ أوس يستعطفه بهذه الأبيات وهي غاية في الاستعطاف والركة، وأشار فيها إلى هذا الحادث إذ قال:

فلا تعجبين أن تستعاري ظمينة وترسل أخرى كل ذلك يفعل
انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣٢ جـ ٣، والكامل ٢/١٤ والخزانة ٣/٥٢٥.

والإنشاء، وجعله مثلاً لهم فقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾.

أي قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قد ضربَهُ لكم مثلاً فيما يصعب
ويسهل.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

هذا مثل ضربهُ الله - عز وجل - لمن جعلَ له شريكاً مِنْ خلقه .
فأعلم - عز وجل - أَنَّ مَمْلُوكَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِشَرِيكِهِ فِي مَالِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَأَنَّهُ
لَا يَخَافُ مِنْ مَمْلُوكِهِ أَن يَرِثَهُ فَقَالَ: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَن
جَعَلْتُمْ مَا هُوَ مِلْكُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مِثْلَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ كَلِمَكُم بَشَرٌ، لَيْسَ
بِمَالِيكُمْ بِمَنْزِلَتِكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَاللَّهُ - عز وجل - أَجْدَرُ أَلَّا يَكُونَ يُعْدِلُ
بِهِ خَلْقَهُ.

﴿كَذَلِكَ نُقْصِلُ الْآيَاتِ﴾.

موضع الكاف نصب.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.

الحنيف الذي يميل إلى الشيء فلا يرجع عنه كالحنف في
الرَّجْلِ وهو مَيْلُهَا إِلَى خَارِجِهَا خَلْقَةً. لَا يَمْلِكُ الْأَحْنَفُ إِنْ يَرُدُّ حَنْفَهُ.

وقوله - عز وجل -: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

«فطرة الله» منصوب بمعنى اتَّبَعَ فِطْرَةَ اللَّهِ، لأن معنى «فَأَقِمْ
وَجْهَكَ» اتَّبِعِ الدِّينَ الْقَيِّمَ. اتَّبَعَ فِطْرَةَ اللَّهِ، ومعنى فِطْرَةَ اللَّهِ خَلْقَةَ اللَّهِ
التي خلق عليها البشرَ، وقول النبي ﷺ: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ

حتى يكون أبواه يهودانه ويُنصرانه ويُمجسانه، مَعْنَاهُ أَنْ اللَّهَ - عز وجل - فطر الخلق على الإيمان على ما جاء في الحديث، أَنَّ اللَّهَ - جل ثناؤه - أخرج مِنْ صُلبِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُ خَالِقُهُمْ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(١). فكل مولود فهو من تلك الذرية التي شَهِدَتْ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا.

فمعنى «فطرة الله» دين الله الذي فطرَ الناس عليه.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

أكثر ما جاء في التفسير أن معناه لا تبديل لدين الله، وما بعده يدل عليه، وهو قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾.

مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾. زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وجوهكم منيبين إليه، لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل معه فيها الأمة، والدليل على ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

وقوله «منيبين» معناه راجعين إليه إلى كلِّ ما أمر به ولا يخرجون عن شيء مِنْ أَمْرِهِ، فأعلمهم الله - عز وجل - أن الطريقة المستقيمة في دين الاسلام هو اتباع الفطرة والتَّقْوَى مع الاسلام وأداء الفرائض، وأنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص في التوحيد فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢

وقرئت ﴿فَرَّقُوا﴾ دينهم .

﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾ .

فَرَقًا، فأمرهم الله - عز وجل - بالاجتماع والألفة ولزوم الجماعة، والسنة هي الهداية، والضلالة هي الفرقة .

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ .

أي كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فَرِحَ يَظُنُّ أَنَّهُ هو الْمُهْتَدِي . ثم أعلم الله عز وجل أنهم إذا مَسَّهُمْ ضَرْرٌ دَعَوْا رَبَّهُمْ منيبين إليه، أي لا يلجأون في شدائدهم إلى مَنْ عَبَدُوهُ مع الله - عز وجل - إنما يَرْجِعُونَ في دُعَائِهِمْ إِلَيْهِ وَحْدَهُ .

﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ .

أي إذا أذاقهم رحمةً بأن يخلصهم من تلك الشدة التي دَعَوْا فيها الله وحده مَرُّوا بعد ذلك على شركهم .

وقولهم عز وجل: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ :

معنى «فَتَمَتَّعُوا» خطاب بعد الاخبار لأنه لما قال : «لِيَكْفُرُوا» كان خبراً عَنْ غَائِبٍ . فكان المعنى فتمتعوا أيها الفاعلون لِهَذَا فسوف تعلمون ، وليس هذا بأمرٍ لازمٍ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ .

وهو أمرٌ عَلَى جهة الوَعِيدِ والتَهْدِيدِ، وذلك مستعمل في كلام الناس تقول: إن أسمعني مَكْرُوهًا فَعَلْتُ بك وَصَنَعْتُ ثم تقول: افْعَلْ بي كذا وكذا^(١) فإنك ستري ما ينزل بك، فليس إذا لم يُسْمِعَكَ كان عاصياً لك . فهذا دليل أنه ليس بأمرٍ لازمٍ، وكذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أي اسمعني هذا المكروه .

وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ^(١) وكذلك : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٢).

لم يُخَيِّرُوا بين الايمان والكفر ولكنه جرى على خطاب العباد وجوارِ العرب الذي تستعمله في المبالغة في الوعيد، ألا ترى أن قوله بعد ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ : إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا^(٣) فهذا مما يؤكد أمر الوعيد.

وقوله: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.

جعل الله عز وجل لذي القُرْبَى حَقًّا وكذلك للمساكين. وابنُ السَّبِيل الضَّيْفُ فجعل الضيافة لازمةً. فأما القَرَابَاتُ فالموارِيثُ قَدْ بَيَّنَّتْ مَا يَجِبُ لكل صنف منهم، وفرائض الموارِيث كأنها قَدْ نَسَخَتْ هذا أعني أمر حق القرابة، وجائز أن يكون للقرابة حق لازم في البرِّ.

وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعني به دفع الانسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك في أكثر التفسير لَيْسَ بحرام، ولكنه لَا ثَوَابَ لمن زَادَ عَلَى ما أَخَذَ. وَالرَّبَا ربوان، والحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو يجبر منفعة، فهذا حرام^(٤)، والذي ليس بحرام هو الذي يَهَبُهُ الانسان يستدعي به ما هو أكثر منه، أو يهدي الهدية يستدعي بها ما هو أكثر منها.

وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

(٤) في الاصل فحرام.

أي وما أُعْطِيتُمْ من صَدَقَةٍ لا تطلبون بها المكافأة وإنما يقصدون بها ما عند الله .

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ .

أي فأهلها هم المضْعِفُونَ، أي هم الذي يضاعف لهم الثواب، يعطون بالحسنة عشرة أمثالها ويضاعف الله لمن يشاء، وقيل ﴿الْمُضْعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مَقْوٍ، أي صاحب قوَّةٍ، وموسر أي صاحب يَسَارٍ، وكذلك مُضْعِفٌ، أي ذو أضعاف من الحسنات .

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِنُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ .

ويقراً بالياء أيضاً «لِنُذِيقَهُمْ» أي لِنُذِيقَهُمْ ثواب بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ، ومعناه ظهر الجَذْبُ في البرِّ والقَحْطُ في البحرِ، أي في مُدُنِ البحرِ، أي في المدن التي على الأنهارِ، وكل ذي ماء فهو بَحْرٌ .

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾ .

معنى «أَقِمْ وجهك» أقم قصدك واجْعَلْ جِهَتَكَ اتباع الدين القَيِّمِ من قبل أن تأتي السَّاعَةُ وتقوم القيامةُ فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كَسَبَتْ فِي إيمانها خيراً .

وَمَعْنَى : ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾ .

يتفرقون فيصيرون فَرِيقاً في الجنةِ وفَرِيقاً في السَّعِيرِ .

وقوله: ﴿فَلَا تُفْسِدُهُمْ يَمْهَدُونَ﴾ .

أي لأنفسهم يوطئون .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَيْتُنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾.

أي قرأوا النبات قد اصفر وجف.

﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

ومعناه ليظلمن، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء فيهم يستبشرون بالغيث ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجف النبات.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ [كِسْفًا]: [أي] قطعاً من السحاب.

وقوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

أي فترى المطر يخرج من خلل السحاب، فأعلم عز وجل أنه يُنْشِئُ السَّحَابَ ويحيي الأرض ويرسل الرِّيحَ، وذلك كله دليل على القدرة التي يعجز عنها المخلوقون، وأنه قادر على إحياء الموتى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

المعنى أن ينزل عليهم المطر، ويقرأ أن ينزل، وَمَعْنَى مُبْلِسِينَ مُنْقَطِعِينَ انقطاع آيسين، فأما تَكْرِيرُ قوله «من قبل» ففيه وَجْهَانِ، قال قطرب إن قَبْلَ الأولى للتنزيل، وَقَبْلَ الثانيةِ لِلْمَطَرِ. وقال الأخفش وغيره من البَصْرِيِّين: تكرير قبل على جهة التوكيد، والمعنى وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمُبْلِسِينَ. والقول كما قالوا لأن تنزيل المطر بمعنى المطر، لأن المطر لا يكون إلا بِتَنْزِيلٍ كما أن الرِّيحَ لا تُعْرَفُ إلا بِمُرُورِهَا قال الشاعر^(١):

(١) هو ذو الرمة - وقد تقدم البيت حـ ٣٦٢/١.

مَشِينَ كَمَا اهْتَزَّت رِمَاحُ تَسْفُهُتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ النَّوَاسِمِ

فمعنى مَرُّ الرِّيحِ كقولك تَسْفُهُتْ أَعَالِيهَا مر الرياح النواسم .

وقوله عز وجل: ﴿فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ .

ويقرأ ﴿آثار رحمة الله﴾ ، يعني آثار المطر الذي هو رحمة من الله

﴿كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ، وإحيائها أَنْ جَعَلَهَا تُنْبِتُ فَكَذَلِكَ إِحْيَاءُ الموتي ، فقال :

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ .

ذلك إشارة إلى الله عز وجل .

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُّوْا

مُذَبِّرِينَ﴾ .

هذا مثل ضربه الله للكفار كما قال: ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَيٍّ﴾ ، فجعلهم

في تركهم العمل بما يسمعون وَوَعِيٍّ مَا يُبْصِرُونَ بمنزلة الموتي ، لأن ما بَيَّنَّ من قدرته وصنعتة التي لا يقدر على مثلها المخلوقون دليل على وحدانيته .

وقوله: ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ .

أي ما يَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، وَجَعَلَ الاسماع ههنا إسماعاً

إِذَا قِيلَ وَعُمِلَ بِمَا سُمِعَ^(١) ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ بِمَنْزِلَةِ مَا لَمْ يُسْمِعْ وَلَمْ يُبْصَر .

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ .

(١) من يسمع ولا يعمل بما سمع كأنه لم يسمع - فجمله . . . ان تسمع الا من يؤمن ، تعني لا تسمع سماعاً ذا فائدة الا لمن يؤمن .

القراءة بالجرفي «العُمِّي» والنَّصْب جائز، بهَادِ الْعُمِّي عن ضلالتهم. فالقراءة بالجرف، فأما النَّصْبُ فإن كانت فيها رواية، والا فليست القراءة بها جائزة، لأن كل ما يُقرأ به ولم يتقدم فيه رواية لقراء الأمصار المتقدمين فالقراءة به بدعة وإن جاز في العربية، والعمل في القراءة كلها على اتباع السنة.

وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

تأويله أنه خلقكم من النطف في حالِ ضَعْفٍ ثم قَوَّاهُ في حال الشبيبة ثم جَعَلَ بَعْدَ الشَّيْبَةِ ضَعْفًا وَشَيْبَةً. وروي في الحديث أن ابن عمر قال: قرأتُ على النبي ﷺ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ...﴾ قال فأقرأني من ضَعْفٍ، وقرأ عطيةُ على ابن عمر من ضَعْفٍ فأقرأه من ضَعْفٍ، وقال له: قرأتها على النبي ﷺ من ضَعْفٍ فأقرأني من ضَعْفٍ، فالذي روى عطية عن ابن عمر عن النبي ﷺ [من ضَعْفٍ] بالضم، وقد قُرِئَتْ بفتح الضاد، والاختيارُ الضم، للرواية.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

يعني يوم القيامة، والسَّاعَةُ في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة فلذلك ترك ذكرَ أَنْ يُعَرَّفَ أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ.

﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يَحْلِفُ المجرمون.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

أي ما لبثوا في قبورهم الا ساعة واحدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

أي مثل هذا الكذب كذبهم لأنهم أقسموا على غير تحقيق .
 وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي
 كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ .
 أي في علم الله المُنْبِت في اللُّوحِ المَحْفُوظِ .
 وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ .
 أي إِنَّ مَا وَعَدَكَ اللَّهُ مِنَ النُّصْرِ عَلَى عَدُوِّكَ حَقٌّ ، وإظهار دين
 الاسلام حَقٌّ .
 ﴿وَلَا يَسْتَخَفُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ .
 أي لا يستفزُّنَكَ عن دينِكَ الذين لا يوقنون ، أي هم ضَلَالٌ
 شَاكُونَ .

سُورَةُ لُقْمَانَ مكية

ما خلا ثلاث آيات منها مَدَنِيَّةٌ، قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى تمام الثلاث إِيَّاتٍ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿آلَمْ﴾: قال ابن عباس معنى «آلم» أنا الله أعلم، وقد فسرنا في سورة البقرة جميع ما قيل في «آلم» وما أشبهها.
وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

معناه هذه الآيات، تلك الآيات التي وَعِدْتُمْ بها في التَّوْرَةِ ويجوزُ أن يكون بمعنى هذه آيات الكتاب، وقد تقدم تفسير مثل هذا من سورة البقرة أيضاً.

وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

القراءة بالنصب على الحال، المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة.

(١) جرياً على عادته في كثير من السور يضع البسمة قبل عنوان السورة وقد نبهنا لهذا من قبل وآثرنا وضع البسمة قبل بداية السورة وبعد كتابة العنوان، والصواب أن يقال: الثلاث الآيات.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ويقراء: لِيُضِلَّ عن سبيل الله.

فأكثر ما جاء في التفسير أن «لهو الحديث» ههنا الغناء لأنه يلهي عن ذكر الله، وقد روي عن النبي ﷺ أنه حرم بيع المغنية. وقد قيل في تفسير هذه الآية إن لهو الحديث ههنا الشرك، فمن قرأ لِيُضِلَّ - بضم الياء - فمعناه ليضل غيره، فإذا أضلَّ غيره فقد ضلَّ هو أيضاً، ومن قرأ لِيُضِلَّ فمعناه ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يَكُنْ يَقْدِرُ أنه يَضِلَّ فسيصير أمره إلى أن يَضِلَّ.

وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾.

أي يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا، وقد جرى ذكر الآيات في قوله: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾. وقد جاء في التفسير أيضاً أن قوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يَتَّخِذُ سَبِيلَ اللَّهِ هُزُوًا.

وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الآية.

وصف الله عز وجل خلقه الذي يَعْجِزُ المَخْلُوقُونَ عن أن يأتوا بمثله، أو يَقْدِرُوا على نوعٍ منه ثم قال: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

وقوله: ﴿بغير عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، قيل في التفسير إنها بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا، أي لا ترون تلك العَمَدَ، وقيل خلقها بغير عَمَدٍ وكذلك ترونها^(١).

(١) جملة «ترونها» إما مستأنفة، أي ترونها كذلك، وإما صفة لعَمَدٍ أي بغير عَمَدٍ مَرْتَبَةٍ، ويفسر بغير عمد أصلاً، أو بعمد لا ترى.

والمعنى في التفسير يؤول إلى شيء واحد، ويكون تأويل «بغير عمد ترونها الذي فُسِّرَ بَعْمَدٍ لا ترونها. يكون معنى العمد قدرته عز وجل التي يمسك بها السماوات والأرض.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رَوَاسِيَ﴾ جِبَالٌ ثَوَابِتٌ، كما قال - عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾^(١). فمعنى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كَرَاهَةٌ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، ومعنى «تميد» تتحرك حركة شديدة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾.

معناه لأن تشكر لله، ويجوز أن تكون «أَنْ» مُفَسِّرَةٌ، فيكون المعنى أي اشْكُرْ لله تبارك وتعالى: وتأويل «أَنْ اشْكُرْ لله» قُلْنَا لَهُ: اشْكُرْ لله على ما آتاك.

وقد اختلف في التفسير في لقمان ف قيل: كان نبياً، وقيل: كان حكيماً، وقيل كان رَجُلًا صَالِحًا، وقيل: كان حبشياً غليظ المشافير مُشَقَّقَ الرَّجْلَيْنِ ولكنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْحِكْمَةَ، فليسا نشك أنه كان حكيماً لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾. وقيل كان نجاراً وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعياً.

وَرُوِيَ فِي التفسير أَنَّ إِنْسَانًا وَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرَعَى مَعِيَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: بلى، قَالَ فَمَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ وَالصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي.

وقوله: ﴿[وَإِذْ] قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

(١) سورة النبا الآية ٦ و٧.

موضع «إِذْ» نَصَبٌ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ أي ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، لأن هذه المَوْعِظَةُ حكمةٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني أن الله هُوَ المحيي المميتُ الرَّازِقُ المُنْعِمُ وحدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فإذا أَشْرَكَ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَذَلِكَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ لَأنَّهُ جَعَلَ النِّعْمَةَ لِغَيْرِ رَبِّهَا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ فِي اللُّغَةِ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْكِتَابِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

جاء في التفسير وهناً على وهنٍ، ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، أَي لَزِمَهَا لِحَمْلِهَا إِيَّاهُ أَنْ ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وموضع «أَنْ» نَصَبٌ بِوَصَّيْنَا. المعنى وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ، أَيِ وَصَّيْنَاهُ بِشُكْرِنَا وَبِشُكْرِ وَالِدَيْهِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

يُرْوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ فَحَلَفَتْ أُمُّهُ أَلَّا تَأْكُلَ طَعَامًا، وَلَا تَشْرَبَ شَرَابًا حَتَّى يَرْتَدَّ إِلَى الْكُفْرِ، فَمَكَثَتْ ثَلَاثًا لَا تَطْعَمُ وَلَا تَشْرَبُ حَتَّى شَجَرُوا فَاها - أَي فَتَحَوْهُ - بَعُودٍ. حَتَّى أَكَلَتْ وَشَرِبَتْ، وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ: لَوْ كَانَتْ لَهَا سَبْعُونَ نَفْسًا فَخَرَجَتْ لَمَا ارْتَدَدْتُ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

يقال: صَاحَبْتُهُ مُصَاحِباً وَمُصَاحَبَةً. ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

أي اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ رَجَعَ إِلَيَّ.

وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

وتقرأ مِثْقَالُ حَبَّةٍ. الآية إلى قوله ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(١) أي لطيف في استخراجها خبير بمكانها. ويقال في صخرة، أي في الصخرة التي تحت الأرض.

ويروى أن ابن لقمان سأل لقمان فقال: أَرَأَيْتَ الْحَبَّةَ تَكُونُ فِي مَقْلٍ الْبَحْرِ^(٢)، أي في مغاص البحر أَيْعَلَّمُهَا اللَّهُ. يقال مَقْلٌ يَمْقُلُ إِذَا غَاصَ، فَأَعَلَّمَهُ أَنَّ اللَّهَ - عز وجل - يعلم الحَبَّةَ حيث كانت، وفي أخفى المواضع، لأن الحَبَّةَ في الصخرة أخفى من الماء، ثم أعلمه أَنَّهَا حيث كانت يَعَلَّمُهَا بِلُطْفِهِ - عز وجل - وَخَبَرْتَهُ.

وهذا مثل لأعمال الْعِبَادِ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

فأما رفع «مِثْقَالٍ» مع تأنيث «تَكْ» فلأن مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خردل راجع إلى معنى خَرْدَلَةٍ، فهو بمنزلة إن تَكْ حَبَّةٌ من خردل. ومن قرأ: إنها إن تَكْ مِثْقَالُ حَبَّةٍ - بالنصب - فعلى معنى أَنَّ الَّتِي سَأَلْتَنِي عَنْهَا إِنَّ تَكْ

(١) تمام الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّكَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(٢) في غوصه وأعماقه

مَثْقَالِ حَبَّةٍ، وَعَلَى مَعْنَى أَنَّ فَعْلَةَ الْإِنْسَانِ وَإِنْ صَغُرَتْ يَأْتِ اللَّهُ بِهَا، وَيَجُوزُ أَنَّهَا إِنْ تَكَ بِالتَّاءِ مَثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْقِصَّةَ كَمَا تَقُولُ^(١): أَنَّهَا هِنْدٌ قَائِمَةٌ، وَلَوْ قُلْتَ أَنَّهَا زَيْدٌ قَائِمٌ لَجَازَ، إِلَّا أَنَّ النُّحَوِيِّينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ مَعَ الْمَذْكُورِ، وَيَجِيزُونَ مَعَ الْمُؤَنَّثِ التَّائِيثَ وَالتَّذْكِيرَ، يَقُولُونَ: أَنَّهُ هِنْدٌ قَائِمَةٌ، وَأَنَّهَا أُمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ. فَيَجِيزُونَ الْوَجْهَيْنِ. فَأَمَّا أَنَّهَا إِنْ تَكَ مَثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ عِنْدَ مَنْ لَا يَجِيزُ «إِنَّهَا زَيْدٌ قَائِمٌ»، فَيَجُوزُ عِنْدَهُ هَذَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ التَّائِيثَ بِرَدِّ «مَا» إِلَى الْحَبَّةِ مِنَ الْخَرْدَلِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

وَيَقْرَأُ تُصَاعِرٌ، وَيَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: وَلَا تُصَغِّرْ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا، فَإِذَا لَمْ تَرَوْا فَلَا تَقْرَأُ بِهَا، وَمَعْنَاهُ لَا تُعْرِضْ عَنِ النَّاسِ تَكْبُرًا، يُقَالُ أَصَابَ الْبَعِيرَ صَعْرٌ وَصَيْدٌ إِذَا أَصَابَهُ دَاءٌ فَلَوَى مِنْهُ عُنْقُهُ، فَيُقَالُ لِلْمَتَكْبِرِ فِيهِ صَعْرٌ، وَفِيهِ صَيْدٌ، فَأَمَّا تُصَغِّرْ فَعَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَيَصَاعِرُ جَاءَ عَلَى مَعْنَى يُفَاعِلُ، كَأَنَّكَ تُعَارِضُهُمْ بِوَجْهِكَ. وَمَعْنَى تُصَغِّرْ تُلْزِمُ خَدَّكَ الصَّغَرَ، لِأَنَّهُ لَا دَاءَ بِالْإِنْسَانِ أَذْوَأَ مِنَ الْكِبَرِ.

وَالْمَعْنَى فِي الثَّلَاثَةِ هَذَا: الْمَعْنَى، إِلَّا أَنَّ تُصَغِّرْ وَتُصَاعِرُ أُبْلَغَ [مِنْ تُصَغِّرُ].

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

أَي لَا تَمْشِ^(٢) مُتَبَخِّثِرًا مُخْتَالًا.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

(١) أَي إِنْ الضَّمِيرُ فِي إِنَّهَا إِنْ تَكَ - ضَمِيرُ الشَّانِ وَالْحَالَةِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: لَا تَمْشِي.

معنى اغْضُضْ انقص، ومن ذلك غَضِضْتُ بَصْرِي، وَفُلَانٌ يَغْضُضُ بَصْرَهُ مِنْ فُلَانٍ أَيِ يَنْتَقِصُهُ.

ومعنى: ﴿أَنْكَرُ الْأَصْوَاتِ﴾، أَقْبَحُ الْأَصْوَاتِ، يقال: أَتَانَا فُلَانٌ بِوَجْهِ مُنْكَرِ الْخِلْقَةِ، أَيِ قَبِيحٍ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

تسخير ما في السموات الشمس والقمر والنجوم، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ مَنَابِتِهِمْ^(١)، والاهتداء بالنجوم فِي مَسَالِكِهِمْ، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

ويقرأ ﴿نِعْمَةً﴾ على الجمع. فمن قرأ نعمةً فعلى معنى ما أعطاهم من توحيده عز وجل، ومن قرأ نِعْمَةً فعلى جميع مَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

قوله عز وجل: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

أي من أسلم فقد استمسك بقول: لا إله إلا الله، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ويقرأ «والبحر» بالرفع.

(١) ما يستنبطونه ويثمرونه من النبات.

فأما النصبُ فعطفٌ على «ما» والمعنى ولو أن ما في الأرض ولو
أن البحرَ، والرفع حسن على وجهين على معنى . والبحرُ هَذِهِ حَالُهُ^(١)،
ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع إن مع ما بعدها لأن معنى لو أن ما
في الأرض لو وقع ما في الأرض، لأن «لو» تطلب الأفعال فإذا جاءت
معهما إن لم تذكر معها الأفعال، لأنه تذكر معها الأسماء والأفعال^(٢).

وقوله عز وجل: ﴿مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

معناه ما انقطعت، ويروى أن المشركين قالوا في القرآن: إن
هَذَا كَلَامٌ سَيَنْفَدُ، وسيقطع، فأعلم الله عز وجل أن كَلِمَاتِهِ وحكمتَهُ لا
تَنفَدُ.

وقوله: ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

تأويله لا كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة، أي قُدْرَةُ
اللَّهِ عَلَى بَعثِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وعلى خلق الخلق أَجْمَعِينَ كَقُدْرَتِهِ عَلَى
خلق نفسٍ واحدةٍ وبعث نفسٍ واحدةٍ.

وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار، لَيْلَ الصَّيْفِ فِي نَهَارِهِ.

﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

يدخل نهار الشتاء في ليله.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾.

ويقرأ بِنِعَمَاتِ اللَّهِ، ويجوز بِنِعَمَاتِ اللَّهِ، ويجوز بِنِعَمَاتِ اللَّهِ.

(١) أي هي جملة مستأنفة.

(٢) لا تذكر الأفعال بعد «لو» إذا كان في حيزها «أن» - وبغير أن تذكر الأفعال والأسماء.

بفتح العين ففيها ثلاثة أوجه إذا جُمِعَتْ، وأكثر القراءة بنعمة الله على الواحدة، وأما الكسر فعلى [مذهب] من جَمَعَ كِسْرَةً على كِسْرَاتٍ، وَمَنْ أَسْكَنَ وهو أجود أَوْجُهُهُ^(١) فعلى من جمع كِسْرَاتٍ، لأن كِسْرَاتٍ بقل مثله في كلام العرب، إنما جاء في أصول الأبنية ما توالى فيه كسرتان نحو إبل وإطل فقط، ومن قرأ بِنِعَمَاتِ الله فلأن الفتح أخف الحركات، قال الشاعر: ^(٢)

ولما رأونا بادياً رُكِبَاتُنَا على مَوْطِنٍ لا نَخْلُطُ الجِدَّ بالهَزَلِ
والأكثر رُكِبَاتٍ، وَرُكِبَاتٍ أَجْوَدُ لِثَقَلِ الضَّمَّةِ، ولكنه أكثر من الكلام من نِعَمَاتٍ، وكِسْرَاتٍ.

وقوله عز وجل: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

روى قتادة أن أحبَّ العبادِ إلى الله مَنْ إذا أُعْطِيَ شَكَرَ وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ. فأعلم الله - عز وجل - أَنَّ الْمُعْتَبِرَ الْمُتَفَكِّرَ في خلق السموات والأرض هو الصبار الشكور.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ﴾.

قال في الموج: «كَالظُّلُلِ» لأن موج البحر يعظم حتى يصير كأنه ظُلُلٌ.

وقوله: ﴿خَتَارٌ كُفُورٌ﴾.

الْخَتَرُ أَقْبَحُ الْغَدْرِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْإِذَةِ شَيْئاً﴾.

(٢) تقدم ج ٢٤١/١.

(١) ليس إسكان العين وجهها جيداً.

«جَازٍ» في المصحف بغير ياء، والأصلُ جَازِيٌّ. وَذَكَرَ سيبويه والخليل أن الاختيار في الوقف هُوَ جَازٌ، بغير ياء والأصل جَازِيٌّ بضمة وتنوين، فَثَقُلَتِ الضُّمَّةُ في الياء، فحذفت وسكنت الياء والتنوين فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكان ينبغي أن يكونَ في الوقف بياء لأن التنوين قد سقط ولكن الفُصَحَاءُ مِنَ الْعَرَبِ وقفوا بغير ياء لِيُعْلَمُوا أن هذه الياء تَسْقُطُ في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار اتباع المصحف والوقف بغير ياء

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

﴿الغُرُورُ﴾ الشيطان.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

جاء في التفسير أن هذه الخمس مفاتيح الغيب التي قال الله عز وجل [فيها]: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١) فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن، لأنه قد خالفه.

(١) سورة الانعام الآية ٥٩.

سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ

إلا ثلاث آيات منها مدنية، ﴿[أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى تمام الثلاث آيات (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿الم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

روى أحمد بن حنبل بإسناد له أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة سورة السَّجْدَةِ «الم تنزيل»، وسورة «تبارك الملك»، وروى كَعْبُ الْأَحْبَارِ أنه قال: من قرأ سورة السجدة كتبت له سَبْعُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ سَبْعُونَ سَيِّئَةً وَرَفَعَتْ لَهُ سَبْعُونَ دَرَجَةً.

وقوله: ﴿الم. تنزيل الكتاب﴾ قد شرحنا ما قيل في «الم»، ورفع «تنزيل» على خبر الابتداء على إضمار الذي نتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن «الم»، أي «الم» من تنزيل [الكتاب] ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء لَا رَيْبَ فِيهِ.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

(١) الصحيح أن يقال الثلاث الآيات.

وقوله: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، ومثله ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾^(١)، و«ما» في جميع الموضعين نفْي، أي لم يشاهدوا هم ولا آباؤهم نبياً. فأما الانذار بما تقدم من رسل الله صلى الله عليه وسلم فعلى آبائهم به الحجة، لأن الله عز وجل لا يُعَذِّبُ إلا من كفر بالرُّسل، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أعلم الله عز وجل أنه يُدَبِّرُ الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج الأمر إليه في يوم، وذلك اليوم مقداره ألف سنة مما تعدون. ومعنى يَعْرُجُ ينزل وَيُصْعَدُ يقال عَرَجْتُ فِي السِّلْمِ أَعْرُجُ، وَيُقَالُ عَرَجَ يَعْرُجُ إِذَا صَارَ أَعْرَجَ.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

وقد قرئ ﴿خَلَقَهُ﴾ - بتحريك اللام وتسكينها جميعاً - ويجوز خَلَقَهُ بالرفع ولا أعلم أحداً قرأ بها. فأما «خَلَقَهُ» فعلى الفعلِ الْمَاضِي. وتأويل الإحسان في هذا أنه خَلَقَهُ على إِرَادَتِهِ فخلق الإنسان في أحسن تَقْوِيمٍ، وخلق القِرْدَ على ما أحب - عز وجل - وخَلَقَهُ إِيَّاهُ على ذلك مِنْ أَبْلَغِ الْحِكْمَةِ. ومن قرأ خَلَقَهُ بتسكين اللام فعلى وَجْهَيْنِ أحدهما الْمَصْدَرُ الذي دل عليه أَحْسَنَ، والمعنى الذي خلق كل شيء خلقه، ويجوز أن يكون على الْبَدَلِ فيكون المعنى الذي أَحْسَنَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، والرفع على اضممار: «ذَلِكَ خَلَقَهُ».

وقوله عز وجل: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.

(٢) سورة الاسراء ١٥.

(١) سورة يس الآية ٦.

يعني آدم وذُرِّيَّتُهُ، فأدم خلق من طين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾.

ومعنى مَهِينٌ ضَعِيفٌ، ومعنى السُّلَالَةُ في اللغة ما ينسَلُ من الشيء القليل، وكذلك الفعالة نحو الفضالة والنخامة والقوارة^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

ويقراً إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ^(٢)، وموضع «إِذَا» نصبٌ، فمن قرأ «أِنَّا» فعلى معنى أَتُبْعَثُ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ، وَيَكُونُ يَذُلُّ عَلَيْهِ «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ»، ومن قرأ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ فإذا منصوبة بضللنا، ويكون بمعنى الشرط والجزاء، ولا يضر ألا يذكر الفاء، لأن «إِذَا» قد وليها الفعل الماضي، ولا يجوز أن ينتصب «إِذَا» بما بعد «أَنْ»، لا خلاف بين النحويين في ذلك، ومعنى «إِذَا ضَلَلْنَا» إِذَا مُتْنَا فَصِرْنَا تُرَاباً وَعِظَاماً فَضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ فلم يتبين شيء من خَلَقْنَا، ويقراً صَلَلْنَا بِالصَّادِ، ومعناه على ضربين أحدهما أَتُنَّا وَتَغَيَّرْنَا، وَتَغَيَّرَتْ صُورُنَا، يقال صَلَّ اللحم وَأَصَلَ إِذَا أَتَنَ وَتَغَيَّرَ، والضرب الثاني صَلَلْنَا صرنا من جنس الصَّلَّةِ، وهي الأرض اليابسة.

وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾.

من تَوَفِيَةِ الْعَدَدِ، تأويله أنه يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ أَجْمَعِينَ فلا ينقص واحدٌ منكم، كما تقول: قد اسْتَوْفَيْتُ مِنْ فُلَانٍ وَتَوَفَّيْتُ مِنْ فُلَانٍ مَالِي عنده، فتأويله أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي عَلَيْهِ شَيْءٌ.

(١) القوارة ما قور من الثوب وغيره مثل قوارة الجيب والبطيخ.

(٢) أي بالاثبات بدون استفهام وإنا مفتوحة الهمزة ومكسورتها.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُرُءُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا متروك الجواب، وخطابُ النبي ﷺ خطابُ الخلق. الدليل عليه ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ فهو بمنزلة وَلَوْ تَرَوْنَ فالجواب لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار.

وقوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

فيه إضمار «يَقُولُونَ» رَبَّنَا أَبْصَرْنَا.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

تأويله مثل قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾^(١)، ومثله ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال قتادة بذنوبهم، وهذا حسن، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾.

تأويل النسيان ههنا التَّركُ، المعنى فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة. هـ

وقوله عزل وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

(١) سورة الأنعام الآية ٣٥ أي لو شاء جمعهم لجمعهم.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٣. ﴿إِنْ شَاءَ نُنْزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ...﴾.

(٣) سورة الطور الآية ١٦.

معنى «تتجافى» ترتفع وتُفَارِقُ المضاجعَ، ومعنى «خوفاً وطمَعاً» خوفاً من عذاب الله وطمعاً في رحمة الله. وانتصاب «خوفاً» و«طمعاً» لأنه مفعول له، كما تقول: فَعَلْتُ ذَلِكَ حِذَارَ الشَّرِّ أَيْ لِحِذَارِ الشَّرِّ وحقيقته أنه في موضع المصدَر، لأن «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» في هذا الموضع يدل على أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَذَابَهُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، فهو في تأويل يَخَافُونَ خوفاً ويطمعون طمعاً.

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

أي ينفقون في طاعة الله، وقد اختلف في تفسيرها، وأكثر ما جاء في التفسير أنهم كانوا يصلون في الليل وقت صلاة العتمة المكتوبة لا ينامون عنها، وقيل التطوع بين الصلاتين، صلاة المغرب والعشاء الآخرة.

وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

دليل على أنها الصلاة في جَوْفِ اللَّيْلِ، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به فجعل لفظ ما يجازى به «أُخْفِيَ». ويقرأ بإسكان الياء^(١)، ويكون المعنى ما أخفي أنا لهم. اخبار عن الله. وإذا قرئت: أُخْفِيَ لهم من قرة أعين - بفتح الياء - فعلى تأويل الفعل الماضي، ويكون اسم ما لم يسم فاعله ما في أُخْفِيَ من ذكر «ما»^(٢) وقرأ الناس كلهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ إِلَّا أَبَا هُرَيْرَةَ فإنه قرأ من قُرَاتٍ أَعْيُنٍ. ورواه عن النبي ﷺ.

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(١) في أُخْفِيَ. أي عبر عن مجازاته بكلمة: أُخْفِيَ لإخفائه صلاته.

(٢) نائب الفاعل هو الضمير المستتر العائد على «ما».

«جزاء» أيضاً منصوب مفعول له . وقرئت : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ، أي ما أخفى الله لهم .

وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ .

جاء في التفسير أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعُقْبَةُ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ . فالمؤمن علي رضي الله عنه ، والفاسق عقبة ابن أبي معيط ، فشهد الله لعلي بالإيمان وأنه في الجنة بقوله :

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى .

وقال : ﴿لا يستوون﴾ ، ولو كان قال : لا يتسويان لكان جائزاً . ولكن «مَنْ» لفظها لفظ الواحد ، وهي تدل على الواحد وعلى الجماعة فجاء «لا يَسْتَوُونَ» . على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون ، ويجوز أن يكون «لا يَسْتَوُونَ» للاثنيين ، لأن معنى الاثنين جماعة .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ .

الأدنى ما يصيبهم في الدنيا ، وقد اختلف في تفسيرها ، ف قيل : ﴿ما يصيبهم من الجذب والخوف ، ويكون دليل هذا القول قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾^(١) ، وقيل «العذاب الأدنى» ههنا السبأ والقتل ، وجملته أن كل ما يعذب به في الدنيا فهو العذاب الأدنى ، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ .

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥ .

جاء في التفسير لا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام،
 ودليل هذا القول في التفسير قوله: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(١)، فالمعنى لا تكن يا محمد في مِرْيَةٍ من لقائه، والخطابُ
 لـ بني عليه السلام بمنزلة الخطاب له ولِأُمَّتِهِ في هذا الموضع، أي فلا
 تكونوا في شك من لقاء النبي عليه السلام بموسى، وَقِيلَ «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ» أي من لقاء موسى الكتاب^(٢)، وتكون الهاء للكتاب،
 ويكون في لقائه ذكرُ موسى، ويجوز أن يكون الهاء لموسى، والكتاب
 حذوف، لأن ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى.

وهذا والله أعلم أشبه بالتفسير

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

أكثر البصريين لا يجيزون «أُمَّةً» بهمزتين، وابن أبي إسحاق وحدهُ
 يجيز اجتماعَ هَمْزَتَيْنِ، وسيبويه والخليل وجميع البصريين - إلا ابن
 إسحاق - يقولون أُمَّة - بهمزة وياء - وإذا كَانَ الهمزتان في كلمة وَاحِدَةٍ
 لم يجيزوا إلا ابدال الثانية في نحو أُمَّة وآدم، ومن قرأ أُمَّة لَزِمَهُ أَنْ
 يَقُولَ فِي «آدَمَ» «أَادَمَ» لأنه أَفْعَلَ مِنَ الْأَدَمَةِ، وأئمة أَفْعَلَةٌ، ولا ينبغي أن
 تقرأ إِلَّا أُمَّةً، لأن من حَقَّقَ الهمزة فيما يجوز فيه تخفيفُ الهمز أجاز
 التخفيف فكذلك هو يجيز التخفيف في أئمة، فتصير قراءة أئمة
 إجماعاً.

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾.

وَلَمَّا صَبَرُوا، والقراءة بالتشديد والتخفيف في «لَمَّا»، فالتخفيف
 معناه جعلناهم أئمة لِصَبْرِهِمْ، ومن قرأ «لَمَّا» صَبَرُوا فالمعنى مَعْنَى

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥. (٢) لقائه بمعنى تلقيه.

حكاية المجازاة. لَمَّا صَبَرُوا جعلناهم أئمة، وأصل الجزاء في هذا كَأَنَّهُ قِيلَ إِنْ صَبَرْتُمْ جعلناكم أئمةً، فلما صبروا جُعِلُوا أئمةً.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

وقرئت بالنون «أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ». وزعم بعض النحويين أن «كم» في موضع رفع بـ «يَهْدِ» والمعنى عنده أو لم تُبَيِّنْ لَهُم القرون التي أهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ. وهذا عندنا - أعني عند البصريين - لا يجوز، لأنه لا يعمل ما قبل «كم» في «كم»، لا يجوز في قولك كم رَجُلٍ جاءني، وأنت مخبر أن تقول جاءني كم رجل، لأن كم لا تُزَالُ عن الابتداء^(١)، ولذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذا نصبت بما في الخبر والاستفهام تقول في الخبر:

كَمْ بِجُودٍ مُقْرِفًا نَالَ الْغِنَى^(٢)

(١) لا تحول عنه.

(٢) هو شطر من أبيات أنس بن زعيم الصحابي الجليل، وقد وجه بهذه الأبيات إلى عبيد الله بن زياد، وكان وعده بشيء ثم أبطأ فبعث إليه يستعطفه منها:

سل أميري ما الذي غيره	عن وصالي اليوم حتى ودَّعه
لا تهني بعد إكرامك لي	فشديد عادة منتزعة
لا يكن وعدك برقاً خلباً	إن خير البرق ما الغيث معه
كم بجود مقرفاً نال العلا	وكريم بخله قد وضعه

والمقرف المهجن أو الوضيع الأصل - ويونس يرى جواز الفصل بين كم الخبرية وتمييزها المضاف إليه بالظرف - وهو هنا منصوب - والتقدير كم مقرفاً. وفي الأبيات شاهد آخر على استعمال ماضٍ لدفع - في البيت الأول، ويروى أيضاً:

ليت شعري عن خليلي ما الذي	غاله في الود حتى ودَّعه
---------------------------	-------------------------

ومثل هذا بيت أبي سويد في عينيته:

فسمعى مسعاته في قومه ثم لم بدرك ولا عجباً ودع

انظر الخزانة ج ٣/ ١٢١، ١٢٢، وشرح شواهد الشافية ص ٥٢.

ففصلت بين «كم» وبين قولك مقرفاً بِقَوْلِكَ «بجود»، فيكون الفصلُ فيها بين كم وما عملت فيه عَوْضاً من تصرفها، الا ترى أنه لا يجوز عشرون عندي درهماً، ويجوز في الخبر كم عندي درهماً جيّداً.

وحقيقة هذا أن «كم» في موضع نصبٍ بأهلكنا، وفاعل «يَهْدِ» ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام، ويكون «كم» أيضاً دليلاً على الفاعل في يهدي، ويدل على هذا قراءة من قرأ أو لم يَهْدِ - بالنون - أي ألم نبين لهم. ويجوز أيضاً على «يهد» بالياء - أن يكون الفعل لله - عز وجل - يدل عليه قراءة من قرأ «أَوَلَمْ يَهْدِ».

وقوله - عز وجل - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾.

يُقرأ الجُرُزُ، ويجوز، الْجَرَزُ والجُرُز والجُرُز. كل ذلك قد حكي في الجزر.

جاء في التفسير أنها أرض اليمَن، والجزر عند أهل اللُّغَةِ الأرض التي لا تُنْبِتُ. وكان أصلها أنها تأكل نباتها، يقال امرأة جَزُورٌ إذا كانت أكلوا، ويقال: سيف جرازٌ ذا كان مستأصلاً. فمن قال جُرُزٌ فهو تخفيف جُرُز، ومن قال: جَرَزٌ وَجَزُرٌ فهما لغتان. ويجوز أن يكون جَرَزٌ مَصْدَرًا وَصِفَ به كأنه أرض ذات جَرَزٍ - أعني بإسكان الراء، أي ذات أكل للنبات.

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾.

ويجوز في «يَمْشُونَ» في مساكنهم: تَمْشُونَ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

جاء في التفسير أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يُوشِكُ أن يكون لنا يومٌ نستريح فيه، فقال المشركون: مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فأعلم الله عَزَّ وَجَلَّ أن الراحة في الجنة في الآخرة. وجاء أيضاً في الفتح مَتَى هَذَا الْحَكْمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، ومتى هذا الفصل. فأعلم الله - عز وجل - أن يَوْمَ الْفَتْحِ لا ينفع الذين كفروا إيمانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ.

أَيَّ أَنَّهُمْ مَا دَامُوا فِي الدُّنْيَا فَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ لَهُمْ وَلَا تَوْبَةَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾.

وقرئت: فانتظر انهم منتظرون، ومُنْتَظَرُونَ.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

معناه اثبت على تقوى الله ودم عليها^(١).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أي كان عليمًا بما يكون قبل كونه، حكيماً فيما يخلقه قبل خلقه إياه.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: يعني به القرآن.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

معناه وكفى الله وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظه لفظ الخبر. المعنى اكتف بال الله وكيلاً.

وقوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾.

قال ابن عباس: إن النبي ﷺ صَلَّى فسها كما يسهو الرجال في صلاته وخطرت على باله كلمة فقال المنافقون إن له قلبين، قلباً معكم وقلباً مع أصحابه. وأكثر ما جاء في التفسير أن عبد الله بن خَطْلٍ

(١) في الأصل: ودم عليه.

كانت قُرَيْشٌ تسميه ذا القلبين ، وروي أنه قال : إِنَّ لِي قَلْبَيْنِ أَفْهَمُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَكْثَرَ مِمَّا يَفْهَمُ مُحَمَّدٌ ، فأكذبه الله - عز وجل - فقال : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ . ثم قرأ بهذا الكلام ما يقوله المشركون غيرهم مما لا حقيقة له فقال عز وجل :

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ .

وَتَقْرَأُ تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ ، فمن قرأ تَظَاهِرُونَ بالتخفيف فعلى قولك : ظاهر الرجل من امرأته ، ومن قرأ تَظَاهِرُونَ - بالتشديد - فعلى تظاهر الرجل من امرأته ، ومعناه أنه قال لها : أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي ، فأعلم الله - عز وجل - أن الزوجة لا تَكُونُ أُمًّا ، وكانت الجاهلية تُطَلِّقُ بهذا الكلام ، فأنزل الله كفارة الظهار في سور المجادلة .

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ .

أي ما جعل من تدعونه ابناً وليس بِوَلَدٍ في الحقيقة - ابناً^(١) . وكانوا يتوارثون على الهجرة ولا يرث الاعرابي من المهاجر ، وإن كان النسب يوجب له الإرث . فأعلم الله أَنَّ أُولِي الأرحام بعضهم أولى ببعض ، وأبطل الإرث بالهجرة .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ ﴾ .

أي ادعأؤكم نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة معنًى تَحْتَهُ .

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

أي الله لا يجعل الابن غير الابن ، وهو يَهْدِي السَّبِيلَ ، أي يَهْدِي

(١) من تدعونه تدعونه ابناً هو في الواقع ليس بابن - ولم يجعله الله ابناً .

السبيل المستقيمة مثل قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

وقوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لَا بَأْسَ بِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ : أي هو أعدل.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾.

أي فإن لم تعلموا أن المدعو ابن فلان فهو أخوك في الدين إذا كان مؤمناً، أي فقل يا أخي .

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ : أي بنو عمكم ، ويجوز أن يكون : وَمَوَالِيكُمْ - [أي] أولياؤكم في الدين .

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

في هذا وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به مما قد فعلتموه قَبْلَ أَنْ تُنْهَوْا عن هذا، ولكن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، أي ولكن الائم فيما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ، و«ما» في موضع جرٍّ عطف على «مَا» الأولى^(٢) المعنى . وليس عليكم جناح في الذي أخطأتم به، ولكن في الذي تعمدت قلوبكم . ويجوز أن يكون : ولا جناح عليكم في أن تقولوا^(٣) له يا بُنَيَّ على غير أن تَتَعَمَّدَ أن تجريه مجرى الولد في الإِرْثِ .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

وفي بعض القراءة: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب

(١) سورة البقرة الآية ١٠٨ .

(٢) التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

(٣) في الاصل أن تقول له .

لَهُمْ، ولا يجوز أن تقرأ بها لأنها لَيْسَتْ في المصحف المجمع عليه. والنبى عليه السلام أبو الأمة في الحقيقة، ومعنى وأزواجه أمهاتهم، أي لا تحل زوجة النبى ﷺ لأحد بعده إذ هي بمنزلة الأم.

وقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾.

أي ذو الرّحم يذى رّحمه أولى من المهاجر إذا لم يكن من ذوى رّحمه.

وقوله عز وجل ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾.

«إِلَّا أَنْ» استثناء ليست من الأول المعنى لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز، وهو أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه، إذا لم يكن وارثاً، لأنه لا وصية لوارث.

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

أي كان ذلك في الكتاب الذي فرض فيه الفرض مسطوراً أي مكتوباً.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ﴾.

موضع «إِذْ» نصب المعنى اذكر إذ أخذنا، فذكره الله ﷻ في أخذ الميثاق قبل نوح. وجاء في التفسير: إِنِّي خُلِقْتُ قَبْلَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبُعِثْتُ بَعْدَهُمْ. فعلى هذا القول لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير. هو على نسقه، وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم - صلى الله عليه - كالذرّ، ومذهب أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل

أن المذكور أولاً لا يستقيم أن يكون معناه التأخير. فالمعنى على مذهب أهل اللغة، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومنك. ومثله قوله: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١).

وقوله: ﴿لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾.

معناه ليسال المبلغين من الرُّسل عن صِدْقِهِمْ في تبليغهم، وتأويل مسألة الرُّسل - والله يعلم أنهم صادقون - التَّبَكُّيتُ للذين كفروا بِهِمْ، كما قال الله - عز وجل - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فأجاب فقال: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، ثم قال ﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾^(٢)، فتأويله التَّبَكُّيتُ للمُكْذِبِينَ، فعلى هذا ﴿لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾، أي للكافرين بالرُّسل.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً، وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾.

هؤلاء الجنود هم الأحزاب، والجنود الذين كانوا: [هم] قُرَيْشٌ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ وَغَطَفَانُ وَبَنُو قُرَيْظَةَ، تحزبوا وتظاهروا على حرب رسول الله ﷺ فأرسل الله عليهم ريحاً كفأت قُدُورَهُمْ، أي قَلَبَتْهَا، وَقَلَعَتْ فسايططهم^(٣) وأظعنَتْهُمْ من مكانهم، والجنود التي لم يروها المَلَائِكَةُ.

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦، ١١٧.

(٣) جمع فسطاط وهو الخيمة من الشعر، والأظعنة الهودج جمع ظعينة، ويطلق على المرأة في الهودج.

وقوله ﴿إِذْ جَاءُودُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

جاءت قريظة من فوقهم، وجاءت قريش وغطفان من ناحية مكة،
مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ.

وقوله ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾.

اختلف القراء فيها. فقرأ بعضهم بِإِثْبَاتِ الألفِ في الوقفِ
والوَصْلِ وقرأ بعضهم «الظُّنُون» بغير أَلِفٍ في الوصل، وبألف في
الوقف. وقرأ أبو عَمْرٍ، «الظنون» بغير أَلِفٍ، في الوصل والوقف،
والذي عليه حُذَاق النحويين والمُتَّبِعُونَ السُّنَّةَ من حُذَاقِهِمْ أَنْ يقرأوا
«الظُّنُونَا». ويقفون على الألف ولا يَصِلُونَ^(١)، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَن
أواخر الآيات عِنْدَهُمْ فَوَاصِلٌ، وَيَثْبُتُونَ فِي آخِرِهَا فِي الوقفِ ما قد
يحذف مثله في الوَصْلِ. وَهَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ الْمُضَحِّفَ ويكرهون أَنْ يَصِلُوا
ويثبتوا الألفَ، لِأَن الْآخِرَ لَمْ يَقِفُوا عَلَيْهِ فَيَجْرُوهُ مجرى الفَوَاصِلِ.
ومثل هذا من كلام العربِ في القَوَافِي:

أَقْلِي اللوم عَاذِلَ والعِتَابَا^(٢).

فاتيت الألف لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ فَاصِلَةٍ وَهِيَ الْقَافِيَةُ.

وقوله عز وجل ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

ويجوز زَلْزَالًا. بفتح الزاي، والمصدر من المَضَاعِفِ يجيء على
ضربين فَعْلَالٌ وَفَعْلَالٌ نحو قَلَقَلَهُ قَلَقَالًا وَقَلَقَالًا وَزَلْزَلَتْهُ زَلْزَالًا
وَزِلْزَالًا، والكسر أكثر وَأَجُودٌ لِأَنَّ غَيْرَ المَضَاعِفِ من هذا الباب مكسورٌ

(١) كلام مستأنف أي هم يقفون ولا يصلون.

(٢) الشطر الثاني: وقولي - إن أصبت - لقد أصابا. من قصيدة لجرير مشهورة.

الأول، نحو دَخَرَجْتُهُ دَخْرَجاً لا يجوز فيه غير الكسر، ومعنى ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي في تلك الحال اختَبِرَ الْمُؤْمِنُونَ، ومعنى ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، أَرْعَجُوا إِزْعَاجاً شَدِيداً وَحُرِّكُوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. [مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]﴾.

موضع «إِذْ» نَصَبُ المعنى اذكر إِذ يَقُولُ المنافقون، ومعنى الآية أن المنافقين قالوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ فَارَسَ الرُّومَ تَفْتَحَانِ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ بِمَكَانِنَا هَذَا مَا يَقْدِرُ أَحَدُنَا أَنْ يَبْرَزَ لِحَاجَتِهِ، فهذا وعد غرور.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾.

ويقرأ «لَا مُقَامَ لَكُمْ» بفتح الميم، فمن ضمَّ الميم فالمعنى لا إقامة لكم^(١)، تقول: أقمت في البلد إقامةً ومُقَاماً، ومن قرأ «لَا مُقَامَ لَكُمْ» - بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يُشَيِّطُونَ المؤمنين عن النبي ﷺ.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

أي مُعَوَّرَةٌ وذلك أنهم قالوا إن بُيُوتَنَا مِمَّا يَلِي الْعَدُوَّ، وَنَحْنُ نُسْرِقُ مِنْهَا، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَمَ أَنْ قَصْدَهُمُ الْهَرَبُ وَالْفِرَارُ، فقال:

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾.

ويقرأ: وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، يُقَالُ عَوَرَ الْمَكَانُ يَعْوَرُ عَوْرًا، وهو عَوِرٌ

(١) مصدر ميمي من أقام.

وبيوت عَوْرَة، وبيوت عَوْرَة على ضَرْبَيْن، على تَسْكِين عَوْرَة، وعلى مَعْنَى ذات عَوْرَة.

﴿إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

أي ما يريدون تَحَرُّزًا مِنْ سَرَقٍ، ولكن المنافقين يريدون الفرار عن نُصْرَةِ النبي عليه السلام.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾.

أي ولو دُخِلَتْ البيوتُ من نواحيها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾، ويقرأ بالقصر ﴿لَأَتَوْهَا﴾، فمن قرأ لَأَتَوْهَا بِالْمَدِّ فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهُمْ كُونُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مُظْهِرِينَ الْفِتْنَةَ لَفَعَلُوا ذَلِكَ، ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾، ومن قرأ ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بالقصر، فالمعنى لَقَصَدُوهَا.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾. [إِلَيْنَا].

أي الذين يُعَوِّقُونَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نُصَارَهُ، وذلك أنهم قالوا لِنُصَّارِ النَّبِيِّ ﷺ: ما محمد وأصحابه إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ^(١). ولو كانوا لحمًا لَأَلْتَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ فَخَلَوْهُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيْنَا.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

أي لا يَأْتُونَ الْحَرْبَ مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا تَعْذِيرًا^(٢) يُوْهِمُونَهُمْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ ﴿أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَشِحَّةٌ﴾ منصوبٌ عَلَى الْحَالِ، المعنى يَأْتُونَ الْحَرْبَ بُخْلَاءَ عَلَيْكُمْ

(١) شيء هين كِراس الذبيحة لا يشبع آكلًا.

(٢) أي ليكون لهم عذر في أنهم لم يتخلفوا.

بالظفر والغنيمة فإذا جاء الخوف فهم أجبن قوم ، فإذا جاءت الغنيمة فاشح قوم وأخصمهم .

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ .

لأنهم يحضرون على غير نية خيرٍ ، إلا نية شرٍ .

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ .

معنى «سَلَقُوكُمْ» خاطبوكم أشدَّ مخاطبةٍ وأبلغَهَا في الغنيمة ، يقال : خَطِيبٌ مِسْلَاقٌ وَسَلَاقٌ إِذَا كَانَ بَلِيغًا فِي خُطْبَتِهِ .

﴿أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ .

أي خاطبوكم وهم أشحَّة على المال والغنيمة .

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا فَاغْبِطُوا فَاغْبِطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ .

أي هم وإن أظهروا الإيمان وناقفوا فليسوا بمؤمنين .

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ .

أي يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا لجبنهم وخوفهم منهم .

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَغْرَابِ﴾ .

أي إذا جاءت الجنود والأحزاب ودوا أنهم في البادية .

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

فوصف الله حال المنافقين في حرب الكافرين وحال المؤمنين في حرب الكافرين. فوصف المنافقين بالفشل والجبن والروغان والمسارة إلى الفتنة والزيادة في الكفر، ووصف المؤمنين بالثبوت عند الخوف في الايمان^(١)، فقال، ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ الآية.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

والوعد أن الله قال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

فكذلك لما ابتلي أصحاب النبي ﷺ وزُلْزِلُوا زلزالاً شديداً عَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّصْرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

المعنى أَنَّهُمْ عَاهَدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَأَقَامُوا عَلَى عَهْدِهِمْ، وموضع «مَا» نَصَبٌ بِصَدَقُوا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾.

أي أَجَلَهُ وَلَمْ يُبَدَّلْ. وهو قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

فالمعنى أَنَّهُ مَاتَ عَلَى دِينِهِ غَيْرَ مُبَدَّلٍ.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾.

(١) وصفهم بالثبات في إيمانهم عند الخوف.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤.

أي ليجزي الذين صدقوا في عَهْدِهِمْ، والمنافقون كذبوا في عهدهم لأنهم أظهروا الاسلام وأبطنوا الكُفْرَ.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي أو يَنْقُلَهُمْ من النفاقِ إلى الإيمانِ.

وقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾.

يعنى به ههنا أبا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ الْأَحْزَابَ، لم يَنَالُوا خَيْرًا.

أي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيراً فخطبوا على استعْمَالِهِمْ.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾.

يُعْنَى بِهِ بنو قريظة، ومعنى ظَاهَرُوهُمْ عَاوَنُوهُمْ على النبي ﷺ فقذف الله في قلوبهم الرعب وأنزلهم على حُكْمِ سَعْدٍ؛ وكان^(١) سعد حكم فيهم بأن يُقْتَلَ مُقَاتِلُهُمْ، وتُسَبَّى ذُرَارِيُّهُمْ.

﴿وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

جعل النبي ﷺ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ للمهاجرين لأنهم لم يكونوا ذوي عَقَارٍ.

ومعنى الصَيَاصِي كُلِّ مَا يُمْتَنَعُ بِهِ، والصَيَاصِي ههنا الحُصُونُ، وقيل القُصُورُ، والقُصُورُ قَدْ يَتَحَصَّنُ فِيهَا. والصَيَاصِي قُرُونُ الْبَقَرِ وَالظَّبَاءِ، وكل قَرْنٍ صَيَصِيَّةٌ، لأن ذوات القُرُونِ يَتَحَصَّنُ بِقُرُونِهَا وَتَمْتَنِعُ بِهَا، وصيصَة الديك شوكتُهُ لأنه يَتَحَصَّنُ بِهَا أَيْضًا.

(١) نسخة فكان. وسعد هو سعد بن معاذ سيد الأوس.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

وَكُنَّ أَرَدْنَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَخِيرَ نِسَاءَهُ بَيْنَ الْإِقَامَةِ مَعَهُ عَلَى طَلَبِ مَا عِنْدَ اللَّهِ، أَوِ التَّسْرِيحِ إِنْ أَرَدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَأَخْتَرْنَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَالْجَنَّةِ عَلَى الزَّيْنَةِ.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾.

أي من أثر منكن الآخرة فَأَجْرُهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

ولم يقل كواحدة من النساء، لأنَّ أَحَدًا نَفِي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة.

وقوله: ﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

أي لَا تَقْلُنَّ قَوْلاً يَجِدُ بِهِ مُنَافِقٌ سَبِيلاً إِلَى أَنْ يَطْمَعَ فِي مُوَافَقَتِكُنَّ لَهُ.

﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾.

أي قلن ما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوع فيه، بل بتصريحٍ وَبَيَانٍ، «فَيَطْمَعَ» بالنصب وهي الْقِرَاءَةُ، وَجَوَابُ فَلَا تَخْضَعْنَ «فَيَطْمَعَ»، وَيَقْرَأُ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، بِتَسْكِينِ الْعَيْنِ، نَسَقَ عَلَى فَلَا تَخْضَعْنَ فَيَطْمَعَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ويقرأ «وَقُرْن» - بكسر القاف - فمن قرأ بالفتح فهو من قَرَرْتُ بِالْمَكَانِ أَقَرُّ. فالمعنى، واقْرُرْنَ فإذا خُفِّقَتْ صارت وَقُرْنٌ حذفت الألف لثقل التضعيف في الراء، وألقيت حركتها على القاف. والأجودُ وَقُرْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ - بكسر القاف - وهو من الْوَقَارِ، تقول: وَقَرَّ يَقْرُ فِي الْمَكَانِ. ويصلح أن يكون من قَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ أَقَرُّ فيحذف على أنه من «واقْرُرْنَ» بكسر الراء الأولى، والكسر من جهتين، من أنه من الوقار، ومن أنه من القرار جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

التبرُّجُ إظهارُ الزينة، وما تُسْتَدْعَى به شهوةُ الرَّجُلِ، وقيل إِنَّهُنَّ^(١) كُنَّ يَتَكَسَّرْنَ فِي مَشْيَتِهِنَّ، وَيَتَبَخَّرْنَ، وقيل إن الجاهلية الأولى من كان من لدن آدم إلى زمن نوح، وقيل من زمن نوح إلى زمن إدريس، وقيل منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ. والأشبه أن تكون منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ لأنهم هم الجاهليةُ المعروفةون لأنه روى أنهم كانوا يتخذون البغايا - وهن الفواجر يُغْلِلْنَ لَهُمْ^(٢).

فإن قيل: لم قيل الأولى، قيل يقال لكل متقدِّمٍ ومتقدِّمةٍ أولى وأول، فتأويله أنهم تقدَّمُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ. فهم أولى وهم أول من أمة محمد ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

(١) أي نساء الجاهلية.

(٢) ينتجن لهم غلَّةً ومالاً، لأنهم كانوا يتخذونهن وسيلة للكسب وربما أكرهوهن على هذا - كما أشارت الآية: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾.

وتقرأ مُبَيَّنَةً .

﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ .

القراءة يُضَاعَفُ بِالْفِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَدَّهُ يُضَعِّفُ، وكلاهما جَيِّدٌ. وقال أَبُو عُبَيْدَةَ: يعذب ثلاثة أَعْدَبَةٍ، قال: كان عليها أن يعذبَ مَرَّةً وَاحِدَةً، فإذا ضُوعِفَتِ المَرَّةُ ضِعْفَيْنِ، صار العذاب ثلاثة أَعْدَبَةٍ. وهذا القول ليس بشيء لأنَّ معنى يضاعف لها العذاب ضعفين يجعل عذاب جرمها كعذابي جُرْمَيْنِ. والدليل عليه «نُوتُهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ»، فلا يكون أن تعطى على الطاعة أَجْرَيْنِ وعلى المَعْصِيَةِ ثلاثة أَعْدَبَةٍ ومعنى ضعف الشيء مثله، لأنَّ ضعف الشيء الذي يُضَعِّفُهُ بمنزلة مثقال الشيء .

ومعنى يقنت يقيم على الطاعة .

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: جاء في التفسير أنه الجنة .

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ .

«أهل البيت» منصوب على المدح، ولو قرئت أهل البيت بالخفض - أو قرئت أهل البيت بالرفع لجاز ذلك ولكن القراءة النصبُ. وهو على وجهين. على مَعْنَى أعني أهل البيت، وعلى النداء، على معنى يا أهل البيت، والرَّجْسُ في اللُّغَةِ كل مستنكر مُسْتَقْدَرٍ من مأكول أو عَمَلٍ أَوْ فَاحِشَةٍ .

وقيل ان أهل البيت ههنا يعنى به (١) نساء النبي ﷺ وقيل نساء النبي والرجال الذين هم آله . واللغة تدل على أنه للنساء والرجال

(١) يعني بهذا التعبير أو بهذا القول .

جميعاً لقوله «عَنْكُمْ» بالميم، وَلِيُطَهِّرَكُمْ. ولو كان للنساء لم يجز إلا عَنْكُمْ وَيُطَهِّرُكُمْ. والدليل على هذا قوله: ﴿وَإِذْ كُنَّا مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال النساء من الْمُسْلِمَاتِ: فما نزل فينا نحن شيء، فأعلم الله - عز وجل - أن النساء والرجال يجازون بأعمالهم المغفرة والأجر العظيم.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾.

المعنى والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً، والذاكرات. استغنى عن ذكر الهاء بما تقدم ودل على المحذوف، ومثله ونخلع ونترك من يفجرك، المعنى ونخلع من يفجرك ونتركه، ومثله من الشعر.

وَكُتْمًا مُدْمِئًا كَأَن مَّتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشَعَرَتْ لَوْنُ مُذْهَبٍ^(١)

على رفع لَوْنٍ. المعنى جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

بالياء، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء.

(١) البيت لطيف الغوي - اللسان - (كمت) وكُتْمَا جمع أكتمت، مدمئة أي مشربة بلون الدم، وهو في كتاب سيويه ٧٧/١، واللسان (دمي - كمت).

الأول محمول على اللفظ، وتعمل على المعنى. ومن قراءهما جميعاً بالتاء حمل على المعنى. أراد والتي تقنت منكن لله ورسوله وتعمل. ومن قرأ الأول بالتاء قُبِحَ أن يَقْرَأَ وَيَعْمَلَ، لأنه قد حمل على المعنى، وأوضح الموصول بأنه مؤنث، فيقبح الحمل على اللفظ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

الْخِيَرَةُ التَّخْيِيرُ. ونزلت هذه الآية بسبب زينب بنت جحش^(١)، وكانت بنت عمّة رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة^(٢)، وكان زيد مولى رسول الله ﷺ وكانت منزلته منه في محبته إياه كمنزلة الولد، فخطب رسول الله ﷺ زَيْنَبَ ليزوجها من زَيْدٍ، فظنت أنه خطبها لنفسه عليه السلام، فلما علمت أنه يريد لها لزيد كرهت ذلك. وأعلم الله - جل وَعَلَا - أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله، وزوجها من زَيْدٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

(١) هي أم المؤمنين - زينب بنت جحش أخت عبد الله - قيل أسماها حمّة وان كل بنات جحش كن يسمين زينب، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ كانت زوجاً لزيد بن حارثة وتزوجها بعده رسول الله ﷺ وفيها نزلت آيات من سورة الأحزاب. ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾ الخ - وكانت سيدة كريمة ذات جود وحب للصدقة - كانت تدبغ الجلود وتتصدق بما تنال من عملها - وجاء فيها الحديث «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» - وماتت في خلافة عمر.

انظر الإصابة في (٤٧٠، ٤٧١) والاستيعاب ٣١٣، ٣١٤.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي - اختطفته بنوقين في الجاهلية فباعوه بسوق عكاظ. اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، ثم طلبه أهله فأثر البقاء مع النبي ﷺ فبناه وظل يدعى زيد بن محمد حتى نزلت آية تحريم التبني - وزوجه رسول الله ﷺ زينب وقصتهما معروفة.

معنى أنعم الله عليه هداه لاسلام، وأنعمت عليه أعتقته من الرق، وكان زيدٌ شكَا الى النبي عليه السلام أَمَرَ زَيْنَبَ، فأمره بالتمسك بها، وكان عليه السلام يحب التزويج بها^(١) إلا أنه عليه السلام آثر ما يحب من الأمر بالمعروف فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

أي تكره مقالة الناس.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾.

أي فلما طلقها زيد. والوطرُ في اللغة والأربُ بمعنى واحد، قال الخليل: معنى الوطر كل حاجة يكون لك فيها همّة، فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وأربّه، أي بلغ مراده منها.

وقوله - عز وجل: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي قد تبنت به، لئلا يُظنَّ أنه من تبنت برجلٍ لم تحل امرأته للمُتَبَنِّي.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

أي لم يكن [زيداً] ابنَ^(٢) محمد، لم يُلده، وقد وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ

(١) في الأصل التزويج وهو غير مناسب.

(٢) في الأصل أي لم يكن أباً مُحَمَّداً

ﷺ ذكوراً إبراهيم والطيب والقاسم والمطهر^(١)، وإنما تأويله: ما كان يحرم عليه ممن تبنى به ما يحرم على الوالد، والنبي ﷺ أبو المؤمنين في التبجيل والتعظيم. وقرئت: وخاتم النبیین وخاتم النبیین^(٢)، فمن كسر التاء فمعناه ختم النبیین، ومن قرأ وخاتم النبیین - بفتح التاء - فمعناه آخر النبیین، لا نبي بعده ﷺ. ويجوز: ولكن رسول الله وخاتم النبیین. فمن نصب فالمعنى ولكن كان رسول الله وكان خاتم النبیین، ومن رفع فالمعنى ولكن هو خاتم النبیین.

وقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

«سنة» منصوب على المصدر، لأن معناه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنَّ الله سنة حسنة واسعة لا حرج فيها». أي لا ضيق فيها والسنة الطريقة، والسنن من ذا كله.

وقوله عز وجل: ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

معناه في النبیین الذين قبل محمد ﷺ وعليهم. أي سنة الله في التوسعة على محمد ﷺ فيما فرض الله له كسنته في الانبياء الماضين.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾.

«الذين» في موضع خفضٍ نعت لقوله في الذين خَلَوْا من قبل، ويجوز أن يكون رفعا على المدح على هم الذين يُبَلِّغُونَ رسالات الله، ويجوز أن يكون نصبا على معنى أعني الذين يُبَلِّغُونَ.

(١) لم يكن له ﷺ غير ثلاث بنين، وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر.

(٢) قرأ عاصم وحده بفتح التاء.

وقوله : عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ .

صلاة الله على خلقه رَحْمَتُهُ وهدايته إياهم .

وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ .

تحية أهل الجنة سلام ، قال الله عز وجل : ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ .

[أي] شاهداً على أُمَّتِكَ بالإبلاغ ، إبلاغ الرسالة ، ومبشراً بالجنة ومُنذِراً من النار، وهذا كله منصوب على الحال ، أي أَرْسَلْنَاكَ في حال الشهادة والبشارة والانذار .

﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ .

أي داعياً إلى توحيد الله وما يُقَرَّبُ منه ، وبإِذْنِهِ أي بِأَمْرِهِ .

﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ .

أي وكتاباً بَيِّناً ، المعنى أرسلناك شاهداً وذا سراج مُنِيرٍ وذا كتاب بَيِّن ، وإن شئت كان «وَسِرَاجاً» منصوباً على معنى دَاعِياً إِلَى اللَّهِ وَتَالِيَاً كتاباً بَيِّناً .

وقوله عز وجل : ﴿وَدَعَّ أَدَاهُمْ﴾ .

معناه دع أذى المنافقين ، وتأويل دع أذاهم دَعُهُمْ لا تجازهم عَلَيْهِ إلى أن تُؤَمَّرَ فيهم بِأَمْرٍ .

وقوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ .

معنى ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ تَقْرُبُوهُنَّ^(١).

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَتُوهُنَّ وَسَرَحوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

قال بعضهم «متعوهن» نسخها قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾^(٢)، والنصف ينوب عن التمتع، إلا أن يكون لم يسم لها مهرأ، فلها نصف مهرٍ مثلها. وأسقط الله العدة عن التي لم يَدْخُلْ بها، لأن العدة في الأصل استبراء.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾. «أجورهن»: مهورهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾.

وأصل الاملاك في الإماء والعبيد ما يجوز سَبْيُهُ وفيه، فأما سَبْيُ الخبيثة فلا يجوز وَطْئُهُ وَلَا مَلَكَهُ، يقال هذا سَبْيٌ طَيِّبٌ، وَسَبْيٌ خَبِيثٌ، فسبي الطَيِّبِ سَبْيٌ من يجوز حَرْبُهُ من أهل الكفر، فأما من كان له عهد فلا يجوز سبيهِ وَلَا مَلِكٌ عَبْدٌ مِنْهُ وَلَا أَمَةٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتقرأ إِنْ وَهَبَتْ بِالْفَتْحِ. أي: أَنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ حَلَّتْ لَهُ وَمِنْ

(١) أي من قبل أن تدخلوا بهن.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

قرأ «أَنْ وَهَبْتُ» بالفتح فالمعنى أَحَلَّلْنَاهَا لِأَنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا. «وَحَالِصَةُ» منصوب على الحال. المعنى إنا أَحَلَّلْنَا لَكَ هَؤُلَاءِ. وأَحَلَّلْنَا لَكَ مِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لَكَ. وإنما قيل للنبي ههنا لأنه لو قيل أَنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لَكَ كان يجوز أَنْ يَتَوَهَّم أَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا أَنَّهُ يَجُوزُ ذَلِكَ لِغَيْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾، لأنَّ بَنَاتِ الْعَمِّ وَبَنَاتِ الْخَالِ يَحِلُّنَّ لِلنَّاسِ.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

أي ان التزويج لا يَنْعَقِدُ إِلَّا بِوَلِيِّ وَشَاهِدَيْنِ، وملك اليمين لا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ يَجُوزُ سَبِيهِ.

وقوله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

ترجي بالهمز وغير الهمز، والهمز أكثر وأجود، ومعنى تُرْجِي تُؤَخِّرُ بِالْهَمْزِ وَغَيْرِ الْهَمْزِ، المعنى واحد، وهذا مما خص الله به النبي عليه السلام فكان له أَنْ يؤخر من أحب من نِسَائِهِ وَيؤوي إليه من أحب من نِسَائِهِ وليس ذلك لغيره مِنْ أُمَّتِهِ، وله أَنْ يَرُدَّ مِنْ آخَرٍ إِلَى فَرَّاشِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

أي ان أردت ممن عزلت أَنْ تُؤْوِي إِلَيْكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

أي ويرضين كُلُّهُنَّ بِمَا أَعْطَيْتَهُنَّ مِنْ تَقْرِيبٍ وَإِرْجَاءٍ وَيَجُوزُ النَّصْبُ فِي كُلِّهُنَّ توكيداً للهاء والنون.

وقوله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.

وتقرأ: لا تحل لك النساء - بالتاء، فمن قرأ بالياء فلأن الياء في معنى جمع النساء، والنساء يدل على التأنيث فيستغنى عن تأنيث يحل. ويجوز لا تحل - بالتاء - على معنى لا تحل لك جماعة النساء.

وقوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.

موضع «ما» رفع المعنى لا يحل لك إلا ما ملكت يمينك. جعل ما بدلاً من النساء ويجوز أن يكون موضع ما نصباً على معنى لا يحل لك النساء أستثنى ما ملكت يمينك.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾.

بضم الباء وقد رويت عن عاصم «بُيُوت» بكسر الباء وعن جماعة من أهل الكوفة. وليس يروي البصريون بُيُوت بكسر الباء، بل يقولون إن الضم بعد الكسر ليس موجوداً في كلام العرب ولا في أشعارها، والذين كسروا فكأنهم ذهبوا إلى اتباع الياء، والاختيار عند الكوفيين الضم في بُيُوت.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾.

في موضع نصب. المعنى إلا بأن يؤذن لكم، أو لأن يؤذن لكم.

وقوله: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَاءُ﴾.

إناء نَضْجُهُ وبلوغه، يقال أنى يأنى إناء إذا نَضِجَ وَبَلَغَ، و«غير» منصوبة على الحال، المعنى إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين، ولا يجوز الخفض في «غير» لأنها إذا كانت نعتاً للطعام لم يكن بُدُّ من إظهار

الفاعل لا يجوز إلا غير ناظرين إناه أنتم^(١).
وقوله عز وجل: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾.

ويجوز فيستحي منكم بياء واحدة، وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي
مِنَ الْحَقِّ﴾ ويستحي بالتخفيف على استحييت واستحييت، والحذف لثقل
الياءين.

وكان النبي ﷺ يحتمل إطالتهم كرمأ منه فيصبر على الأذى في
ذلك، فعلم الله من يحضره الأدب فصار أدباً لهم ولمن بعدهم.

وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.
أي إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي ﷺ في أمر فخاطبوهن من
وراء حجاب، فنزل الأمر بالاستتار.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.
أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾.

مَوْضِع «أَنْ» رَفْع، المعنى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بعده، وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِذَا تُوفِّيَ مُحَمَّدٌ تَزَوَّجْتُ امْرَأَتَهُ
فَلَانَةً^(٢)، فأعلم الله أَنَّ ذَلِكَ مُحْرَمٌ بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

أي كَانَ ذَنْبًا عَظِيمًا.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

(١) ناظرين يحتاج لفاعل إذا كانت نعتاً، أما إذا كانت استثناء فهي تابعة لفاعل الجملة السابقة.
(٢) كان الرجل يسمى طلحة بن عبيد الله، تيمي من آل أبي بكر، وهو غير طلحة الفياض أحد
العشرة المبشرين وأحد أهل الشورى، والزوجة هي السيدة عائشة - رضي الله عنها.

ولم يرد في هذه القصة أعمامهن ولا أخوالهن. فجاء في التفسير أنه لم يذكر العم والخال، لأن كل واحد منهما يحل لابنة المرأة، فتحل لابن عمها وابن خالها. فقل كره ذلك لأنهما يصفانها لأبنائهما. وهذه الآية نزلت في الحجاب فيمن يحل للمرأة البروز له، فذكر الأب والابن إلى آخر الآية.

المعنى لا جناح عليهن في رؤية آبائهن لهن، ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين في الرؤية. وقد جاء في القرآن تسمية العم أباً في قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً﴾، فجعل العم أباً.

وقوله عز وجل: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

المعنى لنسلطنك عليهم.

﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ﴾ منصوب على الحال، المعنى لا يجاورونك إلا وهم ملعونون^(١).

وقوله: ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا﴾.

لا يجوز أن يكون «ملعونين» منصوباً بما بعد أينما، لا يجوز أن تقول: مَلْعُوناً أَيْنَمَا تُقِفُ أَخَذَ زَيْدٌ يُضْرَبُ، لأن ما بعدما حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها.

وقوله: ﴿سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿سَنَةِ اللَّهِ﴾ منصوب بمعنى قوله أخذوا وقتلوا، فالمعنى سن الله

(١) في الأصل: الا وهم ملعونين.

في الذين ينافقون الانبياء ويرجفون بهم أن يُقتلوا حيثما تُقفوا^(١).

وقوله: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

الاختيار «السبيل» بألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر الأبيات من الشَّعر، والفواصل، لأنه خوطب العرب بما يعقلون في الكلام المؤلف فيدل بالوقف في هذه الأشياء وزيادة الحروف فيها، -نحو: الظنوننا، والسبيلنا، والرسولنا- أن الكلام قد تم وانقطع، وإن ما بعده مستأنف.

وقوله: ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾.

ويقرأ كثيراً ومعناها قريب.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.

أي لا تؤذوا النبي - عليه السلام - كما آذى أصحاب موسى موسى، عليه السلام، فينزل بكم ما نزل بهم.

وكان أذاهم لموسى فيما جاء في التفسير أنهم عابوه بشيء في بدنه فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر فذهب الحجر بثوبه فأتبعه موسى فرآه بنو إسرائيل ولم يروا ذلك العيب الذي آذوه بذكره.

﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

كَلِمَةُ اللَّهِ تَكْلِيماً وبرأه من العيب الذي رموه به بآية معجزة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

(١) يقال ثقفته ثقفاً أي صادفته ووجدته.

رُوي عن ابن عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهُمَا قَالَا: الْأَمَانَةُ ههنا الفرائض التي افترضها الله على عبادة، وقال ابن عُمر: عرضت على آدم الطاعة والمعصية وعرف ثواب الطاعة. وعقاب المعصية. وحقيقة هذه الآية - والله أعلم - وهو موافق للتفسير - أن الله عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأعلمنا الله أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١)، وأعلمنا أن من الحجارة ما يَهْبِطُ من خشية الله وأن الشمس والقمر والنجوم والملائكة وكثيراً من الناس يسجدون لله، فأعلمنا الله أن السموات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي أدتها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أئتم فقد احتمل الاثم، قال الله عز وجل: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ اِثْمَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(٢). فأعلم الله أن من باء بالاثم يسمي حاملاً للاثم، فالسموات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدينها. وأذاوها طاعة الله فيما أمر به، والعمل به وترك المعصية.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، قال الحسن: الكافر والمنافق حملاً للأمانة ولم يطيعا. فهذا المعنى والله أعلم. ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جهولاً، وتصديق ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

(١) سورة فصلت الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٣.

سُورَةُ سَبَأٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾.

والله المحمود في الدنيا والآخرة، وحمده في الآخرة يدل عليه قول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾^(١) أي أورثنا أرض الجنة .

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾.

أي ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قَطْرِ وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

ما يَصْعَدُ فيها، يقال عرج يَعْرُجُ إذا صَعَدَ، والمعارج - الدَّرَجُ - من هذا، ويقال: عَرَجَ يَعْرُجُ، إذا صار ذا عَرَجٍ، وَعَرَجَ يَعْرُجُ إذا غَمَزَ من شيء أصابه^(٢).

(١) سورة الزمر الآية ٧٤.

(٢) عرج بالفتح ارتقى وأصابه شيء في رجله ليس بخلفة، فإذا كان خلفة فالفعل عرج مثل فرح.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

الساعة التي يبعث فيها الخلق، المعنى أنهم قالوا: لَا نُبْعَثُ، فقال الله تعالى:

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ [لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ]﴾.

بالخفص [في عالم] صفة لله عز وجل، ويقرأ بالرفع من وجهين، أحدهما الابتداء، ويكون المعنى: عَالِمُ الْغَيْبِ «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ». ويكون «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ» هو خبر عالم الغيب، ويرفع على جهة المدح لله عز وجل.

المعنى هو عالم الغيب ويجوز النصب ولم يُقرأ به على معنى اذْكَرُ عالم الغيب، ويقرأ علَامُ الغيوب وعلَامُ الغيب جَائِزٌ.

ويقرأ لا يعزب عنه بِكسْرِ الزاي، يقال: عَزَبَ عَنِّي يَعْزُبُ وَيَعْزُبُ إِذَا غَابَ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

اللام دخلت جواباً لقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ للمجازاة أي من أجل المجازاة بالثواب والعقاب.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

بَيْنَ اللَّهِ أَنْ جَزَاءَهُمُ الْمَغْفِرَةُ وهي التغطية على الذنوب.

وقوله: - جل وعلا -: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾.

ويقرأ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ وَمُعْجِزِينَ فِي مَعْنَى مُسَابِقِينَ، ومن قرأ مُعْجِزِينَ فمعناه أنهم يُعْجِزُونَ من آمن بها، وَيَكُونُ فِي مَعْنَى مُثَبِّطِينَ وهو معنى تعجيزهم من آمن بها.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾.
 بالنخفص نعت للرجز، «أليم» نعت للعذاب.
 وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ]﴾.

ههنا علماء اليهود الذين آمنوا بالنبى عليه السلام، منهم كعب
 الأحبار وعبدُ الله بنُ سلام، أي وليرى، وموضع «يرى» عطف على
 قوله: «ليجزي» و«الحق» منصوب. خبر ليرى^(١) الذي^(٢) و«هو» ههنا
 فصل يدل على أن الذي بعدها ليس بنعت، ويسميه الكوفيون العماد،
 ولا تدخل «هو» عماداً إلا في المعرفة وما أشبهها، وقد بينا ذلك فيما
 مضى. والرفع جائز في قوله «هو الحق».

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ...﴾ الآية^(٣).

هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، يقول بعضهم
 لبعض: هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أن
 تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً. وفي هذه الآية نظر في العربية لطيف،
 ونحن نشرحه إن شاء الله.

«إذا» في موضع نصب بمزقتم، ولا يكون أن يعمل فيها ﴿جديد﴾^(٤)
 لأن ما بعد «أن» لا يعمل فيما قبلها. والتأويل هل ندلكم على رجل
 يقول لكم انكم إذا مزقتم تبعثون، ويكون «إذا» بمنزلة «إن» الجزاء،
 يعمل فيها الذي يليها، قال قيس بن الخطيم:

(١) مفعول ليرى، وفي الأصل خبر ليعلم.

(٢) أصل الجملة قبل دخول الناسخ «الذي أنزل اليك من ربك هو الحق».

(٣) تمام الآية: ﴿ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾.

(٤) من ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾.

إِذَا قُضِرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ^(١)
المعنى يكون وصلها، الدليل على ذلك جزم «فَنَضَارِبُ».

ويجوز أن يكون العامل في «إذا» مضمراً، يدل عليه ﴿إِنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يُنبئُكُمْ يقول لكم إذا مزقتم بعثتم، إنكم لفي خلق جديد، كما قالوا: ﴿أَيُّذًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٢). فإذا يجوز أن تكون منصوبة بفعل يدل عليه «إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» ولا يجوز «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» بالفتح، لأن اللام إذا جاءت لم يجز إلا كسر إن.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي ألم يتأملوا ويعلموا أن الذي خلق السماء والأرض قادر على أن يبعثهم، وقادر أن يخسف بهم الأرض أو يسقط السماء عليهم كسفاً.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

أي إن في ذلك علامة تدل من أناب إلى الله ورجع إليه وتأمل ما خلق على أنه قادر على أن يحيي الموتى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾.

(١) البيت في ابن عيش ٩٧/٤، ٧٤/٧، وأمالى ابن الشجري ٣٣٣/١، وكتاب سيويه ٦١/٣
(ت هرون) - يصف قومه ونفسه بالأقدام والهجوم على الأعداء، فهم لا يضربون من بعيد.
(٢) هي عطف في كلا الاعرابين. إما عطف مفرد وإما عطف جملة.

المعنى فقلنا يَا جِبَالُ أُوبِي مَعَهُ، وَتُقْرَأُ أُوبِي مَعَهُ، على معنى عودي في التسبيح معه كلما عاد فيه، ومن قرأ أُوبِي مَعَهُ فمعناه رَجَّي مَعَهُ، يقال آب يؤوب إِذَا رَجَعَ، ومعنى رَجَّي مَعَهُ سَبَّحِي معه وَرَجَّي التسبيح معه.

وَالطَّيْرُ - وَالطَّيْرُ، فالرفع من جهتين. إحداهما أن يكون نسقاً على ما في أُوبِي، المعنى يَا جِبَالُ رَجَّي التسبيح أنت والطَّيْرُ، ويجوز أن يكون مرفوعاً عل البذل. المعنى: يا جبال ويا أَيُّهَا الطَّيْرُ أُوبِي مَعَهُ.

وَالنَّصَبُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ. أن يكون عطفاً على قوله: «ولقد آتينا داود منا فضلاً والطَّيْرَ»، أي وَسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ^(١). حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء، ويجوز أن يكون نصباً على النداء، المعنى: يا جبال أُوبِي مَعَهُ والطَّيْرُ، كأنه قال دعونا الجبال والطير، فالطير معطوف على مَوْضِعِ الْجِبَالِ في الأصل، وكل منادى - عند البصريين كلهم - في موضع نصب. وقد شرحنا حال المضموم في النداء، وأن المعرفة مبني على الضم. ويجوز أن يكون «وَالطَّيْرُ» نصب على معنى «مع» كما تقول: قمت وزيداً، أي قمت مع زيد، فالمعنى أُوبِي مَعَهُ ومع الطير.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ [أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ]﴾.

[أي] جعلناه لَيْنًا. وَأَوَّلَ مَنْ عَمَلَ الدَّرُوعَ دَاوُدُ، وكان ما يُسْتَجَنُّ^(٢) به مِنَ الْحَدِيدِ إِنَّمَا كَانَ قِطْعَ حَدِيدٍ نَحْوَ هَذِهِ الْجَوَاشِنِ^(٣)،

(١) منصوب بفعل مقدر مناسب كما في علقتها تبناً وماء.

(٢) يستجن به يستعمل للوقاية.

(٣) جمع جوشن - وهو الدرع.

و«أن» ههنا، في تاويل التفسير كأنه قيل: وألنا له الحديد أن أعمل سابغات، بمعنى^(١) قلنا له: اعمل سابغات، ويكون في معنى لأن يعمل سابغات. وتصل إن بلفظ الأمر، ومثل هذا من الكلام أُرْسِلَ إليه أَنْ قُمْ إِلَيَّ، أي قال قم إلى فلان، ويكون بمعنى ارسل إليه بأن يقوم إلى فلان.

ومعنى «سَابِغَاتٍ» دروع سابغات فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف، ومعنى السابغ الذي يغطي كل شيء يكون عليه حتى يَفْضُل.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

السَّرْدُ في اللغة^(٢) مقدمة شيء إلى شيء تأتي به مُنْسَقًا بَعْضُهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ مُتَتَابِعًا فَمِنْهُ سَرَدَ فُلَانٌ الْحَدِيثَ، وقيل في التفسير: السَّرْدُ السَّمَرُ^(٣) والسَّتر والخلق وقيل هو أن لَا يَجْعَلَ الْمَسْمَارَ غَلِيظًا وَالثَّقَبَ دَقِيقًا، ولا يجعل المسمارَ دَقِيقًا، وَالثَّقَبَ وَاسِعًا فَيَتَقَلَّقُلُ وَيَنْخَلِيعُ وَيَنْقُصُفُ. قَدِّرْ فِي ذَلِكَ أَي اجْعَلْهُ عَلَى الْقَصْدِ وَقَدِّرِ الْحَاجَةَ.

والذي جاء في التفسير غَيْرُ خَارِجٍ عَنِ اللُّغَةِ لِأَنَّ السَّمَرَ تَقْدِيمُكَ طَرَفَ الْحَلْقَةِ إِلَى طَرَفِهَا الْآخَرَ، وَزَعَمَ سَيَبَوِيهُ أَنَّ قَوْلَ الْعَرَبِ: رَجُلٌ سَرَنْدِيٌّ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّرْدِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ الْجَرِيءُ، قَالَ: وَالْجَرِيُّ الَّذِي يَمْضِي قُدُمًا.

(١) في الأصل: وبمعنى.

(٢) في القاموس: السرد الْخَرْزُ فِي الْأَدِيمِ، وَنَسِجَ الدَّرْعِ، وَاسْمُ جَامِعٍ لِلدَّرْعِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ.

(٣) الشد بالمسامير. يقال سَمَرَ الشَّيْءَ يَسْمُرُهُ - كَنَصَرَ وَكَضَرَبَ. وَسْمَرُهُ، بِمَعْنَى شَدَهُ بِمَسَامِيرٍ وَثَبَتَهُ.

وتفسير: ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ﴾ جعلناه لنا كالخُيُوط يطاوعه حتى عَمِلَ الدروع.

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ﴾.

النصب في الريح هو الوجه وقراءة أكثر القراء، على معنى وسَخَرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ، ويجوز الرفع ولسليمان الريح غدوها شهرٌ، والرفع على مَعْنَى ثَبَّتْ لَهُ الرِّيحَ، وهو يؤول في المعنى إلى معنى سخرنا الريح، كما أنك إذا قلت: لله الحمد فتأويله استقرار لله الحمد، وهو يرجع إلى معنى أحمداً الله الحمد.

وقوله: ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾.

أي غدوها مسيرة شهر، وكذلك رَوَّاحُها. وكان سليمان يجلس على سريره هو وأصحابه فتسير بهم الريح بالغداة مسيرة شهر، وتسير بالعشي مسيرة شهر.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾.

القطر النحاس، وهو الصُّفْرُ، فأذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

موضع «مَنْ» نصب، المعنى سخرنا له من الجن مَنْ يَعْمَلُ، ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً، ويكون المعنى فيما أعطيناه من الجن ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي بأمر ربّه.

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾.

أي من يعدل^(١). ثم بيّن ما كانوا يعملون بين يديه فقال :

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَائِيلَ﴾.

المحاربُ الذي يُصَلَّى فيه، وأشرف موضع في الدَّارِ وفي البيت
يقال له المحراب .

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾.

أكثر القراء على الوقف بغير ياءٍ، وكان الأصل الوقف بالياء، إلّا
أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء^(٢)،
تقول : هذه جواب، فأَدْخَلَتِ الألف واللام وترك الكلام على ما كان
عليه قَبْلَ دُخُولِهِمَا. والجوابي جمعُ جَابِيَةٍ، والجابية الحوض الكبير
قال الأعشى^(٣) :

كجابية السيج العراقي تَفْهَقُ

أن يعملون له جفانه كالحياض العظام التي يجمع فيها الماء .

﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ : ثابتات .

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

«شكراً» منتصب على وَجْهَيْنِ : أحدهما اعملوا للشكر، أي اشكروا

(١) من يميل ويتحول .

(٢) أي متى كانت منكراً حذفت الياء للتنوين .

(٣) صدر البيت : نفى الذم عن رهط المحلق جفنة . ويروى : آل المحلق .

وتقرأ «السيح العراقي» أي الماء والفيضان لكثرة الماء هناك دون الجزيرة العربية، وتقرأ «الشيخ»
أي الرجل - لأن العراقي لا يعرف مواقع الماء فيحتاج بماء جابيته حتى تفيض، انظر الكامل
٤/١ (تجارية).

اللَّهُ عَلَى مَا آتَاكُمْ . وَيَكُونُ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ عَلَى مَعْنَى اشْكُرُوا شُكْرًا .

وقوله تعالى: ﴿مَادَلُّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ .
المنسأة العصا، وإنما سُمِّيَتْ منسأة لأنها يُنْسَأُ بها، ومعنى
ينسأ بها يطرد بها ويؤخر بها، فلما توفي سليمان توفي وهو متكئ عليها
- على عصاه - فلم يعلم الجن بموته حتى أكلت الأرضُ العصا . حَتَّى
خَرَّ .

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ مَوْتَهُ، المعنى ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ
مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ .

المعنى لأنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عَنْهُمْ مَا عَمِلُوا مُسْخَرِينَ ،
إِنَّمَا عَمِلُوا وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ حَيٌّ يَقِفُ عَلَى عَمَلِهِمْ ، وقال بعضهم تبينت
الأنسُ الجنُّ (١) أن لو كانوا يعلمون الْغَيْبَ ، ويجوز أن يكون تبينت
الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الْغَيْبَ ، والجن تتبينُّ أَنَّهَا لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ ،
فَكَانَتْ تُوهِمُ أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ فَتَبَيَّنَتْ أَنَّهُ قَدْ بَانَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا لَا تَعْلَمُ ،
كما تَقُولُ للذي يدعي عندك الْبَاطِلَ إِذَا تَبَيَّنَتْ لَهُ : قَدْ بَيَّنْتُ أَنَّ الَّذِي
يَقُولُ بَاطِلٌ ، وهو لم يزل يعلم ذلك ولكنك أردت أن توبخه وَأَنْ تُعْلِمَهُ
أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بَطْلَانِ قَوْلِهِ .

وقوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّئٍ فِي مَسْكَانِهِمْ [آيَةٌ]﴾ .

ويقرأ «مَسْكَانِهِمْ» بفتح الكاف وكسرهما : ويقرأ مَسَاكِينِهِمْ ويقرأ لِسَبَابٍ

(١) أي عرف الناس حقيقة أنهم لا يعلمون ، أو تبينت الجن بمعنى اتَّضَحَتْ حَالُهُمْ وَقَدْ قَرَأَ
يعقوب : تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ - بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ .

- بالفتح وترك الصرف - وَلَسِبَا . فمن فتح وترك الصَّرْفَ فلأنه جَعَلَ
سَبَاً اسم قبيلة، وَمَنْ صرف وكسر ونَوَّنَ جعل سباً اسماً للرجل واسماً
للحي وكل جائر حَسَنٌ .
﴿آيَةُ جَنَّاتٍ﴾ .

«آية» رفع اسم كان، وَجَنَّاتٍ رفع على نوعين، على أنه بدلٌ من آيةٍ
وعلى إضمار^(١) كأنه لما قيل آية، قيل الآية جَنَّاتٍ، والجَنَّاتِ
البُسْتَانِ . فكان لهم بستانان، بستان يَمَنَّةَ، وبُستانُ يَسْرَةَ .

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ [وَاشْكُرُوا لَهُ]﴾ .

المعنى قيل لهم : كلوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ - واشكروا لَهُ .

وقوله عز وجل : ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ . على معنى هذه بلدة طيبة .

﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ على معنى واللَّهُ رَبُّ غَفُورٌ .

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ المعنى [أعرضوا] عن أمر الله .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ .

والعَرِمُ فيه أقوالٌ قال أبو عبيدة جمع عَرِمَةٍ، وهي السُّكْرُ
والمُسْنَاءُ^(٢) وقيل العَرِمُ اسمُ الوادي، وقيل العَرِمُ ههنا اسم الجُرَذِ
الذي ثقب السُّكْرَ عَلَيْهِمْ، وهو الذي يقال له الخُلْدُ . وقيل : العَرِمُ
المطر الشديد، وكانوا في نِعْمَةٍ وكانت لهم جَنَانٌ يَمَنَّةَ وَيَسْرَةَ، وكانت
المرأة تخرج على رأسها الزَّبِيلُ فتعمل بيديها وتسير بين ذلك الشجر

(١) أي على اضممار مبتدأ، أي هي جنتان . فهو إذن كلام مستأنف .

(٢) السُّكْرُ سُدُّ النَّهْرِ، وبالكسر اسم منه وما سُدُّ به النَّهْرُ ويكون المعنى السَّيْلُ الذي حطم السد -

فهو لذلك يسمى سيل السد . والمسناة السيل الجارف .

فيسقط في زيلها ما تحتاج إليه من ثمار ذلك الشجر، فلم يشكروا. فبعث الله عليهم جُرذاً، وكان لهم سكرٌ فيه أبوابٌ، يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء، فثقب ذلك الجرذ حتى نقب عليهم ففَرَّقَ تينك الجنتين.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾.

أَيَّ بَهَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ الْمَوْصُوفَتَيْنِ.

﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

وَأُكُلٍ خَمْطٍ - الضَّمُّ وَالْإِسْكَانُ فِي الْكَافِ جَائِزَانِ، وَيَقْرَأُ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ. ومعنى خَمْطٌ: يقال لكل نبت قد أخذ طَعْمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله خَمْطٌ. وفي كتاب الخليل الخَمْطُ شَجَرُ الْأَرَاكِ وقد جاء في التفسير أَنَّ الْخَمْطَ الْأَرَاكِ وَأَكَلَهُ ثَمَرُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(١).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾.

«ذلك» في موضع نَصْبٍ، المعنى جزيناهم ذلك بكفرهم.

﴿وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾.

وتقرأ وهل يُجَازِي، ويجوز وهل يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ، وَهَذَا مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ.

يقال: اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يُجَازِي الْكُفُورَ وَغَيْرَ الْكُفُورِ. والمعنى في هذه الآية أن المؤمن تُكَفِّرُ عنه السَّيِّئَاتُ، وَالْكَافِرَ يَحْبِطُ عمله فيجَازَى بكل سوء عمله قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ

(١) سورة إبراهيم آية ٢٥.

اللَّهُ أَضَلُّ أَعْمَالَهُمْ»^(١) وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ»^(٢) فأعلم - جل وعز - أنه يحبط عمل
الكافر، وأعلمنا أن الحسنات يذهبن السيئات، وإن المؤمن تكفر عنه
سيئاته حسناته.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى
ظَاهِرَةً﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾. فكانوا لا
يحتاجون من وادي سبأ إلى الشام إلى زاد، وقيل القرى التي باركنا
فيها بيت المقدس، وقيل أيضاً الشام، فكانت القرى إلى كل هذه
المواضع من وادي سبأ متصلة.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾.

جعلنا مسيرهم بمقدار حيث أرادوا أن يقيموا حلوا بقرية آمين.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾.

ويقرأ ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾، ويقرأ «رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا»، ويقرأ
رَبَّنَا - بالنصب - بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا - برفع بين -، ويقرأ بَيْنِ أَسْفَارِنَا، ويقرأ رَبَّنَا
بَاعِدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا.

﴿وَوَلَّوْا أَنْفُسَهُمْ﴾.

فمن قرأ بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا برفع بين، فالمعنى بَعْدَ مَا يَتَّصِلُ

(١) أول سورة القتال.

(٢) سورة القتال الآية ٢٨.

بِسَفَرِنَا، ومن قرأ بَعْدَ بين أسفارنا فالمعنى بَعْدَ ما بين أسفارنا، وَبَعْدَ سَيْرُنَا بين أسفارنا، ومن قرأ بَاعِدُ فعلى وجه المسألة، ويكون المعنى أنهم سئموا الرَّاحَةَ وبَطَرُوا النِّعْمَةَ، كما قال قوم موسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ﴾^(١) - إلى قوله: ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

أي فرقناهم في البلاد لأنهم لما أذهب الله بِجَنَّتِيهِمْ وغرق مَكَانَهُمْ تبدَّدُوا في البلاد فصارت العَرَبُ تتمثل بِهُمْ في الفرقَة فتقول: تفرقوا أَيَدِي سَبَا، وأيادي سَبَا قال الشاعر:

مِنْ صَادِرٍ أَوْ وَارِدٍ أَيَدِي سَبَا.

وقال كثير^(٢):

أَيَادِي سَبَا عَزَّ مَا كُنْتَ بَعْدَكُمْ فلم يحل للعينين بعدك منظر
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

ويقرأ ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ - برفع إبليس ونصب الظن، وصدقَه في ظنِّه أَنَّهُ ظَنَّ بِهِمْ إِذَا أَغْوَاهُمْ اتَّبَعُوهُ فوجدَهم كذلك فقال: «وَعَزَّتْكَ لِأَغْوِيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمَخْلُصِينَ». فمن قال صَدَّقَ نَصَبَ الظن لأنه مفعولٌ بِهِ، ومن خَفَّفَ فقال «صَدَّقَ» نصب الظن مصدراً

(١) سورة البقرة الآية ٦١.

(٢) انظر اللسان (سبا) وكتاب سيبويه ٣/٣٠٤ (ت هرون)

يريد أنه عاش مشرداً مشتت الشمل - قدرت «أَيَادِي سَبَا» بمنزلة قالي قلا، وبإيدي بدا، واعتبرت تركيباً مزجياً مثل خمسة عشر.

على معنى صدق عليهم ابليس ظناً ظنه، وصدق في ظنه. وفيها وجهان آخران، أحدهما ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، ظنه بدل من إبليس، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(١). ويجوز ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، على معنى صدق ظن إبليس باتباعهم إياه وقد قرئ بهما.

وقوله جل وعز: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

أي ما كان له عليهم من حجة كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٢).

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾.

أي إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم، وهو الذي يُجَارُونَ عَلَيْهِ، والله يعلم الغيب ويعلم مَنْ يُوْثِقُ مِمَّنْ يَكْفُرُ قَبْلَ أَنْ يُوْثِقَ الْمُؤْمِنُ وَيَكْفُرَ الْكَافِرُ ولكن ذلك لا يُوجِبُ ثَوَاباً وَلَا عِقَاباً، إنما يشابون ويعاقبون بما كانوا عامِلِينَ.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

يعني أن الذين يزعمون أنهم شركاء الله مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ لَا شِرْكَ لَهُمْ وَلَا مُعِينَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ فيما خَلَقَ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

بضم الهمزة وفتحها^(٣)، ويكون المعنى لمن أذن له. [أي] لمن أذن الله له أن يشفع، ويجوز إلا لمن أذن أن يُشَفَعَ له فيكون «من»

(١) سورة البقرة. آية ٢١٧.

(٢) سورة الحجر آية ٤٢.

(٣) همزة أذن.

للسافعين، ويجوز أن يكونَ للمَشْفُوعَ لَهُمْ. والأجود أن يكون
للسافعين، لقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

لأن الذين فزع عن قلوبهم ههنا الملائكة، وتقرأ «حتى إذا فزعَ
عن قُلُوبِهِمْ» - بفتح الفاء - وقراً الحسن: حَتَّى إِذَا فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ -
بالراء غير المعجمة وبالفين المعجمة - ومعنى فُزِعَ كُشِفَ الْفَزَعُ عَنْ
قُلُوبِهِمْ وَفَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ كَشَفَ اللَّهُ الْفَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وقراءة
الحسن، فُرِغَ تَرْجِعَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُمَا فَرَعَتْ مِنَ الْفَزَعِ.

وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام كان لما نزل إلى محمد ﷺ
بالوحي ظنت الملائكة أنه نزل لشيء من أمر الساعة فتَفَزَّعَتْ لِذَلِكَ،
فلما انكشف عنها الْفَزَعُ: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

فسألت لأي شيء ينزل جبريل.

﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾.

أي قالوا قال الحق، ولو قرئت قالوا الحق لكان وجهاً. يكون
المعنى قالوا هو الحق.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

روي في التفسير أن المعنى وإنا لعلَى هدى وإنكم لفي ضلال
مبين، وهذا في اللغة غير جائز ولكنه في التفسير يؤول إلى هذا
المعنى. إنا لعلَى هدى أو في ضلال مبين أو إنكم لعلَى هدى أو في
ضلال مبين، أو إنكم لعلَى هدى أو في ضلال مبين. فهذا كما يقول
القاتل: إذا كانت الحال تدل على أنه صادق - أَحَدُنَا صادق، وَأَحَدُنَا
كاذبٌ، والمعنى أَحَدُنَا صادق أو كاذب. ويؤول معنى الآية إلى: إِنَّا
لَمَّا أَقَمْنَا مِنَ الْبِرْهَانِ لَعَلَى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

معنى يفتح: يحكم، وكذلك الفتح: الحاكم.

وقوله - جل وعز -: ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

المعنى الحقتموهم به، ولكنه حذف لأنه في صلة الذين^(١).

وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

معنى كلاً رَدْعٌ وتنبيه، المعنى ارْتَدِعُوا عَنْ هَذَا الْقَوْلِ وَتَنَبَّهُوا عَنْ ضَلَالَتِكُمْ، بل هو الله الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

معنى كَافَّةً الإحاطة في اللغة، والمعنى أرسلناك جامعاً للناس في الانذار والابلاغ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وقال: أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَصُحْبَتُ سَابِقِ الرُّومِ وَبِلَالُ سَابِقِ الْحَبْشَةِ وَسُلْمَانُ سَابِقِ الْفَرَسِ، أي الرسالة عامة، والسابقون من العجم هؤلاء.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يعنون لا نؤمن بما أتى به محمد ﷺ ولا بالكتب المتقدمة.

وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

معناه بل مكرهم في الليل والنهار.

﴿وَنَجْعَلْ لَهُ أَندَادًا﴾: أشبأها.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾.

(١) حذف العائد بعد فعل متعدي.

أَسْرَوْهَا بَيْنَهُمْ . أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يَلُومُ بَعْضًا ، وَيُعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
النَّدَامَةَ .

﴿إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوْهَا﴾ .

مُتَرَفُّوْهَا أُولُو التَّرَفَةِ وَهُمْ رُؤَسَاؤُهَا وَقَادَةُ الشَّرِّ وَيَتَّبِعُهُمُ الْسِّفْلَةُ .

وقوله عز وجل ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا
زُلْفَى﴾ .

ولم يقل باللتين ولا باللذنين ولا باللاتي ، وكل ذلك جائز ، ولكن
الذي في المصحف آلي ، والمعنى وما أموالكم بالتي تقربكم ولا
أولادكم بالذين يقربونكم ولكنه حُذِفَ اختصاراً وإيجازاً ، وقد شرحنا
مثل هذا .

وقوله ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ .

موضع «مَنْ» نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم ،
على معنى ما يُقَرَّبُ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، أي ما تُقَرَّبُ الأموالُ إِلَّا
مَنْ آمَنَ وعمل بها في طاعة الله .

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ .

الضعف ههنا يحتاج إلى تفسير ولا أعلم أحداً فسره تفسيراً بيناً .
وجزاء الضعف ههنا عشر حسنات ، تأويله فأولئك لهم جَزَاءُ الضَّعْفِ
الذي أعلمناكم مقدارهُ ، وهو قوله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾
وفيه أوجه في العَرَبِيَّةِ ، فالذي قرئ به خفض الضعف بإضافة الجزاء
إليه ، ويجوز فأولئك لهم جزاء الضَّعْفُ ، على معنى فأولئك لهم الضعف

جزاء، المعنى في حال المجازاة^(١)، ويجوز فأولئك لهم جزاء الضعف على نصب الضعف. المعنى، فأولئك لهم أن تُجازيهم الضعف.

ويجوز رفع الضعف من جهتين، على معنى فأولئك لهم الضعف على أن الضعف بدل من الجزاء، فيكون مرفوعاً على إضمار هو، فأولئك لهم جزاء، كأنه قال ما هو فقال: الضعف. ويجوز النصب في الضعف على مفعول ما لم يسم فاعله على معنى فأولئك لهم أن يجازوا الضعف.

والقراءة من هذه الأوجه كلها خفض الضعف ورفع جزاء.

وقوله جل وعز: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.

يُعْنَى به مشركو العرب بمكة لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ كُتُبٍ وَلَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَنِيَّ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي عُشْرَ الَّذِي آتَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ.

﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾.

حذفت الياء، المعنى فكيف كان نكيري، لأنه آخر آية.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

أي أَعِظُكُمْ بِأَنْ تُوْحِدُوا اللَّهَ وَأَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً وَقَدْ قِيلَ وَاحِدَةً فِي الطَّاعَةِ، وَالطَّاعَةُ تَتَضَمَّنُ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ. المعنى

(١) لا يستقيم هذا لأن «جزاء» تمييز وليست حالاً. وإنما يكون «لهم الضعف جزاء».

فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة أن تقوموا، أي لأن تقوموا.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْآنٍ﴾.

أي أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا لله منفردين ومُجْتَمِعِينَ.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.

المعنى ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

أي يُنذِرُكم أنكم إن عصيتم لعقبت عذاباً شديداً.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

معناه ما سألتكم من أجر على الرسالة أُؤدِّيها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند الله، - فهو لكم - وتأويله أني إنما أنذركم وأبليغكم الرسالة ولست أجُرُّ إلى نفسي عَرَضاً من أعراض الدنيا.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

أي إنما أطلب ثواب الله بتأدية الرسالة، والياء في «أجري» مُسَكَّنَةٌ ومَفْتُوحَةٌ والأجود الفتح لأنها اسم فيبنى على الفتح.

وقوله - عز وجل - : ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ﴾ - بكسر

الغين - ويجوز علَامَ الغيوب بالنَّصْبِ، فمن نَصَبَ فعَلَامَ الغيوب صِفَةً لِرَبِّي المعنى قل إن ربي علَامَ الغيوب يقذف بالحق ومن رفع «علَامَ الغيوب» فعلى وجهين أحدهما أن يكون صِفَةً على موضع ان ربي، لأن تأويله قل ربي علَامَ الغيوب يقذف بالحق، وإنَّ مؤكدة. ويجوز

الرفع على البدل ممّا في تَقْذِفُ، المعنى قل إن ربي يقذف هو بالحق
علام الغيوب، ومعنى يقذف بالحق أي يأتي بالحق ويرمي بالحق، كما
قال - جل وعز - : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(١).

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

أي قل جاء أمر الله الذي هو الحق، وما يُبْدِي الْبَاطِلُ، «ما» في
موضع نصب على معنى وأي شيء يبدئ الباطل وأي شيء يُعِيدُ.
والأجود أن يكون «ما» نفيًا على معنى ما يبدئ الباطل وما يعيد،
والباطل ههنا إبليس. المعنى وما يعيد إبليس وما يفيد، أي لا يخلق ولا
يبعث، والله - عز وجل - الخالق والباعث. ويجوز أن يكون الْبَاطِلُ
صَاحِبُ الْبَاطِلِ وهو إبليس.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا [فَلَا فَوْتَ]﴾.

هذا في وقت بَعْثِهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يَفُوتُوا.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

في التفسير: من تحت أقدامهم. ويجوز فَلَا فَوْتَ، ولا أعلم أحداً
قرأَ بِهَا فإن لم تثبت بها رِوَايَةٌ فَلَا تَقْرَأْ بها، فإن القراءة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿قَالُوا: آمَنَّا﴾، في الوقت الذي قال الله - جل وعلا فيه^(٢): ﴿لَا
يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ والتَّنَاطُشُ التناوُلُ، أي فكيف

(١) سورة الأنبياء / ١٨ .

(٢) قال في شأنه، والآية في سورة الأنعام رقم ١٥٨ .

لهم أن يتناولوا ما كان مبدولاً لهم وكان قريباً منهم ، فكيف يتناولونه حين بَعَدَ عَنْهُمْ . وَمَنْ هَمَزَ فَقَالَ : التَّنَاوُشُ ، فلأن واو التناوُش مَضْمُومَةٌ ، وكل واو مضمومة ضُمَّتْهَا لازمة ، إن شئت ابدلت منها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم^(١) ، وإن شئت قلت : أدور وتقاوم فهَمَزَتْ ، ويجوز أن يكون التَّنَاوُش من النَّيِّش^(٢) ، وهي الحركة في إبطاء فالمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه .

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

أي كانوا يرممون ويرمون بالغيب ، وترجمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون .

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ .

المعنى من الرجوع إلى الدنيا ، والإيمان .

﴿كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ .

أي بمن كان مذهبه مذهبهم .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ .

فقد أعلمنا الله جل وعز أنه يُعَذَّبُ عَلَى الشَّكِّ ، وقد قال قوم من الضَّلَالِ ان الشاكين لا شيء عليهم ، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن الله - جل وعز - قال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٣) .

(١) جمع دار .

(٢) النَّاش بوزن المنع والتناوُش هو التناول والأخذ ، والبطش والتأخير والنهوض ، ويقال فعله نَيْشاً أي أخيراً .

(٣) سورة ص الآية ٢٧ .

سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس رحمه الله: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلى أعرابيَّان في بئرٍ فقال أحدهما: أنا فطرْتُها، أي ابتدأْتُها. وقيل فاطر السموات والأرض خالق السموات والأرض. ويجوز فاطرٌ وفاطرٌ بالرفع والنصب، والقراءة على خفض فاطر، وكذلك ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾.

معنى أولي أصحاب أجنحة، وثلاث وربع في موضع خفض. وكذلك مثنى إلا أنه فتح ثلاث وربع لأنه لا يتصرف لإعلتين إحداهما أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة وأربعة وأربعة واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانية، أنَّ عُدُولَهُ وَقَعَ فِي حَالِ النَّكِرَةِ قال الشاعر: (١)
ولكنما أهلي بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى وموحداً
وقوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى في خلق الملائكة، والرُّسُلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وملَكُ الموت.

(١) ساعدة بن جؤبة تقدمت ترجمته ص ٩ وتقدم البيت. برفع موحد، والقصيدة على الرفع وهي

في ديوان الهذليين ٢٧٧/١، ومنها:

وعاودني حزني الذي يتجدد

ألا بات من حولي نياماً ورقد

خلال ضلوع الصدر شرع ممدد

وعاودني بشي فبت كأنما

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

«يفتح» في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء «فلا مُمْسِكَ لَهَا»، ولو كان فلا ممسك له لجاز لأن «ما» في لفظ تذكير^(١)، ولكنه لما جَرَى ذكرُ الرحمة كان فلا ممسك لها أحسن، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ومعنى ما يفتح الله أي ما يَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ مَطَرٍ وَرِزْقٍ فلا يقدر أحدٌ أن يُمْسِكَه، وما يُمْسِكُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فلا يقدر قادرٌ أن يرسله، ويجوز -ولا أعلم أحداً قرأ به- ما يفتحُ الله للناس من رحمة وما يُمْسِكُ برفعهما على معنى الذي يفتحهُ الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، والذي يمسك فلا مرسل له، ويجوز فلا مُمْسِكَ لها بالتثنية، وما يمسك فَلَا مُرْسِلَ له من بعده، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قرأ بها فلا تقرأن بما لم تثبت فيه رواية وإن جاء في العربية لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾.

هذا ذكر بعد قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فأكد ذلك بأن جعل السؤال لهم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقرئت هل من خالق غير الله بالرفع، على رفع غير، المعنى هل خَالِقٌ غير الله لأن «من» مؤكدة، وقد قرئ بهما جميعاً، غَيْرٌ وَغَيْرٍ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب غير «هل مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ»، ويكون النصب على الاستثناء، كأنه هل من خالق إلا الله يرزقكم.

(١) أي فلا ممسك لما يفتح.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

أي من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذا تأسٍ للنبي ﷺ أعلمه الله أنه قد كُذِّبَتْ رُسُلٌ من قبله، وأَعْلَمَهُ أنه نَصَرَهُمْ فقال جل وعز، ﴿فَصَبِّرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾^(١).

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

وَتَرْجَعُ الْأُمُورُ، المعنى الأمر رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ في مجازاة من كَذَّبَ، وَنُصْرَةٌ مِنْ كُذِّبَ مِنْ رُسُلِهِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي ما وعدكم الله من مجازاة فحق.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أي وإن كان لكم حظ في الدنيا يَغُضُّ مِنْ دِينِكُمْ فلا تؤثروا ذلك الحظ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

وَالْغُرُورُ الشَّيْطَانُ، وَيَقْرَأُ الْغُرُورُ بِضَمِّ الْغَيْنِ، وَهِيَ الْأَبَاطِيلُ ويجوز أن يكون الْغُرُورُ جمع غَارٍ وَغُرُورٍ، مثل قَاعِدٍ وَقُعُودٍ، ويجوز أن يكون جمع غَرٍّ مَصْدَرُ غَرَزْتُهُ غَرًّا. فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ غَرَرْتُهُ غُرُورًا

(١) سورة الأنعام الآية ٢٤.

فَبَعِيدٌ. لَأَنَّ الْمُتَعَدِّيَةَ لَا تَكَادُ تَقَعُ مُصَادِرَهَا عَلَى فُعُولٍ^(١)، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهَا عَلَى فُعُولٍ نَحْوَ لَزِمَتْهُ لَزُومًا، وَنَهَكَهُ الْمَرَضُ نُهْوَكَأً فَيَجُوزُ غَرَرْتَهُ غُرُورًا عَلَى ذَلِكَ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الجواب هَهُنَا عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾. وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَأَضْلَهُ اللَّهُ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِ حَسْرَةً، وَيَكُونُ «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ» يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَقَدْ قُرِئَتْ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ بضم التاء وجزم الباء ونصب النفس. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ مُحذُوفًا وَيَكُونُ الْمَعْنَى أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ كَمَنْ تَعَدَاهُ اللَّهُ، وَيَكُونُ دَلِيلُهُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وقوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ وَمَيِّتٍ﴾.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.

أَيُّ نُنشِئُ^(٢). الْمَعْنَى مِثْلَ ذَلِكَ، أَي مِثْلَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ بَعَثَكُمْ.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.

أَي مَنِ كَانَ يُرِيدُ بَعَادَتَهُ غَيْرَ اللَّهِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا، أَي فِي حَالِ اجْتِمَاعِهَا، أَي يَجْتَمِعُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ بَيْنَ كَيْفَ يَعِزُّ بِاللَّهِ فَقَالَ:

(١) فُعُولٌ هُوَ مُصَدَّرُ فَعْلٍ الْمُفْتَوَحِ الْعَيْنَ اللَّازِمَ - نَحْوُ قَعْدَ وَخَرَجَ وَقَدْ يَجِيءُ مِنَ الْمُتَعَدِّيِّ نَحْوُ شَهِدَ شَهِودًا بِمَعْنَى رَأَى.

(٢) مِثْلَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا نُنشِئُ الْحَيَاةَ فِي الْأَجْسَامِ الْمَوْتَى.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد الله، وهو قول لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه. المعنى إذا وحد الله وعجل بطاعته ارتفع ذلك إلى الله، والله - عز وجل - يرتفع إليه كل شيء ويعلم كل شيء، ولكن المعنى فيه وهنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مثبتاً للموحد حقيقة التوحيد. والضمير في يرفعه يجوز أن يكون أحد ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعاً، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي لا يقبل العمل الصالح إلا من موحد، والقول الثالث أن يرفعه الله عز وجل.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

المعنى مكر الذين يمكرون بالنبي ﷺ.

﴿هُوَ يَبُورُ﴾.

أي يفسد، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(١).

فسد جميع مكرهم فجعل الله كلمة نبيه وأوليائه العليا، وأبدىهم العالية بالنصر والحجة.

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾.

وقرئت ينقص. ويجوز «وما تعمر من معمر ولا ننقص بالئون جميعاً ولكنه لم يقرأ بها فيما بلغني، فلا تقرأ بها. وتأويل الآية أن

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ قَدْ كَتَبَ عُمَرَ كُلَّ مُعَمِّرٍ وَكَتَبَ يُعَمَّرُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَكَذَا
وَكَذَا شَهْرًا، وَكَذَا وَكَذَا يَوْمًا، وَكَذَا وَكَذَا سَاعَةً، فَكُلُّ مَا نَقَصَ مِنْ
عُمُرِهِ مِنْ سَنَةٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ يَوْمٍ أَوْ سَاعَةٍ كَتَبَ ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ أَجَلَهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾.

الْفُرَاتُ الْمَبَالِغُ فِي الْعَذُوبَةِ.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

الْأُجَاجُ الشَّدِيدُ الْمَرَارَةِ، وَالْأُجَاجُ أَيْضًا الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ.

﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

وَأِنَّمَا تَسْتَخْرِجُ الْحِلْيَةَ مِنَ الْمِلْحِ دُونَ الْعَذْبِ، إِلَّا أَنَّهُمَا لَمَّا كَانَا
مُخْتَلِطَيْنِ الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ، جَازَ أَنْ يُقَالَ تَسْتَخْرِجُونَ الْحِلْيَةَ - وَهِيَ
الْلُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْهُمَا - كَمَا قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ﴾^(١).

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ﴾.

الْمَعْنَى فِي مَوَاحِرِ تَشَقُّ الْمَاءِ. وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا تُصَاعِدُ
وَتَنْحَدِرُ فِي الْبَحْرِ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ. وَالْفُلُكُ جَمْعُ فُلْكِ - لَفْظُ الْوَاحِدِ كَلَفْظُ
الْجَمْعِ لِأَنَّهُ فُعْلًا جَمْعُ فَعَلٍ نَحْوُ أَسَدٍ وَأَسَدٍ، وَوُثْنٍ وَوُثْنٍ، فَكَذَلِكَ
جَمْعُ فُعْلٍ لِأَنَّهُمَا اخْتَانٍ فِي الْجَمْعِ، تَقُولُ: جَبَلٌ وَأَجْبَالٌ، وَقُفْلٌ
وَأَقْفَالٌ، وَكَذَلِكَ أَسَدٌ وَأَسَادٌ. وَقُلُوكَ لِلوَاحِدِ وَقُلُوكَ لِلْجَمَاعَةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وَهِيَ لُفَافَةُ النَّوَاةِ، وَالنَّقِيرُ النَّقْرَةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ، وَالْفَتِيلُ الَّذِي
فِي وَسْطِ النَّوَاةِ.

(١) سورة الرحمن / ٢٢.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾.

المعنى يقولون : ما كنتم إيانا تَعْبُدُونَ ، فيكفرون بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

وهو الله ، لأن ما أنبأ الله به مِمَّا يَكُونُ فهو وحده يَخْبِرُهُ ، لا
يَشْرِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ.

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلِهَآ﴾

المعنى إن تدع نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بِالذُّنُوبِ إِلَىٰ جِمْلِهَا ، إِلَىٰ ذُنُوبِهَا ، لَا
يُحْمَلُ مِنْ ذُنُوبِهَا شَيْءٌ .
﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

أي ولو كان الذي تدعوه ذا قربي مثل الأب والابن ، ومن أشبه
هؤلاء .

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

فتأويل «تنذر الذين يخشون رَبَّهُمْ» - وهو النبي ﷺ تنذر الخلق
أَجْمَعِينَ ، والمعنى ههنا أَنَّ إِنْذَارَكَ ينفع الذين يخشون رَبَّهُمْ .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا
الْحُرُورُ﴾.

هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين ، المعنى لا يستوي
الأعمى عن الحق وهو الكافر ، والبصير بالحق وهو المؤمن الذي يبصر
رَشْدَهُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، الظلمات الضلالات ، والنور الهدي
ولا الظل ولا الحرور ، المعنى لا يستوي أصحاب الحق الذين هم في

ظِلٌّ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَصْحَابُ الْبَاطِلِ الَّذِينَ هُمْ فِي حَرُورٍ أَيْ فِي حَرٍّ دَائِمٍ لَيْلًا وَنَهَارًا وَالْحَرُورُ اسْتِيقَادُ الْحَرِّ وَلَفْحُهُ بِالنَّهَارِ وَبَاللَّيْلِ، وَالسُّمُومُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالنَّهَارِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾.

الأحياء هم المؤمنون، والأموات الكافرون، ودليل ذلك قوله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى قوله: ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾^(٢).

قال عمر بن الخطاب - رحمه الله - يَرْفَعُهُ^(٣): سابقنا سابق، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وظالمنا مَغْفُورٌ لَهُ.

والآية تدل على أن المؤمنين مغفور لهم، لمقتصدهم الظالم لأنفسهم بعد صحة العقد. وقد جاء في التفسير أن قوله: منهم ظالم الكافر وهو قول ابن عباس، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ الْمُنَافِقُ، واللفظ يدل على ما قاله عمر عن النبي ﷺ وَمَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ، لأن قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ يدل على أن جملة المصطفين هؤلاء، وقال الله - عز وجل - ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾^(٤).

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾.

(١) سورة النحل الآية ٢١.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ - جَنَّاتٍ عَذْنٍ...﴾.

(٣) أي سمعه من النبي ﷺ بلا واسطة بينهما.

(٤) سورة النمل الآية ٥٩.

جُدَّدَ جَمْعُ جُدَّةٍ، وَهِيَ الْخُطَّةُ وَالطَّرِيقَةُ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ (١)
كَأَنَّ سَرَائِهِ وَجُدَّةً مَتْنِهِ كِنَائِنٌ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيصٌ
جُدَّةً مَتْنُهُ الْخُطَّةُ السُّودَاءُ الَّتِي تَرَاهَا فِي ظَهْرِ حِمَارِ الْوَحْشِ،
وَكُلُّ طَرِيقَةٍ جَادَّةٍ وَجُدَّةٍ.
﴿وَعَرَّابِيبُ سُودٍ﴾.

أَيُّ وَمِنَ الْجِبَالِ عَرَّابِيبٌ وَهِيَ الْحِرَارُ، الْجِبَالُ الَّتِي هِيَ ذَاتُ
صُخُورٍ سُودٍ. وَالْغَرَّابِيبُ الشَّدِيدُ السُّودُ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ [كَذَلِكَ]﴾.

الْمَعْنَى وَفِيمَا خَلَقْنَا مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ كَذَلِكَ أَيُّ كَاخْتِلَافِ الثَّمَرَاتِ وَالْجِبَالِ.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

أَيُّ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ اشْتَدَّتْ خَشْيَتُهُ لَهُ. وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ كَفَى
بَخْشِيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَبِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا.

﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾.

أَيُّ لَّنْ تَفْسُدَ وَلَّنْ تَكْسَدَ.

﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

غَفُورٌ لِّذُنُوبِهِمْ شَكُورٌ لِّحَسَنَاتِهِمْ.

(١) الدليص - البريق - والجدد جمع جُدَّة - الخططة السوداء في متن الحمار - والسرعة أعلى متنه،
وهو الخط فوق العمود الفقري منه، والبيت في اللسان (دليص - جدد) وفي معاني الفراء
٣٦٩/٢ «كان سرائيه».

﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ لُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

فيها وجهان، أحدهما يُحَلِّونَ فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ، ويجوز لؤلؤاً على معنى يحلون أساور، لأن معنى من أساور كمعنى أساور. والتفسير على الخفض أكثر، على معنى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ. وجاء في التفسير أن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ، كما قال عز وجل: ﴿قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾^(١)، أي هي قوارير ولكن بياضها^(٢) كبياض الفضة، والفضة أضله. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يُحَلِّونَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُحَلِّونَ مِنْ لُؤْلُؤٍ. ويجوز على معنى وَيُحَلِّونَ لُؤْلُؤًا. وأساور جمع إسورة وأساور وواحدة سوار. والأسوار من أساور الفرس، وهو الجيد الرمي بالسهم^(٣).

قال الشاعر^(٤):

وَوَثَرَ الْأَسَاوِرُ الْقَيَاسَا سَعْدِيَّةً تَنْتَزِعُ الْأَنْفَاسَا
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.

ويجوز الحزن مثل الرشد والرشد، والعرب والعرب، ومعنى أذهب عنا الحزن أذهب عنا كل ما يحزن، من حزن في مقاس أو حزن لعذاب، أو حزن للموت، وقد أذهب الله عن أهل الجنة كل حزن. ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(١) سورة الانسان الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) في الاصل «بياضه».

(٣) الأسوار - بضم الهمزة وكسرهما - قائد الفرس، والجيد الرمي.

(٤) قال أبو عبيدة للقلاخ بن حزن المنقري - وهو في اللسان (قوس) - وذكر معه شطر ثالث هو - حتى يقول الأزد لا مساسا - في القرطبي ٢٤٠/١١، ومجاز أبي عبيدة ٢٧/٢ - ويروى أيضاً صفديه، وصفد اسم جبل، وأيضاً اسم بلد.

مثل الإقامة، تقول: أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً أي أحلنا دار الخلود من فضله، أي ذلك بتفضله لا بأعمالنا.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: أي تعب.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

واللُّغُوب الإعياء من التعب. وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ لُغُوب - بفتح اللام - والضَّمُّ أكثر، ومعنى لُغُوب شيء يَلْغُبُ مِنْهُ، أي لا نتكلف شيئاً نَعْيَا مِنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

«فيموتوا» نصبٌ. وعلامة النصب سقوط النون، وهو جواب النفي، والمعنى لا يقضى عليهم الموت فيموتوا.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

أي من عذاب نار جهنم.

﴿كَذَٰلِكَ يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ﴾.

و ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾. وفيها وجه ثالث: كَذَٰلِكَ يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ، أي كذلك يجزي الله، المعنى مثل ذلك الجزاء الذي ذكرنا. ولا أعلم أحداً قرأ بها، أعني يجزي بالياء وفتحها.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾: يستغيثون رَبَّنَا أَخْرِجْنَا.

المعنى يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾.

المعنى إن تخرجنا نعمل صالحاً، فوبَّخَهُمُ اللَّهُ فقال:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾.

معناه أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ العُمَرَ الذي يتذكر فيه من تذكر. وجاء في التفسير: لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى عَبْدٍ عَمَّرَهُ سِتِينَ سَنَةً، ويقال من الستين إلى السبعين. وقد جاء في التفسير أنه يدخل فيها ابنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وقد قيل أربعين.

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾.

يعنى النبي ﷺ وقيل الشَّيْبُ. والقول الأول أن النبي ﷺ النذير أكثر التفسير عليه، وقد قيل الأربعين.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

القراءة الكثيرة بالخفض^(١) ويجوز عالم غيب السموات على معنى يعلم، وعالم غيب على معنى قد علم ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾.

«خلائف» جمع خليفة، المعنى جَعَلَكُمْ أُمَّةً خَلَفَتْ مَنْ قَبْلَهَا، ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.

المعنى فعلية جزاء كفره.

﴿[وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ] عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾.

المقت أشد الإغاض.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾.

معناه قل أخبروني عن شركائكم.

(١) بإضافة عالم إلى الغيب.

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

المعنى بأي شيء أوجبتم لهم شركة الله، أبخلق خلقوه من الأرض. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾.

أي أم أعطيناهم كتاباً بما يدعونه من الشركة.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾.

ويقرأ بَيِّنَاتٍ.

﴿بَلْ إِنْ يَعِدْ [أي] مَا يَعِدُ، الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾.

والغرور الأباطيل التي تغر، ومعنى إن يعد: ما يعد، وبَعْضُهُمْ بَدَلٌ مِنَ الظَّالِمِينَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ [أَنْ تَزُولَا]﴾.

معنى يمسك يمنع السماوات والأرض من أن تزولا.

ولما قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله كادت السماوات يَتَفَطَّرْنَ منه، وكادت الجبال تَزُولُ، وكادت الأرض تنشق، قال الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾. الثلاث الآيات^(١) فأمسكها الله.

وقال السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَدُلُّ عَلَى الْأَرْضِينَ

﴿وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

يحتمل هذا - والله أعلم - وجهين من الجواب. أحدهما زوالهما

(١) سورة مريم الآيات ٨٨، ٨٩، ٩٠ - وبقيتها: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلِداً. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلِداً﴾.

في القيامة قال الله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^(١) ويحتمل أن يقال إن زالتا وهما لا يزولان^(٢).

وقوله في هذا الموضع: ﴿إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً غَفُوراً﴾.

فإن قوماً سألوا فقالوا: لِمَ كان في هذا الموضع ذكرُ الحلم والمَغْفِرَةِ وهذا موضع يدل على القدرة. فالجواب في هذا أنه لما أمسك السموات والأرض عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً﴾. حَلَّمَ فلم يعجل لهم بالعقوبة وأمسك السموات والأرض أن تزولا من عظم فَرِيَّتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

يعني المشركين، وكانوا حَلَفُوا واجتهدوا لئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ، أي من اليهود والنصارى وغيرِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾.

وهو محمد ﷺ.

﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُوراً﴾.

إلا أن نفروا عن الحق.

﴿اسْتَكْبَاراً فِي الْأَرْضِ﴾.

«استكباراً» نصب، مفعول له. المعنى ما زادهم إلا أَنْ نَفَرُوا

للاستكبار.

(١) سورة التكويد الآية ١١.

(٢) أي زوالهما في هذه الدنيا.

﴿وَمَكَرَ السَّيِّءُ﴾.

أي وَمَكَرَ الشَّرَّكَ.

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحِيطُ.

وقرأ حمزة: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ عَلَى الْوَقْفِ، وهذا عند النحويين الْحَذَاقِ لَحْنٌ، وَلَا يَجُوزُ، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار قال الشاعر:

إِذَا اعْوَجَّجَنْ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ^(١)

والأصل يا صَاحِبُ قَوْمٍ، ولكنه حذف مُضْطَرَأً. وكأنَّ الضَّمَّ بعدَ الكَسْرِ والكسر بعدَ الكسر يستثقل. وأنشدوا أيضاً.

فاليوم أَشْرَبَ غير مستحَقِّبِ إثمًا من الله وَلَا وَاعِلٍ^(٢)

وهذان البيتان قد أنشدتهما جميع النحويين المذكورين وزعموا كلُّهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب الله. وأنشدناهما أبو العباس محمد بن يزيد رحمه الله:

إِذَا اعْوَجَّجَنْ قُلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ

وهذا جيّد بالغ، وأنشدنا:

فاليوم فَأَشْرَبَ غير مستحَقِّبِ

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته إلى بَارِئِكُمْ. فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاصاً، وَلَا يَجْزِمُ بَارِئِكُمْ، وهذا أعني

(١) تقدم.

(٢) تقدم. وما هنا ليس من هذا إنما هو من إدغام المثليين. إذ هما همزتان.

جزم بارثكم إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه
والخليل، ورواه سيبويه باختلاس الكسر، كأنه تقلل صوته عند
الكسرة.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾.

معناه فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم، والمعنى
فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

المعنى ليفوته من شيء من أمر السموات ولا من أمر الأرض.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

قالوا: قال على ظهرها^(١)، لأن المعنى يعلم أنه على ظهر
الأرض، وهذا حقيقته أنه قد جرى ذكر الأرض بقوله فيما قبل هذه
الآية يليها قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ﴾ فلذلك جاء على ظهرها.

وقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

فيه قولان، فقليل من دابة من الانس والجن وكل ما يعقل. وجاء
عن ابن مسعود كاذ الجعل يهلك في جحره لذنب ابن آدم. فهذا يدل
على العموم. والذي جاء أنه يعنى به الانس والجن كأنه أشبه، والله
أعلم.

آخر سورة الملائكة.

(١) أي ولم يقل على ظهر الأرض.

سُورَةُ يَس مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء في التفسير «يس» معناه يا إنسان، وجاء يا رجل وجاء يا محمد والذي عند أهل العربية أنه بمنزلة «الم» افتتاح السورة، وجاء أن معناه القسم، وبعضهم أعنى بعض العرب تقول: يَاسِنَ وَالْقُرْآنَ بفتح النون، وهذا جائز في العربية، والتسكين أجود لأنها حروف هجاء. وقد شرحنا أشباه ذلك. فأما من فتح فعلى ضربين، على أن «يس» اسم للسورة حكاية كأنه قال: اتلُ يس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف، ويجوز أن يكون فتح لالتقاء الساكنين.

وقوله جل وعز: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

معناه أن آياته أحكمت وبيّنت فيها الأمر والنهي والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

هذا خطاب لمحمد ﷺ وهو جواب القسم جواب «والقرآن إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم».

[أي] على طريق الانبياء الذين تقدموك. وأحسن ما في العربية أن يكون «لَمِنَ المرسلين» خبر «إن» ويكون «على صراط مستقيم»

خبيراً ثانياً، فالمعنى انك لمن المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة .

وقوله - عز وجل - : ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ .

تقرأ تنزِيلٌ - بالرفع والنصب - فمن نصب فعلى المصدر على معنى نَزَلَ اللهُ ذلك تنزيلاً . ومن رفع فعلى معنى الذي أنزل اليك تنزيل العزيز الرحيم .

﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ .

جاء في التفسير لتنذر قوماً مثل ما أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ، وجاء لتنذر قوماً لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ ، فيكون ما جُحِداً - وهذا - والله أعلم - الاختيار ، لأن قوله «فَهُمْ غَافِلُونَ» دليل على معنى لم ينذر آبَاؤُهُمْ وإذا كان قد أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فهم غافلون فيه بُعداً ، ولكنه قد جاء في التفسير . ودليل النفي قوله : ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾^(١) . ولو كان آبَاؤُهُمْ منذرين لكانوا مُنذِرِينَ دَارِسِينَ لكتب - والله أعلم .

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ .

القول ههنا - والله أعلم - مثل قوله : ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢) . المعنى لقد حق القول على اكثرهم بكفرهم وعنادهم . أَضَلَّهُمُ اللهُ وَمَنَعَهُمْ مِنَ الْهُدَى .

(١) سورة سبا آية ٤٤ .

(٢) سورة الزمر الآية ٧١ .

وقوله جل وعز ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رحمهما الله : إنا جعلنا في أيمانهم .
وقرأ بعضهم في أيديهم أغللاً ، وهاتان القراءتان لا يجب أن يقرأ
بواحدة منهما^(١) لأنهما بخلاف المصحف .

فالمعنى في قوله في أعناقهم ومن قرأ في أيمانهم ومن قرأ في
أيديهم فمعنى واحد . وذلك أنه لا يكون الغلُّ في العنق دُونَ اليد ولا
في اليد دُونَ العنق ، فالمعنى إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيمانهم
أغْلَالًا .

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ .

كناية عن الأيدي لا عن الأعناق ، لأنَّ الغلَّ يجعل اليد تلي
الذَّقْنَ ، والعنق هو مُقَارِبٌ للذَّقْنَ ، لا يجعلُ الغلَّ العنقَ إلى الذَّقَنِ .

وقوله : ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ .

«المُقْمَحُ» الرافع رأسه النَّاصُ بَصْرِهِ ، وقيل للكانونين شَهْرًا قُمَاح^(٢)
لأن الإبل إذا وَرَدَتْ الماء ترفع رُءُوسَهَا لِشِدَّةِ بَرْدِهِ ، ولذا قيل شهرا
قُمَاحٍ ، وإنما ذكرت الأعناق ولم تذكر الأيدي إيجازاً واختصاراً لأن
الغل يتضمَّن العنق واليدَ . ومن قرأ في أيمانهم فهو أيضاً يدل على
العنق ، ومثل هذا قول المثقَّب^(٣) :

وما أدري إذا أُممت أرضاً أريدُ الخير أئهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغييني

(١) في الأصل بواحدة منها .

(٢) الشهران الشديدا البرد - كانون الأول وكانون الثاني - أي ديسمبر ويناير . وقُمَاح ككتاب
وَعَرَابٍ ، ويقال : قمح البعير إذا رفع رأسه ممتنعاً من الشرب .

(٣) من نونية المثقَّب العبدى - تقدم بيت منها . وانظر حـ ٤٨/١ .

وإنما ذكر الخير وحده، ثم قال أيهما يليني، لأن قد علم أن
الانسان الخير والشر معرضان له، لا يدري إذا أم أرضاً أيلقاه هذا أم
هذا، ومثله من كتاب الله: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(١)، ولم يذكر البرد،
لأن ما وقى هذا وقى هذا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

وسدًا - بالفتح والضم - ومعناها واحد. وقد قيل: السد فعل
الانسان والسد خلقه المسدود. وفيه وجهان: أحدهما قد جاء في
التفسير، وهو أن قوماً أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً فحال الله بينهم وبين
ذلك فجعلوا بمنزلة من هذه حاله، فجعلوا بمنزلة من غلّت يمينه وسدّ
طريقه من بين يديه ومن خلفه وجعل على بصره غشاوة، وهو معنى
﴿فَأَعْشَيْنَاهُمْ﴾.

. ويقرأ فَأَعْشَيْنَاهُمْ بالعين غير معجمة، فحال الله بينهم وبين
رسوله وكان في هؤلاء أبو جهل فيما يُروى، ويجوز أن يكون وصف
إضلالهم فقال: إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ، أي
أضللناهم فأمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله والسعي فيما
يقرب إلى الله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، كما
قال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ الآية^(٢).

والدليل على هذا قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾، لأن من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾.

(١) سورة النحل الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ٧ وبقيتها: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي من استمع القرآن واتبعه .

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ .

أي خاف الله من حيث لا يراه أحد .

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ .

المعنى من اتبع الذكر وخشي الرحمن فبشره بمغفرة وأجر كريم .

المغفرة هي العفو عن ذنوبه ، وأجر كريم بالجنة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ .

ما أسلفوا من أعمالهم ، ونكتب آثارهم أي من سن سنة حسنة كتبت له ثوابها ، ومن سن سنة سيئة كتب عليه عقابها ، وقد قيل : وتكتب آثارهم أي خطأهم ، والأول أكثر وأبين .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ .

«مثلاً» مفعول منصوب به ، معنى قول الناس : اضرب له مثلاً أي اذكر له مثلاً ، ويقال : عندي من هذا الضرب شيء كثير ، أي من هذا المِثال وتقول : هذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد ، فيعني اضرب لهم مثلاً : مثل لهم مثلاً .

وقوله : ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ .

أي خبر أصحاب القرية .

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ .

جاء في التفسير أنهم أهل إنطاكية، وجه إليهم عيسى اثنين فكذبوهما قال: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

ويقرأ فَعَزَّزْنَا - بالتشديد والتخفيف - ومعنى فعززنا ففوّينا وشدّدنا الرسالة بثالث أي برسول ثالث

﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: إلى قوله ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(١).

فأعلمهم الرُّسل إنما عليهم البلاغ.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: أي تشاء منا.

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْهَتُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.

أي لنقتلنكم رجماً.

﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ ويجوز طَيْرُكُمْ معكم.

لأنه يقال طائرٌ وَطَيْرٌ في معنى واحد، ولا أعلم أحداً قرأ ههنا طيركم بغير ألف، والمعنى قالوا شؤمكم مَعَكُمْ.

﴿إِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾.

أي إِنْ ذُكِّرْتُمْ تَطَيَّرْتُمْ، ويقرأ أَنَّ ذُكِّرْتُمْ، أي لَأَنْ ذُكِّرْتُمْ.

وقوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

هذا رجل كان يعبد الله في غارٍ في جبلٍ، فلما سمع بالمرسلين جاء يسعى، أي يَعْدُو إليهم، فقال: أتريدون أجراً على ما جئتم به فقال المرسلون: لا، وكان يقال لهذا الرجل فيما روي حبيب النجار

(١) بقية الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾، قالوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

فَأَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَاسْمَعُونَ﴾^(١).

فَأَشْهَدُ الرِّسْلَ عَلَى إِيقَانِهِ - قَالَ قَتَادَةُ: هَذَا رَجُلٌ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَمَحَضَهُمُ النَّصِيحَةَ فَقَتَلُوهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْبَلُوا يَرْجُمُونَهُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَهُوَ حَيٌّ فِيهَا يَرْزُقُ، وَالْمَعْنَى فَلَمَّا عَذَّبَهُ قَوْمُهُ، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾.

فَلَمَّا شَاهَدَهَا قَالَ: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

أَيِّ بِمَغْفَرَةِ رَبِّي لِي، ﴿مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ أَيِّ مِنَ الْمُذْخَلِينَ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ أَيْضاً بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي أَيِّ لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ بِالْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي غَفَرَ لِي بِهِ رَبِّي، وَيَجُوزُ «بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي»، عَلَى مَعْنَى بِأَيِّ شَيْءٍ غَفَرَ لِي رَبِّي، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «بِمَا» فِي هَذَا الْمَعْنَى بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ، تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ بِمَا صَنَعْتَ هَذَا، وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا صَنَعْتَ هَذَا، أَيِّ قَدْ عَلِمْتُ بِأَيِّ شَيْءٍ صَنَعْتَ هَذَا، وَحُذِفَ الْأَلْفُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجُودَ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

الْمَعْنَى لَمْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ جُنْدًا، لَمْ نَنْتَصِرْ لِلرَّسُولِ الَّذِي كَذَّبُوهُ بِجُنْدٍ.

وَمَعْنَى ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

مَا كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، إِلَّا أَنْ صِيحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَمَاتُوا

(١) بَقِيَّةُ الْآيَةِ: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدُنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون. إِنِّي إِذْنُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ﴾.

معذبين بها، ويقرأ إلا صيحةً واحدةً - قرأ بها أبو جعفر المدني وحده، وهي جيدة في العربية، فمن نصب فالمعنى ما وقعت عليهم عقوبة الأ صيحةً واحدةً^(١).

﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ .

أَيُّ سَاكِنُونَ قَدْ مَاتُوا وَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ الرَّمَادِ الْخَامِدِ الْهَامِدِ .

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾.

وقرئت يا حسرة العبادِ بغير على، ولكني لا أحب القراءة بشيء خالف المصحف البتة. وهذه من أصعب مسألة في القرآن، إذا قال القائل: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب فالفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل، لأن النداء باب تنبيه، إذا قلت يا زيد فإن لم تكن دعوته لتخاطبه لغير النداء^(٢) فلا معنى للكلام، إنما تقول يا زيد فتنبه بالنداء ثم تقول له: فعلت كذا وافعل كذا، وما أحببت مما له فيه فائدة، ألا ترى أنك تقول لِمَنْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ: يا زيد ما أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ، ولو قلت له: ما أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ كنت قد بلغت في الفائدة ما أفهمت به، غير أن قولك يا زيد أؤكد في الكلام، وأبلغ في الفهم. وكذا إذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلت، فقد أَفْذَتَهُ أنك متعجب، ولو قلت: وأعجابه مما فعلت، ويا عجابه أتفعل كذا وكذا، كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة. والمعنى يَا عَجِبُ أَقْبَلْ، فإنه من أوقاتك، وإنما نداء الْعَجَبِ تنبيه لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله، وكذلك إِذَا قُلْتَ: وَيْلَ لَزَيْدٍ أَوْ وَيْلَ زَيْدٍ: لم فعل

(١) يقتضي هذا التحليل أن يكون هذا استثناء تاماً موجباً، وليس كذلك، إنما هو استثناء مفرغ، وصيغة خبر كان. ومن رفع اعتبر كان تامة، أي ما حدث الا صيغة واحدة.

(٢) أي لتذكر شيئاً بعد النداء تريده من المنادي.

كذا وكذا كان أبلغ . وكذلك في كتاب الله - عز وجل - : ﴿يَا وَيْلَتَا أَلِدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾^(١) وكذلك ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(٢) ، وكذلك ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ .

والمعنى في التفسير أن استهزاءهم بالرُّسل حَسْرَةٌ عليهم ، والحَسْرَةُ أن يَرْكَبَ الإنسان مِن شِدَّةِ النَّدَمِ ما لا نهاية له بعده حتى يبقى قلبه حَسِيرًا .

وقوله عز وجل : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ .

[أي] فيخافون أن يعجلَ لَهُم في الدنيا مثلُ الذي عُجِّلَ لغيرهم مِمَّنْ أَهْلِكَ ، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبدًا ، وموضع «كم» نصبُ بأهلكننا ، لأن «كَمْ» لا يعمل فيها ما قبلها ، خبراً كانت أو استفهاماً . تقول في الخبر: كم سِرْتُ ، تريد سرت فراسخ كثيرةً ، ولا يجوز سرت كم فرسخاً ، وذلك أن كم في بابها بمنزلة رُبٍّ ، وأن أصلها الاستفهام والابهام ، فكما أنك إذا استفهمت فقلت للمخاطب: كم فرسخاً سرت لم يجز سرتَ كم فرسخاً ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، فكذلك إذا جُعِلَتْ كم خبراً فالابهام قائم فيها ، و«أَنَّهُمْ» بدل من معنى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ . والمعنى ألم يروا أن القرون التي أهلكننا أنهم لا يرجعون .

ويجوز ﴿إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بكسر «إِنَّ» ومعنى ذلك الاستئناف ، المعنى هم إليهم لا يَرْجِعُونَ .

(١) سورة هود الآية ٧٢ .

(٢) سورة الزمر الآية ٥٦ .

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

من قرأ بالتخفيف [لَمَّا] فما زائدة مؤكدة، والمعنى إن كل لجميع لدينا مُحْضَرُونَ، ومعناه وَمَا كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ لدينا [مُحْضَرُونَ].
ويقرأ لَمَّا بالتشديد ومعنى «لما» ههنا «الَّا»، تقول سألتك لَمَّا فعلت.

وتفسير الآية أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا.

وقوله: ﴿وَأَيَّةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾: ويقرأ بالتشديد^(١)
وأصل الميِّتة الميِّتة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز. وآية مرفوعة بالابتداء، وخبرها «لَهُمُ»^(٢) أي علامة تدلهم على التوحيد وأن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميِّتة. ويجوز أن يكون آية مرفوعة بالابتداء، وخبرها الأرض الميِّتة.

وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز ثمره - بإسكان الميم وضَمَّ الثاء.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾.

ويقرأ عملت بغير هاء، وموضع «ما» خفض. المعنى ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفيًا، على معنى ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. هذا على إثبات الهاء، وإذا حذفت الهاء فالاختيار أن يكون «ما» في موضع خفض، ويكون «ما» في معنى الذي، فيحسن حذف الهاء^(٣)، ويكون هذا على قوله:

(١) في الميِّتة.

(٢) الخبر هو الأرض الميِّتة.

(٣) عائد الصلة بعد الفعل المتعدي.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(١).

وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

﴿سبحان﴾ تبرئة الله من السوء وتنزيهه. ومعنى الأزواج، الاجناس كلها من النبات والحيوان وغيرها.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

مما خلق الله من جميع الأنواع والأشباه.

﴿وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.

ومعنى نسلخ نُخْرِجُ منه النهار اخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، وذلك من العلامات الدالة على توحيد الله وقدرته.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

المعنى وآية لَهُمُ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.

أي لأجلِ قَدْ أُجِّلَ لَهَا وَقَدِّرَ لَهَا. ومن قرأ «لا مُسْتَقَرَّ لَهَا» فمعناه أنها جارية أبداً لا تثبت في مكان.

﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْنَا مَنَازِلَ﴾.

يقرأ بالرفع والنصب، فمن نصب فعلى «وَقَدَّرْنَا الْقَمَرَ مَنَازِلَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ» والرفع على معنى وآية لهم القمر قَدَرْنَاهُ، ويجوز أن يكون على الابتداء وقدرناه الخبر.

﴿حَتَّىٰ عَادَ الْعُرْجُونَ الْقَدِيمَ﴾.

الْعُرْجُونَ عَوْدُ الْعِذْقِ الَّذِي يَسْمَى الْكِبَاسَةَ وَحَقِيقَةُ الْعُرْجُونَ

(١) سورة الواقعة الآيتان ٦٣، ٦٤، أي أرايتم الذي تحرثونه.

أنه العود الذي عليه العذق، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق، فإذا جَفَّ وَقَدَّمَ دَقَّ وَصَغُرَ فحينئذ يشبه الهلال في آخر الشهر، وفي أول مطلعته^(١).

وتقدير «عُرْجُون» فَعْلُول. من الانعراج.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ الآية^(٢).

المعنى لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

لكل واحدٍ منهما فَلَكٌ، ومعنى يسبحون يَسِيرُونَ فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فَقَدْ سَبَحَ فيه، ومن ذلك السباحة في الماء.

﴿وَايَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾.

خوطب بهذا أهل مَكَّةَ، وقيل حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ لأن من حمل مع نوح عليه السلام في الفلك فهم آباؤهم، وذُرِّيَّاتُهُمْ، والمشحون في اللغة المملوء، شحنت السفينة إذا ملأتها، وشحنت المدينة وأشحنتها إذا ملأتها.

وقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

الأكثر في التفسير أن مِنْ مِثْلِهِ من مثل سفينة نوح، وقيل من مثله يُعْنَى به الابل، وأن الابل في البرية بمنزلة السفن في البحر.

﴿وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾.

أي فلا مُغِيثَ لهم.

(١) قولان إذن في العرجون، وفي القاموس أنه العذق إذا يَسَّ وأَعْوَجَّ أو أصله أو عود الكباش.

(٢) بقيتها: ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾.

منصوبة مفعول لها، المعنى: ولا يُنْقَذُونَ إِلَّا لرحمة منا ولمَتَاعٍ إلى حين. إلى انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾.

ما أسلفتم من ذُنُوبِكُمْ، وما تعملونه فيما تستقبلون، وقيل ما بين أيديكم وَمَا خَلْفَكُمْ، على معنى اتَّقُوا أن ينزل بكم من العذاب مثلُ الذي نزل بالأمم قَبْلَكُمْ، وَمَا خَلْفَكُمْ، أي اتقوا عذاب الآخرة. ومثله.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقَدْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي أطعموا وتصدقوا.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾.

كانهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنها نزلت في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

متى إنجاز هذا الوعد، أردنا ذلك.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

في يَخِصِّمُونَ أَرْبَعَةٌ أَوْجِهٌ. سكون الخاء والصاد مع تشديد الصاد على جمع بين ساكنين، وهو أشد الأربعة وَأَرْدُوْهَا، وكان بعض من

(١) سورة فصلت الآية ١٣.

يروى قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يُضَبَّطْ عن أهل المدينة كما لم يضبط عن أبي عمرو إلى بارئكم. وإنما زعم أن هذا تُخْتَلَسُ فيه الحركة اختلاصاً وهي فتحة الخاء، والقول كما قال. والقراءة الجيدة «يَخْصِمُونَ» بفتح الخاء، والأصل يَخْتَصِمُونَ، فطرحت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت في الصاد، وكسر الخاء جَيِّدٌ أيضاً. تكسر الخاء لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الصَّادِ، وَقُرِئَتْ يَخْتَصِمُونَ، وهي جيدة أيضاً ومعناها يأخذهم وبعضهم يَخْصِمُ بَعْضًا، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَخْصِمُونَ في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أمره.

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

الصور كما جاء في التفسير القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل، وقد قال أبو عبيدة: إِنَّ الصُّورَ جَمْعُ صُورَةٍ، وصورة جمعها صور، كما قال الله عز وجل: ﴿وَصُورَكُمْ فَأَخْسَنَ صُورَكُمْ﴾^(١) وما قرأ أحد أحسنَ صُورَكُمْ وَلَا قرأ أحد: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ من وجه يثبت.

والأجداث القبور، واحداً جَدَثٌ، وَيَنْسِلُونَ: يخرجون بسرعة.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾.

هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين.

(١) سورة التغابن الآية ٣.

وقوله: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

«هذا» رفع بالابتداء، والخبر «ما وعد الرحمن»، وهذا قول المشركين، أعني هذا ما وعد الرحمن، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت مرقدنا على معنى من بَعَثْنَا من مَرَقِدِنَا هَذَا الذي كنا راقدين فيه، ويكون ما وعد الرحمن وصدق المرسلون على ضربين، أحدهما على إضمار هذا، والثاني على إضمار حق، فيكون المعنى حق ما وعد الرحمن. والقول الأول أعني ابتداء هذا عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

وإلا صَيْحَةً وَاحِدَةً، وقد مضى إعرابهما.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

فالمعنى إن إهلاكهم كان بصيحة وبعثهم وإحياءهم بصيحة.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المعنى من جوزي فإنما يجازى بعمله.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾.

و﴿فاكهيون﴾ تفسيره فرحون. وجاء في التفسير أَنَّ شُغْلَهُمْ افتضاض

الأبكار، وقيل في شغل عما فيه أهل النار، ويقرأ في شُغْلٍ وَشُغْلٍ وَشُغْلٍ وَشُغْلٍ. يجوز في العربية.

وقوله عز وجل: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾.

وظُلُلٍ، ويجوز ظُلُلٍ.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِثُونَ﴾.

وهي الفرش في الحجال^(١)، وَقِيلَ إِنَّهَا الْفَرَشُ، وَقِيلَ الْأَسِرَّةُ،
وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾.

أي ما يَتَمَنُّونَ، يقال: فلان في خَيْرٍ مَا ادَّعَى، أي ما تَمَنَّى، وهو
مأخوذ من الدعاء. المعنى كل ما يدعو أهل الجنة يَأْتِيهِمْ.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾.

«سلام» بدل من «ما» المعنى لهم ما يتمنون به سلام، أي وهذا
مَنَى أهل الجنة أن يَسْلِمَ اللَّهُ - عز وجل - عَلَيْهِمْ، وقولاً منصوب على
معنى لهم سلام يقوله الله - عز وجل - قَوْلًا.

﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ [أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ]﴾.

أي انفردوا عن المؤمنين.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾.

وتقرأ أعهد - بالكسر، والفتح أكثر، على قولك عَهْدَ يَعْهَدُ.
والكسر يجوز على ضربين على عَهْدَ يَعْهَدُ، وعلى عَهْدَ يَعْهَدُ مثل
حَسِبَ يَحْسِبُ، ومعناه ألم أتقدم إليكم بِعَهْدِ الْإِيمَانِ وترك عبادة
الشیطان.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبُلًا﴾.

ويقرأ ﴿جِبِلًّا﴾ - بكسر الجيم والباء، ويُقرأ جُبُلًا - بضم الجيم والباء

(١) واحدها حجلة، وهي كالقبة، وشيء يزين بالثياب والستور للعرائس.

- وَتُقْرَأُ جُبْلًا عَلَى إِسْكَانِ الْبَاءِ وَضَمِّ الْجِيمِ، وَيجوزُ جُبْلًا بفتح الجيم وَجُبْلًا بكسر الجيم، وَيجوزُ أَيْضًا جِبْلًا - بكسر الجيم وفتح الباء بغير تشديد اللام، على جمع جِبْلَةٍ. وَجِبَلٌ، وَالْجِبْلَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مَعْنَاهُ خَلِيقَةٌ كَثِيرَةٌ وَخُلُقٌ كَثِيرٌ.

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾.

المطموس الأعمى الذي لَا يُتَبَيَّنُ لَهُ جَفَنٌ. لَا يُرَى شَفْرُ عَيْنِهِ، أَيِ لَوْ نَشَاءُ لَأَعْمَيْنَاهُمْ فَعَدَلُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَمَنْ أَتَيْنَ يُبْصِرُونَ لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾.

ومكاناتهم، والمكانة والمكانُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

أَيِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَهَابٍ وَلَا مَجِيءٍ.

﴿وَمَنْ نَعْمِرُهُ نُنَكِّسْهُ﴾.

﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَنُنَكِّسُهُ، يُقَالُ نَكَّسْتُهُ أَنْكُسُهُ وَأَنْكَسْتُهُ جَمِيعًا، وَمَعْنَاهُ مَنْ أَطْلَنَّا عُمرَهُ نَكَّسْنَاهُ خَلْقَهُ، فَصَارَ بَدَلُ الْقُوَّةِ ضَعْفًا وَبَدَلُ الشَّبَابِ هَرَمًا.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أَيِ مَا عَلَّمْنَا مُحَمَّدًا ﷺ قَوْلَ الشِّعْرِ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَيِ مَا يَتَسَهَّلُ لَهُ ذَلِكَ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

أَيِ الَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَزَعَمَ الْكُفَّارُ أَنَّهُ شِعْرٌ مَا هُوَ بِشِعْرٍ.

وَلَيْسَ يوجب هذا أن يكون النبي لم يتمثل ببيت شعر قط . إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند الله، لأنه مُبَايِنٌ لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية مُعْجِزَةٌ تدل على أن نبوة النبي ﷺ وآياته ثابتة أبداً.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

يجوز أن يكون المضممر في قوله «لِيُنْذِرَ» النبي عليه السلام . وجائز أن يكون القرآن

ومعنى: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

أي من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في أنه لم يتدبر فَيَعْلَمَ أن النبي ﷺ وما جاء به حق .

﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ويجوزُ وَيَحِقُّ الْقَوْلُ، أي يوجب الحجة عليهم . ويجوزُ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا - بالتاء - خطاب للنبي ﷺ . ويجوزُ لِيُنْذِرَ أَي لِيَعْلَمَ، يقال نَذَرْتُ بكذا وكذا، أَنْذَرْتُ مثل عَلِمْتُ أَعْلَمُ .

وقوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

معنى «مالكون»، ضابطون، لأن الْقَصْدَ ههنا إلى أنها ذليلة لَهُمْ ألا ترى إلى قوله ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ ومثله مِنَ الشَّعْرِ^(١):

(١) من شعر الربيع بن ضبع الفزاري - من المعمرين يقال إنه نيف على المائتين، يصف ضعفه عن الحرب وعجزه عن احتمال الرياح والبرد، وبعده:

والدائب اخشاه ان مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
والبيت في الخزانة ٣/٣٠٨، وكتاب سيبويه ١/٤٦ (١/٨٩) ت هرون.

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نَفرا
أي لا أضبط رأس البعير.

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.

معناه مَا يَرْكَبُونَ، والدليل قراءة من قرأ «فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ» ويجوز
رُكُوبُهُمْ - بضم الراء ولا أعلم أحداً قرأ بها، على معنى فمِنْهَا رُكُوبُهُمْ
وَأَكْلُهُمْ وَشُرْبُهُمْ.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾.

أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم.

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية (١).

جاء في التفسير أن أَبِي بن خَلَفٍ جاء إلى النبي ﷺ بعظمٍ بَالٍ
ففركه ثم ذَرَّاهُ، وقال مَنْ يحيي هذا، فكان جوابه:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فابتداء القُدْرَةِ فيه أَبَيْنُ منها في الاعداء، ويقال إن عبد الله بن
أبي كان صاحب القِصَّة؛ ويقال العاص بن وائل. وأَعْلَمُهُمْ أن خلق
السموات والأرض أبلغ في القدرة، وعلى احياء الموتى فقال:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية.

وقال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ﴾ (٢).

(١) بقيتها: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

(٢) سورة غافر الآية ٥٧.

وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

معناه تنزيه الله من السوء ومن أن يوصف بغير القدرة، الذي بيده ملكوت كل شيء أى القدرة على كل شيء.

﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وَتُرْجَعُونَ أي هو يبعثكم بعد موتكم.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل : ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ .

أكثر القراءة تبين التاء، وقد قرئت على إدغام التاء في الصاد، وكذلك ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ .

فإن شئت أدغمت التاء في الزاي، وإن شئت بيّنت، وكذلك ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ .

﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ .

أقسم بهذه الأشياء - عز وجل - أنه واحد . وقيل معناه ورب هذه الأشياء إنه واحد .

وتفسير الصافات أنها الملائكة، أي هم مطيعون في السماء يسبحون الله - عز وجل - فالزاجرات، روي أن الملائكة تزجر السحاب، وقيل : ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ : كل ما زجر عن معصية الله .

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ .

قيل الملائكة، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم أيضاً ممن يتلون ذكر الله .

﴿وَرُبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [وَالْمَغَارِبِ]

قيل المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، ومثلها مِنَ الْمَغَارِبِ .

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ .

على إضافة الزينة إلى الكواكب، وعلى هذا أكثرُ القراءة، وقد قرئت بالتشوين وَخَفُضِ الكواكب، والمعنى أن الكواكب بدل من الزينة .

المعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، ويجوز بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وهي أقل ما في القراءة، على معنى بأن زينا الْكَوَاكِبِ . ويجوز أن يكون الكواكب في النَّصْبِ بَدَلًا من قوله بزينة، لأن «بِزِينَةٍ» في موضع نصب، ويجوز بزينة الْكَوَاكِبِ، ولا أَعْلَمُ أَحَدًا قرأ بها، فلا تقرأ بها إلا أن ثبتت بها رواية، لأن القراءة سَنَّةٌ . ورفع الكواكب على معنى أنا زينا السماء الدنيا بأن زِينَتِهَا الكواكب، وبأن زُيِّنَتْ الْكَوَاكِبُ .

وقوله: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ .

على معنى وحفظناها من كل شيطانٍ مَارِدٍ، على معنى وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . يُقَدِّفُونَ بها إذا استرقوا السَّمْعَ .

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ .

ويقرأ بالتشديد على معنى يتسمعون .

﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ .

أي يُدَحِّرُونَ أي يُبَاعِدُونَ .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ .

قيل دائم وقيل موجه .

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ - بفتح الطاء وكسرها، يقال خَطِفْتُ أَخْطِفُ،
وخطَفْتُ أَخْطِفُ، إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز ألا من خَطِفَ
بتشديد الطاء وفتح الخاء. ويجوز خِطَفَ. بكسر الخاء وفتح الطاء،
والمعنى اختطف، فأدغمت التاء في الطاء وسقطت الألف لحركة
الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في اختطف،
ومن كسر فلسكونها وسكون الطاء. فأما مَنْ روى خِطَفَ الخطفة
- بكسر الخاء والطاء - فلا وجه له إلا وجهاً ضعيفاً جداً يكون على اتباع
الطاء كسر الخاء.

﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ [ثاقب]﴾.

يقال تَبِعْتُهُ وَأَتَّبَعْتُهُ، وَأَتَّبَعْتُهُ، إذا مَضَيْتُ في أثره، «وشهاب ثاقب»
كوكب مُضِيءٌ.

﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ﴾.

أي سَلَّهم سؤال تَقْرِيرٍ.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من
السموات والأرضين.

﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

ولازم ومعناها واحد، أي لازق.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

وتقرأ عَجِبْتُ - بضم التاء - ومعناه في الفتح بل عَجِبْتُ يَا مُحَمَّدُ
مِنْ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْكَ وَيَسْخَرُونَ، ويجوز أن يكون معناه بل عَجِبْتَ

من انكارهم البعث. ومن قرأ عَجِبْتُ فهو إخبار عن الله. وقد أنكر قوم هذه القراءة، وقالوا: الله - عز وجل - لا يعجب. وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرة والعجب من الله - عز وجل - خلافه من الآدميين كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾^(١)، و﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وهو خادعهم^(٣). والمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين، وأصل العجب في اللغة أن الانسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجب من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبْتُ والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الانكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

أي إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

فجعلوا ما يدل على التوحيد ممَّا يَعْجِزُونَ عنه سحراً، نحو انشقاق القمر وما أشبهه.

وقوله: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَافاً أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

ويجوز إنا، فمن قرأ إنا اجتزأ بألف الاستفهام، والمعنى في الوجهين أَنُبَعْتُ إذا كنا تراباً وعظاماً، وتفسيره لمبعوثون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة . . ٧٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

المعنى قل نعم تُبْعَثُونَ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ، ثم فسر أن بعثهم يقع
بزجرة واحدة بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

أي يحيون ويبعثون بُصْرَاءَ ينظرون .

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

و«الويل» كلمة يقولها القائل وقت الهلكة .

ومعنى ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

يوم الجزاء، أي يَوْمٌ تُجَازَى فيه بأعمالنا، فلما قالوا هذا يوم
الدين قيل لهم نعم: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويجازى كلُّ
بِعَمَلِهِ، وبما يتفضل الله به على المسلم .

﴿اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

معناه ونظراءهم وضرباءهم، تقول عندي من هذا أزواج، أي
أمثال، وكذلك زوجان من الخفاف، أي كل واحد نظير صاحبه،
وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل، وقد تناسبا بعقد النكاح،
وكذلك قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ﴾^(١).

﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

يقال: هديت الرجل إذا دللته، وهديت العروس الى زوجها.
وأهديت الهدية، وكذلك تقول في العروس: أهديتها إذا جعلتها
كالهدية .

(١) سورة ص الآية ٥٨ .

وقوله: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُوْلُونَ﴾: أي احبسوهم.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾

قوله: ﴿لا تناصرون﴾ في موضع نصب على الحال، المعنى ما لكم غير متناصرين.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

أي يسائل بعضهم بعضاً.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾.

هذا قول الكفار للذين أضلوهم^(١). كنتم تخذعوننا بأقوى الأسباب، أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا^(٢) أن الدين والحق ما يضلوننا به^(٣).

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

أي إنما الكفر من قبلكم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾.

حقت علينا كلمة العذاب.

﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾.

أي ان الجماعة، المضلل والضال في النار.

﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

(١) في الاصل: قول الكفار الذين أضلوهم. وهو خطأ.

(٢) تظهرون لنا.

(٣) تبدو أن الدين والحق الذي يدعوننا إليه الأنبياء إنما هو شيء يضلوننا به.

أَيُّ أَضْلَلْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ضَالِّينَ .

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ : المجرمون المشركون خاصة .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

يعني عن توحيد الله عز وجل ، وألَّا يَجْعَلُوا الْأَصْنَامَ آلِهَةً .

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ :

الكأس الاناء إذا كانت فيه خمرٌ فهو كأس ، ويقَعُ الكاسُ لكلِّ إناءٍ مع

شَرَابِهِ .

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ .

أي من خمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض مِنَ الْعُيُونِ .

﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ﴾ .

أي ذَاتَ لَذَّةٍ .

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ .

لَا تَغْتَالُ عُقُولُهُمْ ، لَا تَذْهَبُ بِهَا ، وَلَا يُصِيبُهُمْ مِنْهَا وَجَعٌ .

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ .

﴿يُنْزِفُونَ﴾ - بفتح الزاي وكسرهما . فمن قرأ «يُنْزِفُونَ» فالمعنى لَا تَذْهَبُ

عقولهم بشربها ، يقال للسكران نزيف ومنزوف ، ومن قرأ يُنْزِفُونَ ، فمعناه لَا

يُنْفِدُونَ شَرَابَهُمْ ، أي هو دائم أبداً لهم . ويجوز أن يكون يُنْزِفُونَ يَسْكُرُونَ ،

قال الشاعر^(١) :

(١) البيت للابيرد وهو في اللسان (نزف) وقبله :

شربتم ومذّرتم وكان أبوكم كذلك إذا ما يشرب الكاس مذكراً

لعمري لئن أنزفتم أو صحتم لبش الندامى كنتم آل أبجراً
﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.

أي عندهم حورٌ قد قصرن طرفهن أي عيونهن على أزواجهن. «عين» كبار
الأعين حسانها. الواحدة عينا.
﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

أي كأن ألوانهن ألوان بيض النعام، «مكنون»، الذي يكنه رأس النعام،
ويجوز أن يكون مكنون مضمون، يقال كنت الشيء إذا سترته، وضئته، فهو
مكنون، وأكنته إذا أضمرته في نفسك.
﴿أَتُنكَ لِمَنِ الْمُسَدِّقِينَ﴾.

مخففة من صدق فهو مُصدِّق، ولا يجوز ههنا تشديد الصاد، لأن
المُصدِّقين الذين يعطون الصدقة، والمُصدِّقين الذين لا يُكذِّبون، فالمعنى كان
لي قرين يقول أئتكَ ممن يُصدِّق بالبعث بعد أن تصير ثراباً وعظاماً، فأحب
قرينه المسلم أن يراه بعد أن قيل له: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾.

أي هل تحبون أن تطلِّعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار.

﴿فَاطْلَعْ [فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ]﴾.

فاطلع المسلم فرأى قرينه الذي كان يكذب بالبعث في سواء الجحيم،
أي في وسط الجحيم، وسواء كل شيء وسطه، ويقرأ: هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ -
بفتح النون وكسرهما وتخفيف الطاء - فمن فتح النون مع التخفيف فقال
«مُطَّلِعُونَ» فهو بمعنى طالعون ومُطَّلِعُونَ، يقال طلعت عليهم واطلعت واطلعتُ
بمعنى ومن قرأ مُطَّلِعُونَ - بكسر النون قرأ «فَاطْلَعْ» ومن قرأ بفتح النون
«مُطَّلِعُونَ» وجب أن يقرأ فَاُطْلَع. ويجوز «فَاطْلَعْ» على معنى هل أنتم مُطَّلِعُونَ

أَحَدًا، فأما الكسر للنون فهو شاذٌ^(١) عند البصريين والكوفيين جميعاً وله عند الجماعة وجه ضعيف وقد جاء مثله في الشعر:

هم القائلون الخير والأمرونه إذا ما خَشَوْا مِنْ مُحَدِّثِ الْأَمْرِ مَعْظَمًا^(٢)
وأنشدوا:

وما أدري وظني كل ظَنِّي أُمُسْلِمُنِي إِلَى قَوْمِي شَرَّاحٍ^(٣)
والذي أَنَشَدَنِيهِ محمد بن يزيد: أَيْسَلِمُنِي إِلَى قَوْمِي، وإنما الكلام
أُمُسْلِمِي وَأَيْسَلِمُنِي، وكذلك هم القائلون الخير والأمروه، وكل اسماء الفاعلين
إذا ذكرت بعدها المضمَر لم تذكر النون ولا التنوين، تقول: زَيْدٌ ضَارِبِي وهما
ضارباك ولا يجوز وهو ضارِبِي، ولا هم ضاربونك. ولا يجوز هم ضاربونك
عندهم إلا في الشعر إلا أَنَّهُ قد قُرِئَ بالكسر: هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ عَلَى معنى
مطلعوني، فحذفت الياء كما تحذف في رؤوس الآي، وبقيت الكسرة دليلاً
عليها. وهو في النحو - أعني كسر النون - على مَا أَخْبَرْتُكَ، والقراءة قليلة
بها، وأجودُ القراءة وأكثرها مُطَّلِعُونَ - بتشديد الطاء وفتح النون - ثم الذي يليه
مُطَّلِعُونَ بتخفيف الطاء وفتح النون.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينِ﴾.

-
- (١) شذوذه بسبب الاتيان بنون الوقاية في آخر الاسم، والقياس مطلعي .
(٢) يقال إنه من الأبيات التي صنعها النحويون، ورآه سيوريه محمولاً على الضرورة - وهو في
شواهد الكشف ١٢٣، والكامل ٢١٤/١ (تجارية) والخزانة ٢٠١/٤ سلفية وابن يعيش ١٢٥/٢،
واللسان (حين) ومعاً في الفراء ٣٨٦/٢. والشاهد فيه «والأمرونه» وقياسه والأمروه .
(٣) البيت في العيني ٣٨٥/١ بدون نسبة وفي معاني الفراء ٣٨٦/٢ وفي شواهد المغني ٢٦١ أنه
ليزيد بن مخرم الحارثي وذكر كما في العيني أن هذه رواية الفراء وهي خطأ - والصواب
فما أدري وظني كل ظن أيسلمني بنو البدو اللقاح
واللقاح يفتح اللام - الذين لا يدبون للملوك ولم يصبهم سبي في الجاهلية، وبنو خمر بطن من
كندة، أما شراح فهو ترخيم شراحيل.

تَاللَّهِ مَعْنَاهُ وَاللَّهُ ، والتاء بدل من الواو، لَتُرِيدِينَ أي لتهلكني ، يقال رَدَى
الرَّجُلُ يَرْدَى رَدًى إِذَا هَلَكَ ، وَأَرْدَيْتُهُ أَهْلَكْتُهُ .

﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ .

أي أَحْضَرَ الْعَذَابَ كَمَا أُحْضِرَتْ .

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ .

المعنى أنعم الجنة وطعامها خير نزلاً أم شجرة الزُّقُوم خير نزلاً ، والنُّزُلُ
ههنا الرِّيعُ وَالْفَضْلُ ، تقول : هذا طعام له نُزْلٌ وَنُزْلٌ بِنَسْكِينِ الزَّايِ وَضَمِّهَا
وَنَزَلَ ، ويكون ذلك خير نزلاً ؛ أي أذلك خير في باب الإنزال التي تُتَقَوُّتُ
ويمكن معها الإقامة أَمْ نُزْلٌ أَهْلُ النَّارِ . وإنما قيلَ لَهُمْ فيما يقام للناس من
الأنزال أقمت لهم نُزْلَهُمْ أي غذاءهم ، وما يصلح معه أن ينزلوا عليه .

ومعنى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ .

عبرة للظالمين ، أي خبرة افتتنوا بها ، وكذبوا بها فصارت فتنة لهم ،
وذلك أنهم لما سمعوا أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم قالوا : الشجر
يحترق بالنار ، فكيف ينبت الشجر في النار فافتنوا وكذبوا بذلك .

﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ .

فيه ثلاثة أقوال : قيل الشياطين حيات لها رءوس فشبه طلعها برءوس
تلك الحيات ، وقيل رءوس الشياطين نبت معروف ، وقيل وهو القول المعروف
ان الشيء إذا استقبح شُبهَ بالشيطان ، فقيل : كأنه وجه شيطان ، وكأنه رأس
شيطان ، والشيطان لا يرى ، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء ، لورؤي
لرؤي في أقبح صورة ، قال امرؤ القيس (١) :

(١) من لاميته - ألا أنعم صباحاً أيها الظلل البالي . وهو من شواهد البلاغة - جاء في دلائل الاعجاز =

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ
وَلَمْ تُرَ الْغَوْلُ قَطْ وَلَا أَنْيَابُهَا وَلَكِنْ التَّمْثِيلُ بِمَا يَسْتَقْبَحُ أَبْلَغُ فِي بَابِ
الْمَذْكَرِ، يَمَثُلُ بِالشَّيْطَانِ وَفِي بَابِ مَا يَسْتَقْبَحُ مِنَ الْمُؤَنَّثِ يَشْبَهُ بِالْغَوْلِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾.

أَي لَخْلُطًا وَمِزَاجًا، وَيُقْرَأُ لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ، الشُّوبُ الْمَصْدَرُ، وَالشُّوبُ
الاسْمُ، وَالْخَلْطُ: الْمَخْلُوطُ.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.

أَي هُمْ يَتَّبِعُونَ آثَارَهُمْ اتِّبَاعًا فِي سُرْعَةٍ، وَيَقَالُ ﴿يَهْرَعُونَ﴾ كَأَنَّهُمْ يَزْعَجُونَ
مِنَ الْإِسْرَاعِ إِلَى اتِّبَاعِ آبَائِهِمْ، يَقَالُ هُرْعَ وَأَهْرَعَ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا اسْتَحِثَّ
وَأَسْرَعَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

الْمُخْلَصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَيُقْرَأُ الْمُخْلَصِينَ
أَي الْمَوْحِدِينَ.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.

أَي دَعَانَا بِأَنْ نَنْقُذَهُ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْمَعْنَى فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ نَحْنُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

يَعْنِي كَرْبَ الْغَرَقِ الَّذِي هُوَ عَذَابٌ.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

= وذكر السيوطي في شواهد المغني جزءاً كبيراً من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١١٧.

لما جاء الطوفان لم يبق إلا نُوحٌ وَذُرِّيَّتُهُ، والخلق الباقون من ذُرِّيَّةِ نوح.
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾.

أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ أن يصلّى عليه إلى يوم القيامة.
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾.

أي من شيعة نوح، من أهلِ مِلَّتِهِ يعني نوحاً.
﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

جاء في التفسير سليم من الشرك، وهو سليم من الشرك ومن كل
دَنَسٍ.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال إبراهيم لقومه - وهم يعْبُدُونَ الأصْنَامَ: أي شيءٍ ظنكم بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ وأنتم تعبدون غيره. وموضع «ما» رفع بالابتداء، والخبرُ ظَنُّكُمْ.
﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

قال لقومه وقد رأى نجماً إني سَقِيمٌ، فأوهمهم أن الطَّاعُونَ بِهِ، ﴿فَتَوَلَّوْا
عَنهُ مُدْبِرِينَ﴾.

فراراً من أن يُعْدَى إليهم الطَّاعُونَ، وإنما قال إني سَقِيمٌ، لأن كل
واحد وإن كان مُعَافًى فلا بد من أن يَسْقَمَ ويموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ
مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١). أي أنك ستموت فيما يستقبل، وكذلك قوله: إني

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

سَقِيمٌ، أي سَأْسَقَمُ لا محالة. وقد روي في الحديث: لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاثة، وَقَدْ فَسَّرْنَا ذَلِكَ، وإن هذه الثلاث وقعت فيها معارضة في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. على معنى: إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَقَدْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ وقوله: ﴿سَارَةُ أُخْتِي﴾، أي أختي في الاسلام، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على ما فسرنا.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.

معنى راغ عليهم مال عليهم، وضرباً مصدر، المعنى فمال على الأصنام يضربُهُمْ ضرباً بِالْيَمِينِ، يحتمل وجهين يمينه، وبالقوة والمكانة، وقال: عَلَيْهِمْ وهي الأصنام لأنهم جعلوها معبودةً بمنزلة ما يميز كما قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾: يعني قوم إبراهيم.

﴿يَزِفُونَ﴾: يُسْرِغُونَ إِلَيْهِ. ويقرأ على ثلاثة أوجه. يَزِفُونَ - بفتح الياء وَيَزِفُونَ - بِضَمِّهَا، وَيَزِفُونَ - بتخفيف الفاء. وَأَعْرَبُهَا^(٢) كُلُّهَا يَزِفُونَ بفتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زفيف النعام، وهو ابتداء عَدْوِهَا، يقال زَفَّ النعام يَزِفُ. وَيُقْرَأُ يَزِفُونَ أي يصيرون إلى الزَّفِيفِ، ومثله قول الشاعر^(٣):

تمنى حصين أن يسودَ جِذَاعَهُ فأضحى حصين قد أَدَلَّ وَأَقْهَرَا

معنى أَقْهَرَ صار إلى الْقَهَرِ، وكذلك يَزِفُونَ. فَأَمَّا يَزِفُونَ - بالتخفيف فهو من وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ، ولم يَعْرِفْهُ الْفَرَاءُ، ولا الْكِسَائِيُّ، وعَرَفَهُ غَيْرُهُمَا.

وقوله: ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾.

(١) سورة يس الآية ٤٠.

(٢) ادخلها في العروبة والاعراب.

(٣) للمخبل السعدي يهجو الزيرقان بن بدر - وهو حصين - وقومه يعرفون بالجذاع.

كل نار بعضها فوق بعضٍ ، وهي جَحْمٌ .

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

يقول : هب لي ولداً صالحاً من الصَّالِحِينَ .

﴿فبشرناه بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ .

وهذه الإشارة تدل على أنه غلام وأنه يبقى حتى يُوصَفَ بالحلم .

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ .

أي أدرك معه العَمَل ، يقال إنه قد بلغ في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة .

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ .

[تقرأ] غَيْرَ مماله ، وَتَرَى - مُمَالَةً ، - وَتُرِي - بلا إمالة ، - وَتُرِي - بالامالة - وماذا تُرَى ، ففيها خمسة أوجه ، ترى - بالفتح وبالكسر . وكذلك في تُرِي وَتُرَى ، . وفيها خمسة أوجه آخر لم يقرأ بشيء منها ، فَلَا تقرأن بها ، وهو ان تأتي الخمسة التي ذكرناها مماله وغير مماله بغير همز فتهمزها كلها ، فما كان مُمَالاً هَمَزَ وأمال ، وما لم يكن مما لا أمال ولم يهمز . ويجوز ماذا تَرَأَى ممال ، وماذا تُرِي ، وماذا تَرَأَى ، وماذا تَرَى وَمَاذَا تَرَى .

فمعنى ماذا تَرَأَى وَتُرِي من الرأي ، ومعنى ماذا تُرَى مَاذَا تُشِيرُ ، وَزَعَم الفراء أن معناه مَاذَا تُرِينِي من صَبْرِكَ ، ولا أعلم أحداً قَالَ هَذَا . وفي كل التفسير ما تُرِي ما تشير .

﴿قال : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ .

ورؤية الانبياء في المنام وحي بمنزلة الوحي اليهم في اليقظة ، وقد فَسَّرْنَا يَا أَبَتَهُ ، وإِعْرَابُهُ فيما سَلَفَ من الكتاب .

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

يَقُولُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ .

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ .

أَسْلَمَا اسْتَسْلَمَا لأَمْرِ اللَّهِ . رضي إبراهيم بأن يذبح ابنه ، ورضي ابنه بأن يذبح تصديقاً للرؤيا وطاعة لله .

واختلف الناس في الذي أمر بذبحه مَنْ كَانَ ، فقال قوم إسحاق . وقال قوم اسماعيل . فأما من قال إنه إسحاق ، فعليّ رحمة الله عليه وابنُ مَسْعُودٍ وكعبُ الأحبار ، وجماعة من التابعين . وأما من قال إنه إسماعيل فابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين .

وحجة من قال إنه إسماعيل قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، وَحُجَّة من قال إنه إسحاق ، قال : كانت في إسحاق بشارتان الأولى فبشرناه بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . فلما استسلم للذبح واستسلم إبراهيم لذبحه بَشَّرَ به نبيّاً من الصالحين .

والقول فيهما كثير والله أعلم أيهما كان الذبيح .

فأما جواب ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي صَرَعهُ ، فقد اختلف الناس فيه فقال قوم جوابه وناديناه ، والواو زائدة ، وقال قوم إن الجواب محذوف بان في الكلام دليلاً عليه . المعنى فلما فعل ذلك سَعِدَ وأتاه الله نبوة وَلَدِهِ وأَجَزَلْ لَهُ الثواب في الآخرة .

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

الذبح بكسر الدال الشيء الذي يُذَبِّحُ ، والذَّبْحُ المصدر ، تقول : ذبحتُه أَذْبَحُهُ ذَبْحاً . وقيل إنه الكَبْشُ الذي تُقَبِّلُ من ابن آدم حين قُرْبِهِ ، وقيل إنه رَعَا

في الجنة أربعين سنة، وقيل إنه كان وعلاً من الأوعال . والأوعال التيوس الجبلية .

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ .

قيل من الغرق كما فعل بفرعون وقومه .

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

جاء في التفسير أنه إدريس، ورويت عن ابن مسعود أنه قرأ: وإن إدريس، ورويت سلام على إدرايين .

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ .

قيل إن بعلاً كانوا يعبدونه، صنماً من ذهب، وقيل إن بعلاً [تعني] رباً .

وقرئت ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: على صفة أحسن الخالقين الله . وقرئت: «اللَّهُ رَبُّكُمْ» على الابتداء والخبر .

﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ .

وقرئت إلیاس . فمن قرأ بالوصل فموضع ﴿الياسين﴾ جمع، هو وأمتة المؤمنون، وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء، تقول: رأيت المسامعة والمهالبة، تريد بني المهلب وبني مسمع، وكذلك: رأيت المهلبين والمسمعين . وفيها وجه آخر تكون فيه لغتان الياس والياسين كما قال ميكال وميكائيل .

وقوله: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾: يعني في الباقين .

وقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ .

«أَبَقَ» هَرَبَ إلى الفلك المشحون، والمشحون المملوء .

فَسَاهَمَ قَارِعٌ، وَالْمُدْحَضِينَ الْمَغْلُوبِينَ.

لما صَارَ يونس في السَّفِينَةِ فلم تَسِرْ فِقَارَعُهُ أَهْلَ السَّفِينَةِ، ووقعت عليه
القرعة فخرج منها وألقى نَفْسَهُ في البحر.
﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾.

وهو السمكة، ولما خرج من السفينة سَارَتْ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

قد أتى بما يلام عليه، يقال: قد أَلَامَ الرجلُ فهو مُلِيمٌ، إذا أتى ما يجب
أن يلام عليه.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: مِنَ الْمُصَلِّينَ.

﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه لبث أربعين يوماً، وقال الحسن لم يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا
وأخرج من بطنه بُعِيدَ الوقت الذي التَقَمَ فيه.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾.

يعني بالمكان الخالي، والعراء عَلَى وَجْهَيْنِ، مَقْصُورٌ وَمَمْدُودٌ،
فالمقصود الناحية، والعراء ممدود المكان الخالي، قال أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ: إنما
قيل له العراء لأنه لا شجر فيه، ولا شيء يُغَطِّيهِ، وقيل ان العراء وجه الأرض،
ومعناه وجه الأرض الخالي، وأنشدوا:

رَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي^(١)

(١) في اللسان (عرا) ورفعت رجلاً - وهو في الكامل ١٦٢/١ (تجارية) والقرطبي ٨٩/١٩ - ومجاز
أبي عبيدة ج ٢ ص ١٧٥ - لبعض الهذليين.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾.

كل شجرة لا تنبت على ساقٍ، وإنما تمتد على وجه الأرض - نحو
الْقَرْعِ والبَطِيخِ و الحنظل - فهو يقطين. وأحسب اشتقاقها من قَطَنَ بالسكان
إذا أقام به، فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فلذلك قيل يقطين.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

قال غير واحد معناه بل يزيدون، قال ذلك الفراء وأبو عبيدة وقال غيرهما
معناه أَوْ يَزِيدُونَ فِي تَقْدِيرِكُمْ أَنْتُمْ إِذَا رَأَاهُم الرَّائِي قَالَ هَؤُلَاءِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ
يزيدون على المائة وهذا على أصل «أو».

وقال قوم: معناها معنى الواو. و«أو» لا تكون بمعنى الواو، لأن الواو
معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيتين قبل الآخر، و«أو» معناها
إفراد أحد شيتين أو أشياء.

وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سلهم مسألة توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله
تعالى الله عَنْ ذَلِكَ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا﴾.

معناه بل أَخْلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا... ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ يَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
الْبَنِينَ﴾.

هذه الألف مفتوحة^(١)، هذا الاختيار، لأن المعنى سَلُّهُمْ هَلْ أَصْطَفَى
الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، فالألف ألف استفهام. ويجوز اصطفى على أن يكون

(١) الألف في اصطفى.

حكاية عن قولهم لَيَقُولُونَ اصْطَفَى . وفتح الألف وقطعها أجود على أصطَفَى ،
ثم تحذف ألف الوصل .

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ .

الجنة ههنا الملائكة .

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ .

أي ولقد علمت الجنة وهم الملائكة أن الذين قالوا: ولد الله...
لمُحْضَرُونَ العذاب .

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ .

تنزيه الله من سوء عن وصفهم .

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ .

أي ما أنتم بمضلين عليه إلا من أضلَّ الله .

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ .

أي لستم تضلون إلا أهل النار، وقرأ الحسن إلا من هو صَالِ الْجَحِيمِ
بضم اللام، والقراءة بكسر اللام، على معنى ضالي، والوقف عليها ينبغي أن
يكون بالياء، ولكنها محذوفة في المصحف، ولقراءة الحسن وجهان، أحدهما
أن يكون أراد صالون الجحيم فحذفت التثنية للإضافة وحذفت الواو لسكونها
وسكون اللام من الجحيم، ويذهب بمن مذهب الجنس، أي بالجنس الذين
هم صالوا الجحيم، ويجوز أن يكون صَالُ في معنى صائل، مفعول من
صَالَى، مثل جرف هار أي هائر، والقراءة التي هي الاجماع كسر اللام .

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ .

هذا قول الملائكة، وههنا مضمّر، المعنى مَا مِنَّا مَلَكٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰٓفُّوْنَ﴾: أَي نَحْنُ الْمَصْلُوْنَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُوْنَ﴾.

الْمُمَجِّدُونَ لِلَّهِ، الَّذِينَ يَنْزَهُوْنَ عَنْ الشُّوْءِ.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ لَسَوْاْ أُنْ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين لأخلصنا العباد لله عزَّ وجلَّ، فلما جاءهم كفروا به.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ﴾.

أي سوف يعلمون مَعْبَةً كفرهم، وما ينزل بهم من العذاب والانتقام منهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا [الْمُرْسَلِينَ]﴾.

أي تقدم الوعد لهم بأن الله ينصرهم بالحجة وبالظفر بِعَدُوِّهِمْ فِي الدُّنْيَا، والانتقام من عدوهم في الآخرة.

﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

حزب الله لَهُمُ الْغَلْبَةُ.

﴿فَقَتْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾.

حتى تنقضي المدة التي أمهلوا إليها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ .

نزل بهم العذاب، وكان عذاب هؤلاء في الدنيا القتل .

وقوله: ﴿فساء صباح [المُنذَرِينَ]﴾: أي فبش صباح .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ .

فيه ثلاثة أوجه، فمن نصب فعلى مدح الله عز وجل، ومن قرأ بالرفع فعلى المدح أيضاً على معنى هُوَ رَبُّ الْعِزَّةِ، ومن خفض فعلى قوله رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ، وفي النصب أيضاً أعني رَبِّ الْعِزَّةِ، واذكر ربَّ الْعِزَّةِ .

سُورَةُ ضُ مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿[ض]﴾.

قرئت بالفتح وبالكسر، ويتسكين الدال، وهي أكثر القراءة، فمن أسكن «صاد» من حروف الهجاء، وتقدير الدال الوقف عليها. وقد فسرنا هذا في قوله «ألم» أعني باب حروف الهجاء، ومعناه الصادق الله، وقيل إنها قسم.

وقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

عطف عليها، المعنى أقسم بصاد وبالقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، ومن فتحها فعلى ضَرَبَيْنِ، يكون فتحاً لالتقاء الساكنين، ويكون على معنى اتل صاد، ويكون صاد اسماً للسورة لا ينصرف. ومن كسر فعلى ضربين، لالتقاء الساكنين، وبكسرها على معنى صاد القرآن بَعْمَلِكَ، من قولك صَادَى يُصَادِي إِذَا قَابَلَ وَعَادَلَ، يُقَالُ صَادِيته إِذَا قَابَلْتَهُ، وجواب قوله: صَادِ الْقُرْآنَ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(١) وقال قوم: الجواب: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، ومعناه لكم أهلكنا قبلهم مِنْ قَرْنٍ فلما طال الكلام بَيْنَهُمَا حذفت اللام.

ومعنى ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

أي ذِي الذِّكْرِ والشرف، وقيل ذِي الذِّكْرِ: قد ذكرت فيه أَقَاصِيصُ الأولين والآخرين وما يُحتاج إليه في الحلال والحرام. ﴿فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ مِنَّا بِهَدْيٍ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَالِفِينَ﴾.

(١) تأتي في أواخر السورة آية ٦٤.

جاء في التفسير ولات حين نداء، وقال أهل اللُّغَةِ وَلَاتَ حِينَ مَنَجِي وَلَا
فَوْتَ، يقال نَاصَهُ يَنُوصُهُ إِذَا فَاتَهُ. وفي التفسير لات حين نداء معناه لات حِينَ
نِداءٍ يُنَجِّي. ويجوز لات حِينَ مَنَاصٍ. والرفع جَيِّدٌ، والوقف عليها «لَات»
بالتاء، والكسائي يقف بالهاء «لَاه» لأنه يجعلها هاء التأنيث. وحقيقة الوقف
عليها بالتاء، وهذه التاء نظيرةُ التاء في الفعل في قولك ذَهَبَتْ وَجَلَسَتْ،
وفي قولك: رأيتُ زيدا ثم عمراً، فَتَاءُ الحروف بمنزلة تاء الأفعال، لأن التاء
في الموضعين دخلت على ما لا يعرب، ولا هو في طريق الأسماء فإن قال
قائلٌ: نجعلها بمنزلة قولهم: كان من الأمر ذِيه وذِيه، فهذه هاء في الوقف
وهذه هاء دخلت على اسم لا يعرب، وقد أجازوا الحَفْضَ فقالوا: لَاتَ أَوَانٍ،
وأنشدوا لأبي زُبَيْدٍ:

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا ان ليس حين بقاء^(١)

والذي أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد ورواه:

طلبوا صلحنا ولات أوان

وذكر أنه قد روي الكسر.

فأما النصب فعلى أنها عَمِلْتُ عمل ليس، المعنى وليس الوقت حين
مناصٍ ومن رفع بها جعل حين اسم ليس وأضمر الخبر على معنى لَيْسَ حِينَ
مَنَجِي لَنَا ومن خفض جعلها مبينة مكسورةً لالتقاء السَّاكِنَيْنِ، كما قالوا:
قَدْلَكَ^(٢) فبنوه على الكسر.

(١) لابي زبيد الطائي من قصيدة طويلة، سبها ان رجلاً من شيان نزل على رجل من طيء فقراه
وسقاه، فلما سكر وثب الشيباني على صاحبه فقتله وفر، وافتخرت بها شيان انظر الأغاني ج ٥
والخزانة ١٣٦/٢ الشاهد ٢٨٢.

(٢) يقال قدك وقدلك بمعنى حسبك. وهو بإسكان الدال، والكسر قليل.

- والمعنى ليس حين مناصنا وحين منجاننا، فلما قال: ولا تَأْوَانِ جعله على معنى ليس حين أَوَانِنَا، فلما حُذِفَ المضافُ بُنِيَ على الوقف ثم كُسِرَ لالتقاء الساكنين، والكسر شاذٌ شبيه بالخطأ عند البصريين، ولم يَرَوْ سيبويه والخليل الكسر، والذي عليه العمل النصب والرفع، وقال الأخفش: إِنْ ﴿لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ نصبها بلا كما تقولُ لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ، ودخلت التاء للتأنيث.

وقوله جل وعز: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ - إلى قوله ﴿لَشَيْءٍ عَجَابٍ﴾^(١).

في معنى عجيب، ويجوزُ عَجَابٌ في معنى عجيب يقال: رجل كريم وكُرَامٌ^(٢) وكُرَامٌ.

وهذه حكاية عن ملاءٍ من قُرَيْشٍ لما مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ المَرَضَةَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَعُودُونَهُ فَشَكُّوا إِلَيْهِ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالُوا يَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَيَفْعَلُ، فَعَاتَبَهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلِمَةٍ يَدِينُ لَكُمْ الْعَرَبُ بِهَا، وَتُؤَدِّي بِهَا إِلَيْكُمْ الْعِجْمَ الْجَزِيَّةَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ وَعَشْرًا عَلَى طَرِيقِ الاسْتِهْزَاءِ أَيْ تَقُولُهَا وَعَشْرًا مَعَهَا، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالُوا: أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا. ثُمَّ نَهَضُوا وَانْطَلَقُوا مِنْ مَجْلِسِهِمْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ.

وقوله: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا﴾.

معناه أي امشوا، وتأويله يقولون امشوا. ويجوز: وانطلق الملاء منهم بأن امشوا أي بهذا القول.

وقوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾.

(١) ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

(٢) مثل ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَرَاءً﴾ أي كبيراً.

حكاية عنهم أيضاً، أي ما سمعنا بهذا في النصرانية ولا اليهودية ولا فيما أدركنا عليه آبائنا.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾.

أي إلا تقوُّل.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي كيف أنزل الذكر عليه من بيننا، أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.

أي ليس يقولون ما يعتقدونه إلا شاكِّين.

وقوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾.

إن قال قائل: ما وجه اتصال ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾، أو بقوله ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾. فهذا دليل على حسدِهِم النَّبِيَّ ﷺ بما آتاه الله من فَضْلِ النُّبُوَّةِ. فأعلم الله أن الملك له والرِّسَالَةُ إِلَيْهِ، يصطفي من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزل الغيث والرحمة على من يشاء فقال: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾. أي ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي ليس من ذلك شيء.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾.

أي إن ادَّعَوْا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، وجائز أن يكون فليرتقوا في هذه الأسباب التي ذكرت وهي التي لا

يملكها الا الله . ثم وعد الله نبيه عليه السلام النصر عليهم فقال :

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ .

«ما» لغو، المعنى جند هُنَالِكَ مهزوم من الأحزاب .

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ .

جاء في التفسير أن فرعون كانت له حبال وأوتاد يلعبُ له عليها .

﴿مَالِهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ .

وفواق بضم الفاء وفتحها، أي ما لها من رجوع ، والفواق ما بين حَلَبَتِي الناقة، وهو مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه من هذا، أي رجع إلى الصحة . فالفواق هو من هذا أيضاً .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ .

«الِقَطُ» النصيب، وأصله الصحيفة يكتب للانسان فيها شيء يصل إليه قال

الأعشى .

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمرته يعطي القطوط ويأفِقُ^(١)

يَأْفِقُ يُفْضِلُ ، وهذا تفسير قولهم : ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ - وهو كقولهم ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ - الآية^(٢) وقيل إنهم لما سمعوا أن المؤمن يؤتى كتابه بيمينه والكافر يؤتى كتابه بشماله ، فيسعد المؤمن ويهلك الكافر ، قالوا ربنا عجل لنا قِطْنَا . واشتقاق القِط من قططت أي قطعتُ ، وكذلك النصيب إنما هو القطعة من الشيء .

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ .

ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشدَّ الصَّومِ ، وكان يُصَلِّي نصفَ الليل .

(١) البيت في اللسان (قطط) .

(٢) سورة الأنفال / ٣٢ .

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

رجاع إلى الله كثيراً، الأيب الراجع، والأوَّاب الكثير الرجوع.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

«الاشراق» طلوع الشمس وإضاءتها، يُقال شَرِقَتِ الشَّمْسُ إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، وقد قيل شرقت وأشرقت إذا طلعت في معنى واحد، والأول أكثر.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾.

كانت الجبال تُرَجِّعُ التَّسْبِيحَ، وكانت الطير كذلك، فيجوز أن تكون الهاء لله - جل وعز - أي كل لله مسبح، الطير والجبال ودَّادُ يسبحون لله عز وجل، ويرجعون التسبيح. ويجوز - والله أعلم - أن يكون ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ كل يُرَجِّعُ التسبيح مع داود، يجيبه، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه.

﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ﴾.

ويجوز وشدَّدنا، ولا أعلم أحداً قرأ بها. معناه قوينا ملكه فكان من تقوية ملكه أنه كان يَحْرُسُ محرابه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً مِنَ الرِّجَالِ، وقيل أيضاً إِنَّ رَجُلًا استعدى إليه على رجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بَقْرًا، فأنكر المدعى عليه فسأل داود المدعى البينة فلم يقمها، فرأى داود في منامه أَنَّ اللَّهَ يأمره أن يقتل المدعى عليه، فتثبت^(١) داود، وقال هو منام، فأتاه الوحي بعد ذلك أَنَّ يَقْتُلْهُ فأحضره ثم أعلمه أَنَّ اللَّهَ أَمَرُهُ بِقَتْلِهِ، فقال المُدْعَى عليه: إِنَّ اللَّهَ - جل وعز - ما أخذني بهذا الذنب^(٢)، وإني قتلت أبا هذا غيلةً فقتله داود، فذلك مما كان عظم الله هيئته وشدَّدَ ملكه [به].

(١) تثبت تريث وتمهل.

(٢) أي ذنب المماثلة ونكران الدِّين بل بذنب آخر.

﴿وَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾.

قيل في ذلك أن يحكم بالبينة واليمين، وقيل في فصل الخطاب، أن يفصل بين الحق والباطل، وقيل «أما بعد»، وهو أول من قال «أما بعد».

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.

والمحراب أرفع بيت في الدار، وكذلك هو أرفع مكان في المسجد، والمحراب هنا كالغرفة، قال الشاعر^(١):

رَبَّةٌ مَحْرَابٍ إِذَا جَثُّهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أُرْتَقَى سُلْمًا

و «تسوروا» يدلُّ على عُلوِّ. وقال «الخَضْمُ» ولفظه لفظ الواحد، و «تسوروا» لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى، يقال: هذا خَصْمٌ وهي خصم وهما خصم وهم خُصْمٌ. وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول خصمته أَخْصِمُهُ خَصْمًا، المعنى هما ذوا خصم وهم ذوو خصم، وإن قلت خصوم جاز كما تقول هما عدل وهما ذوا عدل، وقال [الله تعالى] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢). فمعنى هما عدل هما ذوا عدل. فما كان من المصادر قد وصفت به الاسماء فتوحيده جائز، وإن وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وإن وصفت به الأنثى، تقول هو رَضِيَ وهما رَضِيَ، وكذلك هذه رَضِيَ.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾.

لأنهم أتوه من غير مَأْتَى الخصوم، وفي غير وقتهم^(٣)، وفي وقت لم يكن

(١) تقدم.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢.

(٣) في غير وقت الخصوم.

داود يأذن فيه أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَانْكَرَ ذَلِكَ وَفَرَّغَ. وَإِنَّمَا يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكَانِ
فَتَصَوَّرَا فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ مُتَخَاصِمَيْنِ.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.

القراءة: الرفع، والرافع لِمَخْصَمَانِ نحن، والمعنى نحن خَصْمَانِ ولو كان
في الكلام لَا تَخَفْ خَصْمَيْنِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ [لجواز]^(١)، على معنى
أَتَيْنَاكَ خَصْمَيْنِ لَأَنَّهُ أَنْكَرَ إِيَّانَهُمْ، وَإِتْيَانُ الْخُصُومِ قَدْ كَانَ يَعْتَادُهُ كَثِيرًا^(٢).

﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ لَا تُشْطِطْ﴾.

أَي لَا تَجُرْ، يُقَالُ أَشْطُ يُشْطُّ إِذَا جَارَ، وَيُقْرَأُ لَا تُشْطِطُ بِمَعْنَى لَا تَبْعُدْ
عَنِ الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ لَا تُشْطِطُ - بِكُسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ التَّاءِ - مَعْنَاهُ كَمَعْنَى الْأَوَّلِ
قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ
﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

إِلَى قِصْدِ الطَّرِيقِ - أَي طَرِيقِ الْحَقِّ.

﴿تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً﴾.

كُنِيَ بِالنَّعْجَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ، قَالَ الْأَعَشَى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنَهُ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَابَتْ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَالَهَا^(٤)
عَنِ بِالشَّاةِ ههنا الْمَرْأَةُ.

(١) زيادة لا بد منها لأن الكلام خال من جواب الشرط.

(٢) كان الخصوم يترددون عليه كثيراً.

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة - انظر الطبري ٨١/٢٣ - اللسان (شطط). ومجاز أبي عبيد ٢٥/٢٨١.

(٤) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب في ديوانه ٢٤ والبيت في أمالي المرتضى: يريد رمي شاته وهو غافل غير مراقب لها. كأنه غازلها وتلطف إليها حتى فتنها.

﴿فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا﴾.

أي اجعلني أبا أكفلها، وانزل أنت عنها.

﴿وَعَزَّيْ فِي الْخِطَابِ﴾.

غلبني في الخصومة، أي كان أقوى على الاحتجاج مني.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ﴾.

المعنى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾.

من الشركاء، تقول فلان خليطي وشريكي في معنى واحد.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

أي قليل هم.

وقوله: ﴿وَزَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ﴾: الآية (١).

ويقرأ بالتخفيف - فتناه - يعني به الملكان.

ومعنى ظن أيقن، إلا أنه ليس بيقين عيان، أمّا العيان فلا يقال فيه إلا

عليه.

﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾.

مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه يستغفر الله من ذنبه، إلا للصلاة

مكتوبة وما لا بد له منه، ولا ترقاً دمعته (٢).

(١) اختبرناه.

(٢) هذا مما لا يعقل ولا يصدق. ورقاً الدمع جف وانقطع سيلانه.

ويروى في التفسير أن قصة داودَ والملكين سَبَّها أن إبليس - غَضِبَ اللهُ عليه - تمثل له في صورة طَيْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فسقط بقربه، فأوى إليه ليأخذه فتَنَحَّى وطلبه حتى إذا قَارَبَ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ تَنَحَّى فَبَصُرَ دَاوُدُ فِي اتِّبَاعِ الطَّيْرِ بِامْرَأَةٍ تَغْتَسِلُ، وَبَصُرَتْ بِهِ فَتَجَلَّلَتْ^(١) بشعرها حتى سترها ويقال إنها امرأة أوريا بن حنان، وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ جُنْدِهِ أَنْ يُقَدِّمَ أُورِيَّا فِي حَرْبٍ كَانَتْ، فَقَدَّمَهُ فَقَتِلَ فَتَزَوَّجَهَا دَاوُدُ^(٢)، وَيُرَوَّى أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ قَالَ: إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَارَفَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ رِبَّةً جَلَدَتْهُ مِائَةٌ وَسِتِّينَ جِلْدَةً، لِأَنَّ مِنْ قَذْفِ غَيْرِ النَّبِيِّ جُلْدَ ثَمَانِينَ جِلْدَةً، وَمَنْ قَذَفَ نَبِيًّا جِلْدَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ جِلْدَةً.

وكان في التفسير أن داود أحب أن يُتَلَفَ أُورِيَّا حتى يتزوج داود بامرأته، وهذا - والله أعلم - إنما كان من داود على جهة محبة أن يتفق له ذلك من غير أن يتعمد أو يسعى في دم الرجل، فجعله الله له ذنباً لما أحبه، ويجوز أن يكون كتب في أن يُقَدِّمَ أمام التابوت هذا الرَّجُلُ لبأسه ونَجْدَتِهِ فِي الْحَرْبِ وَرَجَا كَفَايَتِهِ فَاتَّفَقَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ أَصِيبَ بِهِ حَلَّتْ لَهُ امْرَأَتُهُ فَعَوَّتْ عَلَى مَحَبَةِ امْرَأَةٍ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا، وَلِدَاوُدَ تَسْعَ وَتَسْعُونَ امْرَأَةً، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَمَّا بَالِغٌ فِي التَّوْبَةِ وَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الرِّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَفْوِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَلَفَ نَفْسَهُ تَائِباً وَمُتَّصِلاً إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبِهِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وَقَوْلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَى دَاوُدَ وَرَحِمَهُ - يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾.

(١) اتخذته جلالاً لها، استترت به.

(٢) انظر قصة أوريا الحثي في سفر الملوك في العهد القديم. وفيه أن داود استقدمه من الحرب برسالة وغرضه أن يبيت مع زوجته فيخفي عار حملها منه، ولكن أوريا بات على عتبة داود، وقال لا أترفه ورفاقي يحاربون - فطلب من القائد أن يضعه في الصف الأمامي فقتل، وهذه المرأة هي أم سليمان.

بهذا جاز أن يقال للخلفاء خلفاء الله في الأرض .

﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ .

أي بحكم الله إذ كنت خليفته .

وقوله: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

أي بتركهم العمل لهذا اليوم صاروا بمنزلة الناسين، وإن كانوا يُنذَرُونَ ويُذَكَّرُونَ .

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية (١) .

أعلمهم الله أنه يعذبهم على الظن . وكذلك: ﴿وظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢) . وإنما قيل لهم هذا لأنهم جحدوا البعث . ودليل هذا قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ الآية (٣) .

إذا لم يكن رجعة لم يكن فصل بين الفاجر والبر، وبعد هذا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية (٤) ثم قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ [إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ]﴾ .

المعنى هذا كتاب ليدَّبَرُوا آياته . لِيُفَكِّرُوا فِي آياته، وفي أَذْبَارِ أُمُورِهِمْ، أي عواقبها .

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي ذُو العقول .

﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ .

(١) ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٩ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

(٤) أم نجعل المتقين كالفجار .

المعنى نعم العبدُ سُلَيْمَانُ انه أواب كثير الرجوع .

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَلُ﴾ .

الصافنات الخيل القائمة، وقال أهل اللغة وأهل التفسير، الصَّافِنُ القائم الذي يثني إحدى يديه أو إحدى رجله حتى يقف بها على سَنَبِكِهِ^(١)، وهو طرف الحافر، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمة منها تتصل بالأرض طرف حافرها فقط قال الشاعر^(٢)

ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا
وقال بعضهم الصافن القائم ثني إحدى قوائمه ولم يثنها، والخيل أكثر ما تقف - إذا وقفت - صافنةً، لأنها كأنها تراوح بين قوائمها.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ]﴾ .

«الخير» ههنا الخيلُ، والنبي ﷺ سَمَى زيد الخيل - زيد الخير^(٣)، وإنما سميت الخيل الخير لأن الخير معقود بنواصي الخيل - كذا جاء في الحديث . وكانت هذه الخيل وردت على سليمان من غنيمة جيش كان له، فتشاغل

(١) طرف حافره .

(٢) البيت في شواهد المغني ٢٤٨، والقرطبي ٦٢/١٢، وفي اللسان (صفن) مما ذكره ابن الأعرابي في وصف فرس - و «ما» في «مما يقوم» اسم موصول أي من النوع الذي يقوم على ثلاث، وكسيراً حال - وأشير في هامش النسخة الى رواية أخرى ترفع «كسيرا» - ويكون المعنى حيثئذ أنه من قيامه على الثلاثة كأنه كسير - وليس هذا بشيء - وقد رضي الشرح الأول ابن الأعرابي ونقله ابن الحاجب عنه، وجعل «ما» مصدرية، أي من قيامه جيد جداً .

(٣) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي من الشعراء الفرسان المخضرمين، وكان جميلاً طويلاً من أتم الناس خلقة، قال له رسول الله ﷺ: ما وصف لي رجل قط فرأيتك الا كان دون ما وصف به الا أنت، انك فوق ما قيل، إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الاناة والحلم، وقد أصابته الحمى فمات بعد ذلك بقليل . انظر ترجمته في الاغانى ج ٤٦/١٦ وما بعدها .

باعتراضها إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر. قال أهل اللغة:

﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾.

يعنى الشمس، ولم يَجْر للشمس ذكر. وهذا لا أحسبهم اعطوا الفكر حقه فيه، لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس، وهو قوله: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ [وَالْعِشِيِّ] في معنى بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ. حتى تَوَارَتْ الشَّمْسُ بالحجاب، وليس يجوز الاضمار إلا أن يَجْرِي ذِكْرٌ أو دَلِيلٌ ذِكْرٌ بِمُتَزَلَةِ الذِّكْرِ. وكان سليمان لِهَيْئَتِهِ لا يَحْجُرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى يُنَبِّهَ لَوْ قَتَصَ صَلَاةً، ولست أدري هل كانت صَلَاةُ الْعَصْرِ مَفْرُوضَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَمْ لَا، إلا أن اعتراضه الخيل قد شغله حتى جاز وَقْتُ يَذْكُرُ اللَّهَ - جل وعز - فيه.

ومعنى أَحَبَّبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ آثَرَتْ حُبَّ الْخَيْرِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ.

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ [بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ]

المسح ههنا على ما جاء في التفسير القطع، وَرَوِي أَنَّهُ ضَرَبَ سُوقَهَا وَأَعْنَاقَهَا، وَسُوقٌ جَمْعُ سَاقٍ، مِثْلُ دَارٍ وَدُورٍ. ولم يكن سليمان ليضرب أعناقها إلا وقد أباح الله ذلك، لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنبٍ عظيم. وقال قوم إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء وبيده، وهذا ليس يوجب شغلها إياه، أعني أن يمسحها بالماء، وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكراً. وليس ما يبيحه الله بمنكر، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ويحظر في هذا الوقت، ومالك يذهب إلى أنه لا ينبغي أن يؤكل لحم الخيل والبغال والحمير، لقول الله عز وجل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكِبُوهَا وَزِينَةً﴾^(١) وقال في الابل: ﴿لَتَرَكِبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٢)

(١) سورة النحل الآية ٨.

(٢) سورة غافر الآية ٧٩ - وهي في الانعام عامة وليست في الإبل وحدها. والآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.

«فتنا» امتحنا .

﴿وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

جاء في التفسير أنه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشياطين، لأن الشياطين كانت تَقْدِرُ^(١) الراحة مما كانت فيه بموت سليمان، فقالت إن بقي له وَلَدٌ لَمْ تَنْفَكْ^(٢) مما نحن فيه، فغذاه في السحاب اشفاقاً عليه فمات. فألقى على كرسيه جَسَداً، فجائز أن يكون هذا مُجَازَاةً على ذَنْبِهِ، وجائز أن يكون، فَأَنْكَلَهُ اللَّهُ وَلَدَهُ.

وأكثر ما جاء في التفسير أن «جسداً» ههنا شيطان، وأن سليمان أَمِرَ أَلأً يتزوج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأة كانت تعبد غير الله، فعاقبه الله بأن سَلَبَهُ مُلْكُهُ وكان ملكه في خاتمه فدفعه عند دخوله الحمام إلى شيطان، وجاء في التفسير أنه يقال له صَخْر، فطرحه في البحر فَمَكثَ أربعين يوماً يتيه في الأرض حتى وَجَدَ الخاتم في بطن سَمَكَةٍ. وكان شيطان تصور في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع ما كَانَ يَنْفُذُ فيه أَمْرُ سُلَيْمَانَ، خَلا نِسَاءِ سُلَيْمَانَ، إلى أن رَدَّ اللَّهُ عليه ملكه.

قال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾.

أي ذلك الذنب.

﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ﴾: حسن مَرْجِع.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ﴾.

(١) نتوقع الخلاص منه.

(٢) لم نخلص من الفِكَاك.

أي هب لي ملكاً يكون فيه آية تدل على نبؤتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الادميين الذين ليسوا بأنبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي وَرَدَدْتَ إِلَيَّ نُبُؤَتِي. والدليل على هذا قوله: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿رُخَاءً﴾ لَيْتَنَ، وقيل ﴿تجري بأمره﴾ ليست بشديدة كما يجب.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: إجماع المفسرين وأهل اللُّغَةِ أنه حيث أراد، وَحَقِيقَتُهُ قَصْدٌ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أَصَبْتَ، أي قَصَدْتَ، فلم تخطئُ الجواب^(١).

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾.

﴿الشَّيَاطِينَ﴾ نسق على الريح، وقوله ﴿كل بناء وغواص﴾ يدل على أنه من الشياطين. المعنى وسخرنا له كل بناء من الشياطين وكل غَوَاصٍ، وكان من بيني^(٢): ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ﴾^(٣).

وكان من يغوص يخرجون له الحلية من البحر.

﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

مَرْدَةُ الجن الشياطين، سُخِّرُوا له حتى قَرَنَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ، والأصفاد السلاسل من الحديد، وكل ما شدته شداً وثيقاً بالحديد وغيره، فَقَدْ صَفَدَتْهُ وكل من أعطيته عطاءً جزياً فقد اصفدته كأنك أعطيته ما ترتبط به، كما تقول لِلْمُتَخِذِ مَالاً أَصْلاً يَبْقَى عَلَيْهِ: قد اتخذت عقدةً جَيِّدَةً.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أي أطلق من شئت منهم.

(١) وهذا غير جيد لأنه يقتضي أن الريح تجري بأمره حيث كان قاصداً حسن الرأي أما إذا لم يكن قاصداً فإنها لا تجري بأمره.

(٣) سورة سبا / ١٣.

(٢) أي وكان البناءون من الجن يبنون له ما يشاء.

﴿أَوْ أَمْسِكَ﴾ : أَوْ أَحْبَسَ مَنْ شَتَّ وَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِي حَبْسِهِ ، وَجَائِزُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُنَا مَا أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمَالِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَلِكِ ، فَاْمَنْ ، أَيِ فَأَعْطِ مِنْهُ .

﴿أَوْ أَمْسِكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

بِغَيْرِ مَنَّةٍ عَلَيْكَ ، وَإِنْ شَتَّ بِغَيْرِ حِسَابٍ بِغَيْرِ جَزَاءٍ .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ﴾ .

«عبدنا» منصوب بوقوع الفعل عليه ، و«أيوب» بدل من «عبدنا» ، لِأَنَّ أَيُّوبَ هُوَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ ، وَالْأَسْمُ الْخَاصُّ لَا يَكُونُ نَعْتًا إِنَّمَا يَكُونُ بَدَلًا مُبَيِّنًا يَنْصُبُ ، وَنَصَبٌ - بَفَتْحِ النُّونِ وَالصَّادِ ، وَنُصْبٌ بِضَمِّ النُّونِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ - وَقَدْ قُرِئَتْ يَنْصُبُ بِضَمِّ النُّونِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ ، وَقُرِئَتْ بِفَتْحِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ . وَنَصَبٌ بِفَتْحِ النُّونِ وَالصَّادِ بِمَنْزِلَةِ نُصْبٍ بِضَمِّ النُّونِ ، وَالنُّصْبُ وَالنَّصْبُ بِمَنْزِلَةِ الرُّشْدِ وَالرُّشْدِ ، وَالْبَخْلُ وَالْبَخْلُ وَالْعَرَبُ وَالْعَرَبُ . وَالنَّصْبُ - بَفَتْحِ النُّونِ وَإِسْكَانِ الصَّادِ عَلَى أَصْلِ الْمَصْدَرِ ، وَالنُّصْبُ وَالنَّصْبُ عَلَى مَعْنَى نَصَبْتُ نَصْبًا وَنُصْبًا . وَنُصْبًا عَلَى أَصْلِ الْمَصْدَرِ .

وَمَعْنَى ﴿يَنْصُبْ وَعَذَابٌ﴾ بَضْرٍ فِي بَدَنِي ، وَعَذَابٌ فِي مَالِي وَأَهْلِي وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَضْرٍ فِي بَدَنِي وَعَذَابٌ فِيهِ .

وَرَوَى أَنَّهُ مَكَثَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعَ سِنِينَ مُبْتَلًى يَسْعَى الدُّوْدُ مِنْ بَدَنِهِ ، فَنَادَى رَبَّهُ : ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١) .

﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ﴾ .

الْمَعْنَى قُلْنَا لَهُ : أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ : مَعْنَاهُ دَسِ الْأَرْضَ بِرَجْلِكَ فَدَاسِ الْأَرْضَ دَوْسَةً خَفِيفَةً ، فَنَبَعَتْ لَهُ عَيْنٌ فَاغْتَسَلَ مِنْهَا فَذَهَبَ الدَّاءُ مِنْ ظَاهِرِ بَدَنِهِ ، ثُمَّ دَاسَ دَوْسَةً ثَانِيَةً فَنَبَعَ مَاءٌ فَشَرِبَ مِنْهُ فَغَسَلَتْ الدَّاءَ مِنْ بَاطِنِ بَدَنِهِ .

(١) الْأَنْبِيَاءُ / ٨٣ .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ .

قيل: وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ أَعْطَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَ فَقْدِهِمْ، وَوَهَبْنَا لَهُ فِي الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ، وَقِيلَ أَحْيَيْ لَهُ أَهْلَهُ، وَوَهَبَ لَهُ مِثْلَهُمْ.
﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ .

«رحمة» منصوبة مفعول لها.

﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَبَابِ﴾ .

لذوي العقول، ومعنى ﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَبَابِ﴾ إِذَا ابْتُلِيَ اللَّيْبُ ذَكَرَ بَلَاءِ أَيُّوبَ فَصَبَّرَ.

﴿وَأَخَذَ بِيَدِكَ ضِعْثًا﴾ .

المعنى وقلنا خذ بيدك. والضغث الحِزْمَةُ مِنَ الْحَشِيشِ أو الریحان أو ما أشبه ذلك.

وجاء في التفسير أن امرأة أَيُّوبَ قالت له: لو تقربت إلى الشيطان فذبحت له عَنَاقًا^(١): قَالَ وَلَا كُفًا مِنْ تُرَابٍ، وَحَلَفَ أَنْ يَجْلِدَهَا إِذَا عُوفِيَ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَشَكَرَ اللَّهَ لَهَا خِدْمَتَهَا إِيَّاهُ فَجَعَلَ تَحْلَةً يَمِينِهِ أَنْ يَأْخُذَ حِزْمَةً فِيهَا مِائَةُ قَضِيبٍ فَيَضْرِبُهَا ضَرْبَةً وَاحِدَةً. فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فَقَالَ قَوْمٌ هَذَا لِأَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَاصَّةً، وَقَالَ قَوْمٌ: هَذَا لِسَائِرِ النَّاسِ.

﴿أَوَابٌ﴾: كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ.

﴿وَأَذْكَرَ عَبْدَانَا - (وَعِبَادَنَا) - إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

مَنْ قَالَ ﴿عِبَادَنَا﴾ جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَدَلًا مِنْ عِبَادِنَا، وَمَنْ قَرَأَ

(١) بغيراً.

عَبَدْنَا جَعَلَ إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ الْبَدَلَ، وَجَعَلَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ
عَبَدْنَا.

وقوله: ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾.

وقرئت الأيد بغير ياء ومعنى أُولَى الْأَيْدِي أُولَى الْقُوَّةِ فِي الْعِبَادَةِ.

﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ أي هم ذُوو بَصِيرَةٍ فِيمَا يَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ يَقُولُ لِلْقَوْمِ: لَهُمْ
أَيْدِي بِهِؤْلَاءِ أَي هُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهِمْ قَالَ الشَّاعِرُ:

فَاعْمَدُ لِمَا تَعْلُو فَمَا لَكَ بِالَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأُمُورِ يَدَانِ^(١)

أَيِ اعْمَدْ لِمَا تَقْهَرُ وَلَا تَعْمَدْ لِمَا تُقْهَرُ فِيهِ، أَيِ فَمَا لَكَ قُوَّةٌ. مِنْ قَرَأَ
أُولَى الْأَيْدِ بِغَيْرِ يَاءٍ، فَمَعْنَاهُ مِنَ التَّأْيِيدِ وَالتَّقْوِيَةِ عَلَى الشَّيْءِ.

وقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾.

وَيَقْرَأُ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ عَلَى إِضَافَةِ خَالِصَةٍ إِلَى ذَكَرَى وَمِنْ قَرَأَ
بِالتَّنْوِينِ جَعَلَ ذَكَرَى الدَّارِ بَدَلًا مِنْ خَالِصَةٍ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِذَكَرَى الدَّارِ. وَمَعْنَى الدَّارِ هَهُنَا الدَّارُ الْآخِرَةُ، وَتَأْوِيلُهُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ
أَحَدُهُمَا: إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ جَعَلْنَاهُمْ لَنَا خَالِصِينَ، بِأَنْ جَعَلْنَاهُمْ يُذَكِّرُونَ بِالدَّارِ
الْآخِرَةِ، وَيُزْهِدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ بَأَنَّهُمْ يَكْثُرُونَ ذَكَرَ الْآخِرَةِ وَالرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ.

﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾.

أَيِ الَّذِينَ اتَّخَذَهُمُ اللَّهُ صَفْوَةً، صَفَّاهُمْ مِنَ الْأَدْنَسِ كُلِّهَا وَأَخْلَصَهُمْ
مِنْهَا.

(١) فِي اللِّسَانِ (عَلَا) أَنَّهُ لَكَعْبُ بْنُ سَعِيدٍ الْغَنَوِيُّ يَخَاطَبُ ابْنَهُ عَلِيَّ بْنَ كَعْبٍ وَقِيلَ هُوَ لَعْلِي نَفْسُهُ
وَقَبْلَهُ:

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ شَعَبَ الْعَصَا وَيَلْجُ فِي الْعَصِيَانِ

وقوله: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾.

ويقرأ والْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ . وكان تكفل بعمل رجل صالح . يقال إنه كان يصلي ذلك الرجل في كل يوم مائة صلاة فتوفي الرجل الصالح فتكفل ذو^(١) الكفل بعمله ، فكان يعمل عمله ، ويقال ان ذا الكفل تكفل بأمر أنبياء فخلصهم من القتل فسُمي ذا الكفل .

﴿وَكُلِّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

المعنى وكل هؤلاء المذكورين من الأخيار، والأخيار جمع خير وأخيارٌ مثل ميت وأمواتٌ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنٌ مَّآبٍ﴾.

معناه - والله أعلم - هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبداً، وإن لهم مع ذلك لحسن مآبٍ أي لحسن مرجع . يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله . ثم بين كيف حسن ذلك المرجع فقال :

﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُمْتَحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾.

﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿لِحُسْنٍ مَّآبٍ﴾ ومعنى مفتحة لهم الأبواب أي منها، وقال بعضهم: مُفْتَحَةٌ لَهُمْ أَبْوَابُهَا والمعنى واجدٌ، إلا أن على تقدير العريضة «الأبوابُ مِنْهَا» أجودٌ من أَنْ تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف . لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في شيء . لأن الهاء والألف اسم^(٢)، والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه . هذا محال .

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ أَتْرَابُ﴾.

(٢) من «منها» .

(١) في الأصل «ذا» .

يعني حوراً قد قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم .
﴿أَتْرَابٌ﴾ .

أقران، ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾^(١) أي أسنانهن واحدة، وهن في غاية الشباب والحُسن .

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ .

أي ليوم تجزى كل نفس بما عملت، ثم أعلم الله - عز وجل - أن نعيم أهل الجنة غير منقطع فقال:

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ .

أي ماله من انقطاع .

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ شَرًّا مَآبٍ﴾ .

المعنى الأمر هذا . فهذا رفع خبر الابتداء المحذوف، وإن شئت كان هذا رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، وجهنم بدل من «شَرِّ مَآبٍ»، أي شر مرجع .

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ .

بتشديد السّين وتخفيفها، وحميم رفع من جهتين احدهما على معنى هذا حميم وغساق فليذوقوه، ويجوز أن يكون «هذا» على معنى تفسير هذا فليذوقوه ثم قال بعد حميم وغساق .

ويجوز أن يكون «هذا» في موضع نصب على هذا التفسير، ويجوز أن يكون في موضع رفع . فإذا كان في موضع نصب فعلى «فَلْيَذُوقُوا هَذَا» فليذوقوه، كما قال: ﴿وَأَيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾^(٢) . ومثل ذلك زيداً فاضربه .

(١) سورة عم الآية ٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤١ .

ومن رفع فبالابتداء ويجعل الأمر في موضع خبر الابتداء، مثل ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(١).

وقيل إن معنى ﴿غَسَّاقٌ﴾ الشديدُ البَرْدُ الذي يُحْرِقُ من بَرْدِهِ، وقيل إن الغسَّاقَ ما يغسق من جلود أهل النار. ولو قطرت منه قطرة في المشرق لَأَنْتَنَتْ أهل المغرب، وكذلك لو سقطت في المغرب.

﴿وَأَخْرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾.

وَيُقْرَأُ «وَأَخْرَ». ﴿وَأَخْرَ﴾ عطف على قوله ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، أي وَعَذَابٌ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ - يقول مثل ذلك الأول، ومن قرأ وَأَخْرَ، فالمعنى وأنواع أُخْرَ مِنْ شَكْلِهِ، لأن قوله: ﴿أَزْوَاجٌ﴾، معناه أنواع.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾.

الفوج هم تَبَاعُ الرُّؤَسَاءِ وَأَصْحَابِهِمْ في الضلالة وقيل لهم: ﴿لَا مَرْحَبًا﴾ مَنْصُوبٌ كقولك رَحِبْتُ بِلَادَكَ مرحباً، وَصَادَفْتُ مَرْحَبًا، فَأَدْخَلْتُ «لَا» على ذَلِكَ المعنى.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ تَمْتُمُوهُ لَنَا﴾.

هذا قول الأتباع للرؤساء.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الآية^(٢).

أي زِدْهُ على عذابه عذاباً آخر. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ﴾^(٣) ومعنى ضِعْفَيْنِ مَعْنَى فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفًا.

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٢) ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾.

(٣) سورة الأحزاب. آية ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿أَتَخَذْنَا هُمْ سُخْرِيًّا﴾.

يقرأ بقطع الألف وفتحها على مَعْنَى الاستفهام، ومن وصلها كان على معنى . إنا اتَّخَذْنَا هُمْ سُخْرِيًّا، ويقرأ ﴿سُخْرِيًّا﴾ وسُخْرِيًّا - بالكسر والضم، والمعنى واحد، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: إن ما كان من التسخير فهو مضموم الأول، وما كان من الهزؤ فهو مكسور الأول^(١).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

أي إن وَصَفْنَا الذي وصفناه عَنْهُمْ لَحَقٌّ، ثم بَيَّنَّ ما هو فقال: هو تخاصم أهل النار، وهذا كله على معنى إذا كان يوم القيامة قال أهل النار كذا وكذلك كلُّ شيء في القرآن مما يحكي عن أهل الجنة والنار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

أي قل إنك تنذر، وإنك تدعو إلى توحيد الله، وَلَوْ قُرِئَتْ: «إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» - بالنصب - لَجَازَتْ ولكنه لم يقرأ بها، فَلَا تَقْرَأْ بها، ومن نصب فعلى الاستثناء، ومن رفع فعلى معنى ما إله إلا الله.

وقوله جل وعز: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

أي قل النبأ الَّذِي أنبأتكم به عن الله - عز وجل - نبأ عَظِيمٌ، والذي أنبأتكم به دليل على نُبُوتِي . يعني ما أنبأكم به النبي ﷺ من قصة آدم وإبليس، فإن ذلك لا يعلم الا بقراءة الكُتُبِ أو بِوَحْيٍ من الله، وقد علم الذين خاطبهم النبي ﷺ أنه لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه ولا كان رَيْبٌ فيما يخبر به أنه وحيٌّ ثم بَيَّنَّ ذلك فقال:

﴿مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

(١) الأول من سخره أي كلفه عملاً شاقاً وأخضعه للقيام به، والثاني من سخر منه أي هزئ به.

هم الملائكة من الملائكة، وملأ كل قرية وجوههم وأفاضلهم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾.

أي ما عملت هذه الأفاضيل إلا يوحى من الله^(١).

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي، أَسْتَكْبَرْتَ﴾.

تقرأ على ثلاثة أوجه، بيدي على التثنية، ويدي استكبرت بفتح الياء وتخفيفها وتوحيد اليد، وتسكين اليد والتوحيد، بيدي استكبرت.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

أي فإنك لعين، معناه فإنك مرجوم باللعنة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

يوم تدان كل نفس بما كسبت، ومعنى يوم الدين يوم الجزاء.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

الذي لا يعلمه إلا الله، ويوم الوقت يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.

بفتح اللام، أخلصهم الله لعبادته، ومن كسر اللام، فإنما أراد الذين أخلصوا دينهم الله.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾.

(١) ترتيب الآيات: «ما كان لي من علم بالملائكة الأعلى إذ يختصمون. إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين. إذ قال ربك للملائكة» - والمؤلف ربط الآيتين الأخيرتين كلاهما بالآخرى - وجملة «أي ما عملت هذه الأفاضيل» إنما هي تفسير للآية المحذوفة.

وقرئت: «قال فالحقُّ والحقُّ أقولُ» بنصبهما جميعاً، فمن رَفَعَ فعلى
ضربين، على معنى فَأَنَا الحقُّ، والحقُّ أقولُ. ويجوز رَفَعُهُ على معنى فالحقُّ
مِنِّي. ومن نصب فعلى معنى فالحقُّ أقولُ والحق لأملأن جهنم حقاً.
﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: أي بعد الموت.

سُورَةُ الزُّمَرِ

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، قوله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى تمام ثلاث آيات. يقال سورة الغُرف ويقال سورة الزُّمَر. روي عن وهب بن منبه أنه قال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْغُرَفِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله جل وعز: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ.

الكتاب ههنا القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين، احداهما الابتداء ويكون الخبر من الله، أي نزل من عند الله، ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب.

وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾.

﴿الدين﴾ منصوب بوقوع الفعل عليه، و﴿مُخْلِصاً﴾ منصوب على الحال، أي فاعبد الله موحداً لا تشرك به شيئاً. وزعم بعض النحويين أنه يجوز مخلصاً له الدِّينُ، وقال يرفع الدين على قولك مخلصاً، له الدين، ويكون مخلصاً تمام الكلام، ويكون له الدين ابتداء، وهذا لا يجوز من جهتين. إحداهما أنه لم

يقرأ به، والأخرى أنه يفسده «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» فيكون «له الدين» مكرراً في الكلام، لا يحتاج إليه، وإنما الفائدة في «أَلَا لِلَّهِ^(١) الدِّينُ الْخَالِصُ» تحسن بقوله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ.

ومعنى إخلاص الدين ههنا عبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وهذا جرى تشبيهاً للتوحيد، ونفياً للشرك، الا ترى قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾^(٢) - إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي فَأَخْلَصَ أَنْتَ الدِّينَ، ولا تتخذ من دونه أولياء، فهذا كله يُؤَكِّد مخلصاً له الدِّينَ.

وموضع ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ..﴾ «الذين» رفع بالابتداء، وخبرهم محذوف، في الكلام دليل عليه المعنى والذين اتخذوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يقولون ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. والدليل على هذا أيضاً قراءة أَبِي: «مَا نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ». هذا تصحيح الحكاية، المعنى يَقُولُونَ لِأَوْلِيَائِهِمْ: ما نعبدكم إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وعلى هذا المعنى، يقولون مانعبدكم، أي يقولون لمن يقول لهم لم عبدتموهم: ما نعبدكم إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. أَي قُرْبَى.

ثم أعلم عز وجل - أنه لا يهدي هؤلاء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

ثم أعلم جل وعز: أنه تعالى عن هذه الصفة فقال:

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلِداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾.

(١) في الأصل ألا له الدين الخالص.

(٢) الآية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي تنزيهاً له عن ذلك..

﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

وفي هذا دليل أن الذين اتخذوا من دونه أولياء قد دخل فيهم من قال عيسى ابن الله - جل الله وعز عن ذلك - . ومن قال: العزيرُ ابن الله . ثم بين - جل وعز- ما يدل على توحيده بما خلق ويعجز عنه المخلوقون فقال :

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

«ثم» لا تكون إلا لشيء بعد شيء . والنفس الواحدة يعني بها آدم ﷺ وزوجها حواء . وإنما قوله «ثم» لمعنى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ، أي خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جعل منها زوجها قبلكم .

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

يعنى من الابل ذكراً وأنثى، ومن البقر ذكراً وأنثى ومن الضأن كذلك ومن المعز ذكراً وأنثى . يقال للذكر والأنثى زوجان كل واحدٍ منهما يقال له زوج .

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ [فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ]﴾ .

نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم تكسى العظام لحماً، ثم تصوّر وتنفتح فيها الروح، فذلك معنى قوله: خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ فِي البطن، والرحم، والمشيمة . وقد قيل في الاصلاب والرحم والبطن .

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ [رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]﴾.

المعنى الَّذِي دَبَّرَ الْخَلْقَ هَذَا التَّدْبِيرَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

﴿فَأَنى تُصْرَفُونَ﴾.

المعنى فمن أين تصرفون عن طري الحق، مثل: ﴿فَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ﴾، أي فكيف تعدلون عن الحق بعد هذا البيان الذي يدل على صحة التوحيد.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

معناه يرضى الشكر، لأن قوله «ان تشكروا» يدل على الشكر.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

لا يؤخذ أحد بذنب أحد.

وقوله جل وعز: ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: أي تائباً إليه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾.

أي أذهب الضر عنه وأنعم عليه.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به الى الله - جل وعز -، وجائز أن يكون معناه نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل، ومثله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^(١). فكانت «ما» تدل على الله، و«من» عبارة عن كل مُمَيِّز. و«ما» يكون لكل نوع، تقول: ما عندك، فيكون الجواب رجل أو فرس أو ما شئت من الأجناس، فيدخل المميز في «ما» من جهة دخولها على الأجناس.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾.

لفظ هذا لفظ أمر، ومعناه التهديد والوعيد، ومثله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ومثله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾^(٢)، ومثله قوله لمن

(١) سورة «الكافرون».

(٢) سورة الكهف ٢٩.

يتهدده: عُدْ لِمَا أَكْرَهَ وَحَسْبُكَ، فأنت لست تأمره في المعنى وإنما توعدّه وتهدهده.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾.

ساعات الليل، وأكثر القراءة بتشديد الميم على معنى بل أم من هو قانت - والقانت المقيم على الطاعة، ودعاء القنوت الدعاء في القيام، فالقانت القائم بما يجب عليه من أمر الله، ويُقرأ أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ بتخفيف الميم، وتأويله: أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ كهذا الذي ذكرنا ممن جعل لله أنداداً، وكذلك أَمَنْ معناه بَلْ أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ كغيره، أي أَمَنْ هُوَ مُطِيعٌ كَمَنْ هُوَ عَاصٍ.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.

معناه يحذر عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: الآية (١).

أي لا يستوي العالم والجاهل، وكذلك لا يستوي المُطِيعُ والعاصي و﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول، وواحد الأبواب لب وهي العقول.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾.

ذكر سعة الأرض هنا لِمَنْ كان يعبد الأصنام. وأمرنا بالمهاجرة عن البلد الذي يُكره فيه على عبادتها، كما قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (٢) وقد جرى ذكر الأوثان في قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(١) تمامها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. (٢) سورة النساء / ٩٧.

أي من صبر على البلاء في طاعة الله أُعْطِيَ أَجْرُهُ بغير حساب، جاء في التفسير بغير مكيال وغير ميزان. يُغْرَفُ لَهُ غَرْفًا، وهذا وإن كان الثواب لا يقع على بعضه كيل ولا وَزْنٌ مِمَّا يَتَنَعَّمُ به الانسان من اللذة والسُرور والراحة، فإنه يمثل ما يعلم بحاسة القلب بما يدرك بالنظر، فيعرف مقدار القلة من الكثرة.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾.

يقول: إِنِّي أُمِرْتُ بتوحيد الله، وأُمِرَ الخلق كُلُّهُمْ بذلك، وأَلَّا يُتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا ولا يجعلَ له أُنْدَادًا.

وقوله: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾.

هذا على ما قلنا من الوعيد مثل قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾، وهذا يدل -والله أعلم- على أنه قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ المسلمون بالحرب، وهو مثل ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وقد بين حظ المؤمنين من جزيل الثواب، وحظ الكافرين من عظيم العقاب.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

هذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أَنْفُسَهُمْ بالتخليد في النار، وخَسِرُوا أَهْلِيَهُمْ لأنهم لم يَدْخُلُوا مَدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمْ أَهْلٌ فِي الْجَنَّةِ، ثم بين حالهم فقال: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ . . .﴾ : الآية (١).

وهذا مثل قوله ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (٢).

(١) ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٥.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾.

أي ذلك الذي وُصِفَ مِنَ الْعَذَابِ وما أَعَدَّهُ لِأَهْلِ الضَّلَالِ الَّذِي يَخُوفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ .
﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يَا عِبَادِي
وَيَا عِبَادِي، والحذف أجود وعليه القراءة .
وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾.

أي الذين اجْتَنَبُوا الشياطين أن يتبعوهم .

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى، فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ﴾: الآية .

وهذا فيه والله أعلم وَجْهَانِ . أحدهما أن يكون يستمعون القرآن وغيره
فَيَتَّبِعُونَ القرآن، وجائز أن يكونوا يستمعون جميع ما أمر الله به فَيَتَّبِعُونَ أحسن
ذلك نحو القصاص والعفو، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثواباً ممن
اقتص، ومثله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١). ﴿وَلَمَنْ
انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢).

وقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾.

هذا من لطيف العربية، ومعناه معنى الشرط والجزاء، ! وَأَلْفُ الاستفهام
ههنا مَعْنَاهَا معنى التوقيف، والألف الثانية في ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ جاءت
مُؤَكِّدَةً مُعَادَةً لِمَا طَالَ الْكَلَامُ^(٣)، لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف
الاستفهام في الاسم وألفٍ أُخْرَى في الخبر. والمعنى أفمن حق عليه كلمة
العذاب أفأنت تنقذه، وَمِثْلُهُ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنَّكُمْ

(١) سورة الشورى ٤٣ . (٢) الشورى ٤١ .

(٣) جاءت همزة الاستفهام من «أفمن حق» وأعيدت في «أفأنت» - للتوكيد .

مُخْرَجُونَ ﴿١﴾ أَعَادَ «أنكم» ثانية، والمعنى أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تَرَاباً وَعِظَافاً مُخْرَجُونَ، ويكون - والله أعلم - على وجه آخر، على أنه حُذِفَ وفي الكلام دليل على المحذوف، على معنى أضمن حق عليه كلمة العذاب يَتَخَلَّصُ منه، أو يَنْجُو مِنْهُ، أفأنت تنقذه، أي لا يقدر أحد أن ينقذَ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وسبق في علمه أَنَّهُ من أَهْلِ النَّارِ.

وقوله - جل وعز - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾.

جاء في التفسير أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ فابْتَدَأُوهُ مِنَ السَّمَاءِ، ومعنى «ينابيع» الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوعٌ، وتقدره يَقْعُولُ من نَبْعٍ يَنْبَعُ.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقَهَا غُرَفٌ﴾.

منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أَرْفَعُ مِنْهَا.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾.

القراءة النصب ويجوز وَعَدَ اللَّهُ فَمَنْ نَصَبَ وَهِيَ الْقِرَاءَةُ، فَبِمَعْنَى لَهُمْ غُرَفٌ. لأن المراد وعدهم الله غرفاً وَعْدًا، فوَعَدَ اللَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، ومن رفع فالمعنى: ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ.

وقوله - جل وعز - : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾.

ألوانه خُضْرَةٌ وَصُفْرَةٌ وَحُمْرَةٌ وَبَيَاضٌ وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾: يَجِفُّ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ يَقَالُ لِلنَّبْتِ إِذَا تَمَّ جَفَافُهُ: قَدْ هَاجَ يَهِيْجُ هِيْجًا.

(١) سورة المؤمنون الآية ٣٥.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾.

الحطام ما تفتت وتكسر من الثبت وغيره، ومثل الحطام الرفات والدّرين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

أي تفكّر لذوي العقول، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحيد الله جل وعز.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ [مِنْ رَبِّهِ]﴾.

فهذه الفاء فاء المجازاة، والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته، والجواب متروك لأن الكلام دال عليه، ويؤكد ذلك قوله - جل وعز - : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، يقال : قسا قلبه عن ذكر الله ومن ذكر الله ؛ فَمَنْ قال من ذكر الله، فالمعنى كلما تلي عليه ذكر الله قسا قلبه، كما قال : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(١). ومن قال : عن ذكر الله فالمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر الله.

﴿أَوَّلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

يعني القاسية قلوبهم. الآية.

وقوله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾، يعني القرآن، ومعنى متشابهاً، يشابه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة، لا تناقض فيه، و«كتاباً» منصوب على البدل من «أحسن الحديث».

وقوله : ﴿مَثَانِي﴾ من نعت قوله ﴿كِتَابًا﴾ منصوب على النعت، ولم ينصرف ﴿مثنائي﴾ لما فسرناه من أنه جمع ليس على مثال الواحد.

(١) سورة التوبة.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ .

يقول : إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله .

﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ .

إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم .

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

يقول : الذي وهبه الله لهم من خشيته وخوف عَذَابِهِ ورجاء رحمته هدي الله .

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

هذا مما جوابه محذوف، المعنى كمن يدخل الجنة، وجاء في التفسير أن الكافر يُلقَى في النار مغلولاً، لا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ - إلى قوله ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(١) .

﴿عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال، المعنى ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ في هذا القرآن ما^(٢)، حال عَرَبِيَّتِهِ وبيانه، وذكر ﴿قَرَأْنَا﴾ تأكيداً، كما تقول : جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً عاقلاً . فتذكر رجلاً . . و «إنساناً» تأكيداً .

وقوله جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ - إلى قوله ﴿وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ﴾^(٣) .

ويقرأ ﴿سَلَمًا﴾ و﴿سَلَمًا﴾، فسالمًا على معنى اسم الفاعل . سَلِمَ فَهُوَ سَالِمٌ، وَسَلَّمْ وَسَلَّمْ مصدران وصف بهما على معنى وَرَجُلًا ذَا سَلَمٍ . ومثله مما جاء

(١) تمام الآية : ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، قَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ .

(٢) هكذا جاءت، ويظهر أنه سقط شيء من الناسخ أي ضربنا ما فيه من الأمثال .

(٣) ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، وَرَجُلًا . . .﴾ .

من المصادر فعلاً وفَعلاً قولهم: رَبِخْتُ رَبِحاً وَرَبِحاً، قال الشاعر: (١)

إذا الحسناء لم ترَحَضْ يَدَيْهَا ولم يُقَصِّرْ لها بَصَرُ بِسْتَرِ
قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ رَبِحاً بِبُحٍ يجيء بِفَضْلِهِنَّ المَشُّ سُمْرِ
أَيَّ قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ بذبح القِداحِ الَّتِي يَضْرِبُونَ بها فِي المَيْسِرِ.

وَتَفْسِيرُ هذا المثل أَنه ضُرِبَ لِمَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَلِمَنْ جَعَلَ لَهُ شَرِيكاً،
فَالَّذِي وَحَدَ اللهَ مثله مثل السَّالِمِ لِرَجُلٍ لَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، ومثل الَّذِي عَبَدَ
غَيْرَ اللهَ مثل صاحب الشُّرَكَاءِ المَتَشَاكِسِينَ. و«الشركاء المتشاكسون»،
المختلفون العَسِيرُونَ الَّذِينَ لَا يَتَّفِقُونَ.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

أَي هَلْ يَسْتَوِي مَثَلُ المَوْحِدِ وَمَثَلُ المَشْرِكِ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

يَخْتَصِمُ المُؤْمِنُ وَالكَافِرُ، وَيَخَاصِمُ المَظْلُومَ الظَّالِمَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾.

المعنى أَي أَحَدُ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ نَبِيَّهُ ﷺ.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: الآية.

(١) من شعر خفاف بن نُدْبَةَ السُّلَمِي - وجاء معها بيت ثالث في اللسان (نحج) هو:

هم الأيسار إن قحطت جمادي بكل صَبِيرٍ غَادِيَةٍ وَقَطَرِ
وجاء البيت الثاني فقط في (ريح) - والرَّيْحُ الفَصِيلُ والشَّحْمُ - ويجمع رَيْحٌ عَلَى رِيَّاحٍ مثل جَمَلٍ
وجَمَالٍ، والْبَحُّ قِدَاحُ المَيْسِرِ - أَي يَتَقَامَرُونَ عَلَى الفَصَالِ حَيْثُ اعْوَزَتْهُمْ الكِبَارُ، والصَّبِيرُ
مِنَ السَّحَابِ مَا يَكُونُ مُتَرَاكِباً، وَالْمَشُّ هُوَ المَسْحُ - وَيُرْوَى الْحَيَّ - وَسَمَرُ نَعْتٍ لِلْبَحِّ - أَي
بِقِدَاحِ سَمَرٍ - يَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا أَجْدَبَ النَّاسَ وَلَمْ يَطْعَمُوا مَا يَغْسِلُونَ مِنْهُ أَيْدِيَهُمْ قَرَى قَوْمَهُ الْأَضْيَافَ
فَصَالاً بِالتَّقَامَرِ بِالْأَزْلَامِ السَّمَرِ فَيَطْعَمُونَ وَيَمْنُونُ أَيْدِيَهُمْ وَنُدْبَةُ أُمِّ خِفَافٍ.

روي عن علي رحمه الله أنه قال: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ والذي صدق به أبو بكرٍ. رحمه الله. وروي ان الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به محمد صلى الله عليهما، وروي أن الذي جاء بالصدق محمد وصدق به المؤمنون. وجميع هذه الوجوه صحيح.

والذي جاء في حرف^(١) ابن مسعود: «الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ» و«الَّذِينَ» ههنا و«الذي» في معنى واحد، توحيدة - لأنه غير مُؤَقَّت - جائز^(٢) وهو بمنزلة قولك من جاء بالصدق وصدق به.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

و«الذي» ههنا للجنس، المعنى والقبيل الذي جاء بالصدق، وقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يدل على معنى الجماعة، ومثله من الشعر^(٣):

إِن النَّذِي حَانَتْ بَفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

ويقرأ «عباده»، ولو قرئت «كافي عبده» و«كافي عباده» لجازت، ولكن القراءة سنة لا تخالف، ومعنى ﴿بكاف عبده﴾ يدل على النصر، وعلى أنه كقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾^(٤)، وهو مثل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٥).

(١) في قراءته.

(٢) غير مُؤَقَّت أي غير معين لشخص بعينه، بل هو جنس عام فيستوي فيه الجمع والمفرد - كقولك الرجل قَوَّامٌ عَلَى زَوْجِهِ وَالرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ.

(٣) للأسود بن رميلة النهشلي - يقال زميله - بالراء والزاي - وهي أمه. وأبوه شور بن أبي حارثة - من الشعراء الاسلاميين. عده الجمحي في الطبقة الرابعة - والبيت من شواهد النحو الشائعة - انظر شواهد المغني ١٧٥ - حيث ذكر السيوطي على طريقته أبياتاً في رثاء أقارب له منها هذا البيت، والخزانة ٥٠٧/٢ والعيني ٤٨٢/١ وشواهد الكشف للمرزوقي ٢٥. وقيل «الذي» هي الذين، حذفت منها النون.

(٥) سورة الحجر ٩٥.

(٤) سورة التوبة آية ٣٣.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

أي يخوفون بآلهتهم وأوثانهم . ويروى أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرهما، فلما جاء خالد قال له سادتها^(١): أَحْذَرُكَهَا يَا خَالِدُ إِنَّ لَهَا شِدَّةً لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ فَعَمِدَ خَالِدٌ إِلَى الْعِزَى فَهَشَمَ أَنْفَهَا، فهذا معنى ويخوفونك بالذين من دونه، لأن تخويفهم خالداً هو تخويفهم النبي ﷺ لأنه وجهه .

ثم أعلم - مَعَ عِبَادَتِهِمُ الْعِزَّى وَالْأَوْثَانَ - أَنَّهُمْ مُقَرَّوْنَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ فقال: ﴿وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾^(٢).

ويقرأ كاشفات ضربه - بترك التنوين والخفض في ضره ورحمته - فمن قرأ بالتنوين فلأنه غير واقع في معنى هَلْ يَكْشِفُنْ ضُرَّهُ أَوْ يُمْسِكُنْ رَحْمَتَهُ ومن أضاف وخفض فعلى الاستخفاف وحذف التنوين . وكلا الوجهين حسن قرئ بهما .

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

و﴿على مكاناتكم﴾ . هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهديد^(٣) بعد أن أعلموا ما يجب أن يعملوا به، ثم قيل لهم: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾، وهذا كلام يستعمله الناس في التهديد والوعيد . تقول: متى أسأت إلى فلان انتقم منك، ومتى أحسنت إليه أحسنت إليك فاعمل ما شئت واختر

(١) حارسها وخادمها .

(٢) تكملة الآية: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

(٣) من تهذبه بمعنى توعده .

لنفسك، فخطوب العباد على قدر مُخَاطَبَاتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ، وقوله على «مَكَانَاتِكُمْ» و«مَكَانَتِكُمْ» معناه على ناحيتكم التي اخترتموها، وجهتكم التي تَمَكَّنْتُمْ - عند أنفسكم - في العلم بها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾^(١).

ولم يقل على جهتي، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي ما انت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير فقال:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

أي ويتوفى الأنفس التي لم تَمُتْ في مَنَامِهَا، فالْمَيِّتَةُ الْمَتَوَفَّاءُ^(٢) وَفَاةَ الْمَوْتِ الَّتِي قد فارقتها النفس^(٣) التي يكون بها الحياة والحركة، والنفسُ التي تميز بها. والتي تتوفى في النوم نفس التمييز لا نفس الحياة^(٤)، لأن نفس الحياة إذا زَالَتْ زال معها النَّفْسُ^(٥)، والنائم يتنفس. فهذا الفرق بين تَوَفَّى نفس النائم في النوم وَنَفْسَ الْحَيِّ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ...﴾ الآية.

معنى «اشْمَأَزَّتْ» نفرت، وكانوا - أعني المشركين - إذا ذكر الله فقليل: «لا إله إلا الله» نَفَرُوا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة.

(١) أي لم يقل: إني عامل على مكانتي.

(٢) في الأصل والمتوفاة وهو خطأ لعدم وجود خبر للمبتدأ.

(٣) في الأصل الذي فارقه.

(٤) عندما يكون الشخص نائماً إنما يفقد النفس المميزة لا نفس الحياة.

(٥) التنفس.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا . . ﴾ الآية .

﴿ثم إذا خَوَّلْنَاهُ﴾: أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ تَفْضُّلاً، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خول .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ .

أي أعطيته على شرفٍ وَفَضْلٍ يجب له به هذا الَّذِي أعطيت، فقد علمت أَنِي سَأُعْطِي هُدًى، فأعلم الله أَنه قد يعطى اختباراً وابتلاءً فقال: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ .

أي تِلْكَ الْعَطِيَّةُ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وبلوى يبتلى بها الْعَبْدُ ليشكر أو يكفر .

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . [فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]﴾ .

يقول: فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ .

أي إلى الله مرجعهم فيجَازِيهم بِأَعْمَالِهِمْ .

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ .

ومعنى ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ لا تيأسوا، وجاء في التفسير أن قوماً من أهل مكة قالوا إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ: إِنَّ مَنْ عَبَدَ الْأَوْثَانَ واتخذ مع الله إلهاً وقتل النفس، لا يغفر له، فأعلم الله أن من تاب وآمن غفر الله له كل ذنب، فقال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وقال:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ .

أي توبوا، وقيل إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ فَتَنُوا، فِي دِينِهِمْ، وَعُدَّ بِوَا بِمَكَّةَ

فَرَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقِيلَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ
فَاعْلَمْ اللَّهُ أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا وَأَسْلَمُوا غُفِرَ لَهُمْ.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآن ودليله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بَغْتَةً: فَجَاءَةً.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾.

أي يا نَدَمَا، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها، إذا قال
القاتل: يا حَسْرَتاهُ وَيَا وَيْلَاهُ، فتأويله الحسرة والويل قَدْ حَلَّ بِهِ وانهما لازمان
له غير مفارقين، ويجوز يا حَسْرَتِي، وزعم الفراء أنه يجوز يا حَسْرَتَاهُ على كذا
وكذا بفتح الهاء، وَيَا حَسْرَتَاهُ - بالكسر والضم. والنحويون أجمعون لا
يجيزون أن تثبت هذه الها في الوصل وزعم أنه أنشده من بني فُقْعَسَ رَجُلٌ مِنْ
بني أسد: (١).

يَا رَبُّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسْأَلُ عَفْرَاءَ يَا رَبَّاهُ مِنْ قَبْلِ الْأَجَلِ
وأنشده أيضاً (٢):

(١) لبعض بني أسد، انظر الخزانة ٢٦٢/٣ وبعده.

فإن عفرَاء من الدنيا الأمل

وأورده الفراء في معانيه في الآية نفسها. وأسل بمعنى أسأل.

(٢) انظر الشاهد ١٤٧ من الخزانة ص ٣٣٩ ج ٢ (سلفية) - وهو شاهد على أن هاء السكت بعد

الألف - تضم وتفتح - وبعده:

إذا أتى قربته للساقية

وضبط ناجية بالميم والميم - وبنو ناجية قوم من العرب، وناجية ماء لبني أسد وموضع بالبصرة

والسانية الدلو العظيمة، والناقة التي يسقى عليها من البئر - يقال أيضاً يسنى عليها. وجاء البيت:

يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارٍ نَاجِيَةٍ

والذي أعرف ان الكوفيين ينشدون :

يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارٍ نَاجِيَةٍ

قال أبو إسحاق: ولا أدري لم اسْتَشْهِدَ بهذا، ولم يُقْرَأَ بِهِ قَطُّ، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئاً، وهو خطأ.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾.

خَوْفٌ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ وَكَرَاهَةٌ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ. المعنى اتبعوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ خَوْفًا أَنْ تَصِيرُوا إِلَى حَالٍ يُقَالُ فِيهَا هَذَا الْقَوْلُ، وَهِيَ حَالُ النَّدَامَةِ وَمَعْنَى ﴿عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: فِي أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ فَرَطْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ وَهُوَ تَوْحِيدُهُ وَالْإِقْرَارُ بِنُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ﴾.

أَيِّ وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.

أَوْ تَقُولَ: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

أَيِّ وَكَرَاهَةٌ أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي الْإِنْسَانُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ طُرُقَ الْهُدَى، وَالْحَيِّ فِي نَبِيِّهِ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ قَدْ بَعَثَ، لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنْ نَظْفَةٍ وَبَلَّغَهُ إِلَى أَنْ مَيِّزَ، فَالْحُجَّةُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﴿بَلَى﴾ جَوَابُ النَّفْيِ وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ لَفْظُ النَّفْيِ، وَمَعْنَى ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾، وَ ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾. كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا هُدَيْتُ، فَقِيلَ: ﴿بَلَى﴾ قَدْ

= فِي مَعَانِي الْفَرَاءِ ٢/ ٤٢٢ - «بِحِمَارٍ نَاجِيَةٍ» وَيُظْهِرُ أَنَّهُ تَصْحِيفٌ أَوْ تَحْرِيفٌ.

(١) ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولُ جِئَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ﴿١﴾ . وقال [الله تعالى]: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) [أي] حيث قالوا: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ - الآية (٢).

وقد رويت عن النبي ﷺ بكسر الكاف: «بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي» جواب للفظ النفس - كما قال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ .

وإذا قال: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ [بالفتح] فلأن النفس تقع على الذكر والأنثى، فخطوب المذكورين. ومثل ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ - على خطابه المؤمن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٣). وقوله - عز وجل:-

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ .

القراءة على رفع ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ على البدل من الذين كفروا، المعنى ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مُسْوَدَّةٌ، والرفع (٤) أكثر وعليه القراءة ومثل النصب قول عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

دَعَيْنِي إِنْ أَمَرَكِ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتَنِي حَلَمِي مُضَاعَاً (٥)
﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ .

و «بِمَفَازَاتِهِمْ» يقرأ أن جميعاً.

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨ .

(٢) ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . الأنعام الآية ٢٧ .

(٣) سورة الفجر الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٤) أي وجوههم بدل من الذين كفروا .

(٥) البيت من شواهد النحو - انظر باب البدل في ابن عقيل وشواهد شذور الذهب ١٣١ ، وفي

كتاب سيبويه ٧٧/١ منسوباً إلى رجل من نجيلة أو خثعم، وهو في الخزانة ٣٦٨/٢ .

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي مفاتيح السموات، المعنى ما كان من شيء من السموات والأرض
فألله خالقه وفاتح بابه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

أي الذين يقولون إن شيئاً ليس مما خلق الله أو رزقه من السموات
والأرض فليس الله خالقه، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

ثم أعلم الله - جل وعز - أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك
له فقال قل لهم بعد هذا البيان: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ﴾ منصوب «بِأَعْبُدُ» لا بقوله ﴿تَأْمُرُونِي﴾ المعنى أغير الله أعبد
أيها الجاهلون فيما تأمرونني.

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾.

نصب لفظ ﴿اللَّهُ﴾^(١) - جل وعز - بقولك ﴿فاعبد﴾، وهو إجماع في قول
البصريين والكوفيين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، كأنه قال: قد تبيّنت
فاعبد الله.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

ويقرأ قَدْرُهُ - بفتح الدال. جاء في التفسير: ما عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ.
والقَدْرُ والقَدَر ههنا بمعنى واحد.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعة
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾.

(١) في الأصل: نصب اللفظ بالله عز وجل.

أَكْثَرَ الْقِرَاءَةِ رَفَعُ ﴿مَطْوِيَّاتٍ﴾ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، وَقَدْ قُرِئَتْ: «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ» - بِكسرة التاء على معنى: والأرض جميعاً والسَّمَاوَاتُ قبضته يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ «مَطْوِيَّاتٍ» منصوب على الحال^(١).

وقد أجاز بعض النحويين «قَبْضَتَهُ» بِنصب التاء، وهذا لم يقرأ به ولا يجيزه النحويون البصريون، لا يقولون: زَيْدٌ قَبْضَتَكَ، ولا «الْمَالُ قَبْضَتَكَ» على معنى في قَبْضَتِكَ، ولو جاز هذا لجاز زيد دَارَكَ يريدون زَيْدٌ في دَارِكَ.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: وقد فسرناه.

﴿فَصَبَقَ﴾: أي مات.

﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

وجاء في التفسير أنه الْقَرْنُ الذي ينفخ فيه اسرافيل، وقال بعض اهل اللغة: هو جمع صورة^(٢).

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الاستثناء وقع على جبريل وميكائيل ومَلَكِ الموت، وجاء أن الاستثناء على حملة العرش.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

معناها لما أراد الله الحساب والمجازاة أشرقت الأرض، وفي حديث النبي ﷺ أنه قيل له: أترى رَبَّنَا يا رسول الله، فقال: أَتُضَارُّونَ في رُؤْيَاةِ الشَّمْسِ والقمر في غير سَحَابٍ، قالوا: لا، قال فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَاةِ.

(١) السَّمَاوَاتُ معطوف على الأرض - وخبرها محذوف. أي هي أيضاً في قبضته.

(٢) سبق أنه رأى أبي عبيدة وأنه غير جيد.

(٣) في الأصل إلا ما شاء.

وجاء في الحديث: لا تضامون في رؤيته، والذي جاء في الحديث مخفف
تُضَارُونَ، وتضامون، وله وجه حسن في العربية.

وهذا موضع يحتاج إلى أن يُستقصى تفسيره لأنه أصل في السنة
والجماعة ومعناه لا يَنَالُكُمْ ضَيْرٌ وَلَا ضَيْمٌ في رُؤْيَيْهِ، أي ترونه حتى تستوا في
الرؤية فلا يَضِيمُ بعضكم بعضاً، ولا يَضِيرُ بعضكم بعضاً.

وقال أهل اللغة قولين آخرين: قالوا: لا تُضَارُونَ بتشديد الراء ولا
تضامون بتشديد الميم. مع ضم التاء في تضامون وتضارون.

وقال بعض أهل اللغة بفتح التاء وتشديد الراء تُضَارُونَ في رؤيته ولا
تَضَامُونَ على معنى تتضارون وتتضامون. وتفسير هذا أنه لا يُضَامُ بعضكم
بعضاً وَلَا يُخَالِفُ بعضكم بعضاً في ذلك. يقال: ضَارَرْتُ الرَّجُلَ أَضَارُهُ مضارّةً
وَضِرَاراً إذا خالفته قال نابغة بني جعدة:

وَحَصْمِي ضَرَارٌ ذَوِي تَدْرٍ متى يأت سلمها يشغب^(١)

ومعنى لا تضامون في رؤيته لا ينضم بعضكم إلى بعض، ويقول واحد
للآخر: أرنيه كما تفعلون عند النظر إلى الهلال، فهذا تفسير بين، وكل ما قيل
في هذا.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾: أَلْبَسَتِ الْإِشْرَاقَ بِنُورِ اللَّهِ.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إلى قوله ﴿خَالِدِينَ﴾^(٢).

اختلف الناس في الجواب لقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾. فقال قوم: الواو
مسقطة^(٣) المعنى حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها.

قال أبو إسحاق: سمعت محمد بن يزيد يذكر أن الجواب محذوف، وإن

(١) في الديوان - ٧ الضرار المضارة، وتدرأ تدافع ومشادة. والشغب اهاجة الشر.

(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾. (٣) زائدة تسقط تقديراً.

المعنى ، حتى إذا جاءوها إلى آخر الآية سعدوا . قال فالمعنى في الجواب حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى السعادة .

وقال قوم حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها ، فالمعنى عندهم أن «جاءوها» محذوف . وعلى معنى قول هؤلاء أنه اجتمع المجيء مع الدخول في حال ، المعنى حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها .

قال أبو إسحاق : والذي قلته أنا - وهو القول إن شاء الله - أن المعنى ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ دخلوها ، فالجواب «دخلوها» ، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه .

ومعنى ﴿طَبَّطُمْ﴾ أي كنتم طيبين في الدنيا لم تكونوا خبيثين ، أي لم تكونوا أصحاب خبائث .

وقوله : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ .

يعني أرض الجنة نتخذ منها من المنازل ما شئنا ، والعرب تقول لكل من اتخذ منزلاً : تبوأ فلان منزلاً .

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ .

معنى ﴿حَافِينَ﴾ مُحْدِقِينَ ، وكذا جاء في التفسير .

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

فابتدأ الله - عز وجل - خلق الأشياء بالحمد وختمه بالحمد ، فقال : ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾^(١) فلما أفنى الخلق وبعثهم وحكم بينهم ، فاستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ختم بقوله : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ .

(١) أول سورة الأنعام .

سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

الحواميم كلها مكية، نزلت بمكة، قال النبي ﷺ: مثل الحواميم في القرآن كمثّل الجَبَرَات في الثياب. وقال ابن مسعود: الحواميم ديباج القرآن، وجاء في التفسير عن ابن عباس - رحمه الله - ثلاثة أقوال في حَمْد، قال: حَمْد اسم الله الأعظم، وقال: حَمْد قَسَمٌ، وقال: حَمْد حروف الرحمن مقطعه، والمعنى: «الر» و «حَمْد» بمنزلة الرحمن. وقد فسرنا إعراب حروف الهجاء في أول البقرة.

والقراءة فيها^(١) على ضربين، حم بفتح الحاء، وحم بكسر الحاء^(٢)، فأما الميم فساكنة في قراءة القراء كلهم إلا عيسى بن عمر فإنه قرأ: حَمَد والكتاب، بفتح الميم، وهو على ضربين أحدهما أن يجعل حَمْد اسماً للسورة، فَتَصَبَّه ولا ينونه لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل، ويكون المعنى اتل حَمْد. والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف هجاء.

(١) في حم.

(٢) بالامالة.

وقوله عز وجل: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

على صفات الله، فأما خفضُ ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فعلى البذل لأنه مما يوصف به النكرة.

وقوله: ﴿ذِي الطُّولِ﴾.

معناه ذي الغنى والفضل والقدرة. تقول: لفلان على فلان طول إذا كان له عليه فضل.

وقوله جل وعز: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ [إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا]﴾.

المعنى في دفع آيات الله بالباطل ليدحض به الحق، إلا الذين كفروا. ﴿وَمَعْنَى فَلَا يَغْرُزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾.

أي فلا تغررك سلامتهم بعد كفرهم حتى إنهم، يتصرفون كيف شاءوا، فإن عاقبة كفرهم العذاب والهلاك. ثم بين كيف ذلك وأعلم أن الأمم التي كذبت قبلهم أنهم أهلكوا^(١) بقوله:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

يعني عاداً وثمود وقوم لوط والأمم التي أهلكت بين ذلك.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

أي ليتمكنوا منه فيقتلوه.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

أي ليدفعوا به الحق.

(١) أعلم أن الأمم التي كذبت قبلهم نالهم الهلاك.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾.

أي جعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرُّسلِ أَنْ أَخَذَتْهُمْ فَعَاقَبَتْهُمْ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

أي إنهم يجتازون بالأمكنة التي أهلك فيها القوم فيرون آثار الهلاك.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أي ومثل ذلك حقت كلمة ربك - يعني [به] قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(١) أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿

ويجوز «إِنَّهُمْ»، ثم أخبر - جَلَّ وعز - بِفَضْلِ الْمُؤْمِنِينَ فقال:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾.

يعني الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فالمؤمن تستغفر له الملائكة المقربون.

ويعني: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

المعنى يقولون: ربنا وسعت كل شيء، أي تقول الملائكة. وقوله: ﴿رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ منصوب على التمييز.

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

(١) في الأصل. يعني بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ والآية رقم ١١٩ من سورة هود هي: ﴿وَنُفِثَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

أي لزموا طريق الهدى التي دعوت إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

«مَنْ» في موضع نصب، عطف على الهاء والميم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾، [أي] وأدخل من صلح. ويصلح أن يكون عطفاً على الهاء والميم في قوله: ﴿وَعَدْتُهُمْ﴾ فيكون المعنى وَعَدْتُهُمْ ووعدت من صلح من آبائِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه أن الذين كفروا ينادون إذا كانوا في حال العذاب لمقت الله إياكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إِذْ عُذِّبْتُمْ فِي النَّارِ.

قَالُوا ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾.

أي قد أَرَيْتَنَا من الآيات ما أَوْجَبَ علينا أَنْ نَعْتَرِفَ.

﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

وقالوا في ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أي خلقتنا أمواتاً ثم أحييتنا ثم أَمَتْنَا بعدُ، ثم بَعَثْنَا بعدَ الْمَوْتِ.

وقد جاء في بعض التفاسير أن إحدى الحياتين، وإحدى الموتيتين أن يحيا في القبر ثم يموت، فذلك أدل على أحييتنا وأمَتْنَا، والأول أكثر في التفسير.

وقوله عز وجل: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

جاء في التفسير أن الروح الوحي، وجاء أن الروح القرآن وجاء أن الروح

أمر النبوة. فيكون المعنى تلقي الروح أو أمر النبوة على من تشاء، على من تختصه بالرسالة.

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

أي لينذر النبي ﷺ بالذي يوحى إليه يوم التلاق، ويجوز أن يكون لينذر الله يوم التلاق، والأجود - والله أعلم - أن يكون لينذر النبي ﷺ. والدليل على ذلك أنه قرئ لتُنْذِرَ يوم التلاق - بالتاء - . ويجوز يوم التلاقي بإثبات الياء، والحذف جائز حسن لأنه آخر آية.

ومعنى التلاقي يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السماء. وتأويل الروح فيما فسرنا أنه به حياة الناس، لأن كل مُهْتَدٍ حَيٌّ، وكل ضَالٌّ كَالْمَيِّتِ، قال الله عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١). وقال: ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢). وهذا جائز في خطاب الناس، يقول القائل لمن لا يفقه عنه ما فيه صلاحه: أنت مَيِّتٌ.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾.

معنى أنذرهم خوْفهم، والآفة يوم القيامة، كذا جاء في التفسير، وإنما قيل لها آفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها. يقال قد أْزَفَ الأمر إذا قَرُبَ.

وقوله: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾.

نصب ﴿كاظمين﴾ على الحال، والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمة، وإنما الكاظمون أصحابُ القلوب والمعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كَظْمِهِمْ. وجاء في التفسير أن القلب من الفزع يرتفع

(١) سورة النحل آية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فيلتصق بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه ولا يخرج فَيُسْتَرَاخُ من كَرْبِ غَمِّهِ.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿يُطَاعُ﴾ من صفة شفيع، أي ولا من شفيع مُطَاعٍ.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾.

إذا نظر الناظر نظرة خيانة عَلِمَهَا اللهُ، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانةً فذلك غير إثم، فإن عاد ونِيَّتْ الخيانة في النَّظَرِ علم الله ذلك، والله - عز وجل - عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالة واقعة.

وقوله - جل وعز -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدلُّ على صِحَّتِهِ نبوته، من العصا وإخراج يده بيضاء من غير سوء، وأشباه ذلك.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ : أي حجة ظاهرة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

هذه الاسماء في موضع خفض إلا أنها فتحت لأنها لا تَنْصَرِفُ لأنها معرفة وهي أعجمية.

﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

المعنى فقالوا هو ساحر كذاب، جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سِحْرًا.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾.

وإنه كان قَيْلَ لفرعون إن ملكه يزول بسبب غلام يُؤَلَّد، فقليل افعلوا هذا حتى لا ينجو المولود.

﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ .
أي يذهب باطلاً، ويحقيق الله به ما يُريد^(١).
وقوله: ﴿أَوْ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ .

على هذا مصاحف أهل العراق، وفي مصحف أهل الحجاز: ﴿أَوْ أَنْ يَظْهَرَ﴾
بغير ألف، ويجوز وأن يَظْهَرَ، ومعنى أو وقوع أحد الشيئين فالمعنى على «أو»
أن فرعون قال إني أخاف أن يُبدَلَ دينكم أو يُفْسِدَ، فجعل طاعة الله تعالى هي
الفساد، فيكون المعنى إني أخاف أن يبطل دينكم البتة، فإن لم يبطله أَوْقَعَ
فيه الفساد، ومن قرأ «وَأَنْ» فيكون المعنى أخاف إبطال دينكم والفساد معه.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ .

جاء في التفسير أن هذا الرَّجُل أعني مؤمن آل فرعون، كان يسمى
سِمْعَانَ، وقيل كان اسمه حَبِيباً، ويكون ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للرَّجُل، ويكون
﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ معه محذوف، ويكون المعنى يكتم إيمانه مِنْهُمْ، ويكون يكتم من
صفة رجل، فيكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ .

المعنى لأن يقول ربي الله.

﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

أي بما يدل على صدقه من آيات النبوة.

﴿وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ : أي فلا يضرُّكم.

(١) ينزل بمكر فرعون ويحيط به ما يريد مما يفسده.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

وهذا من لطيف المسائل، لأن النبي ﷺ إذا وعد وعُداً وقع الوعدُ بأسره، لم يقع بعضه، فالسؤال في هذا من أين جاز أن يقول بعض الذي يَعِدُكُمْ، وحق اللفظ كل الذي يَعِدُكُمْ فهذا باب من النَّظَرِ يذهب فيه المناظرُ إلى الزام الحجة بأيْسَرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل ومثل هذا قول الشاعر^(١):

قد يدرك المتأني بعض حاجته وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المستعجل الزَّلُّ
إنما ذكر البعض ليجب له الكُلُّ، لا أن البعض هو الكل ولكن للقتال إذا قال أَقْلُ ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، وكأنَّ مؤمِنَ آلِ فرعونَ قال لهم: أَقْلُ ما يكون في صدقه أن يُصِيبَكُمْ بعضُ الذي يعدكم، وفي بعض ذَلِكَ هَلَاكُكُمْ، فهذا تأويله والله أعلم.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

هذه حكاية قول مؤمن آل فرعون. أعلمهم الله أن لهم الملك في حال ظهورهم على جميع الناس. ثم أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافع ولا ينصر منه ناصر فقال:

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾.

أي مثل يوم حَزْبِ حِزْبٍ، والأحزاب ههنا قوم نوح وعاد وثمودَ وَمَنْ أَهْلَكَ بَعْدَهُمْ وَقَبْلَهُمْ.

(١) هو القطامي وتقدمت أبيات من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١٢٣ مع أبيات أخرى من القصيدة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وهو في شواهد الكشاف، ونسبه المرزوقي إلى الأعشى وهو خطأ - والقصيدة مشهورة أولها - إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.

ومعنى: ﴿مِثْلَ دَابِ [قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ].

مثل عادة، وجاء في التفسير مثل حال قوم نوح، أي أخاف عليكم أن تقيموا على كُفْرِكُمْ فينزل بكم^(١) ما نزل بالأمم السَّالِفَةِ المَكْذِبَةِ رُسُلَهُمْ. ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾.

بكسر الدال - وقرأ الحَسَنُ يوم التنادي - بإثبات الياء -، وأكثر القراءة التناد، وقرأ ابن عباس يوم التَّنَادِ - بتشديد الدال، والأصل التنادي وإثبات الياء الوجه، وحذفها حسن جميل لأن الكسرة تدل عليها الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال^(٢).

ومعنى يوم التنادي يوم ينادي ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾^(٣) وينادي ﴿أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾^(٤). ويجوز - والله أعلم - أن يكون «يَوْمَ التَّنَادِ» يوم يدعى كل أناس بإمامهم^(٥).

ومن قرأ يوم التَّنَادِ بتشديد الدال، فهو من قولهم نَدَّ فلانٌ ونَدَّ البعيرُ إذا هَرَبَ على وجهه، ومما يدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾^(٦). وقوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٧).

(١) في الأصل بهم.

(٢) هكذا في الأصل، ويبدوانه «على الكسر» فهذا ما يقتضيه السياق.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٤.

(٤) في سورة الأعراف الآية ٥٠ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾.

(٥) سورة الاسراء الآية ٧١.

(٦) الآية التي بصدد التفسير: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾.

(٧) سورة عبس آية ٢٤، ٢٥.

وجاء في التفسير أنهم يؤمر بهم إلى النار فيفرون ولا يعصمهم من النار عاصم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

أي الآيات المعجزات.

﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

أي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ: ﴿مُسْرِفٌ﴾ ههنا كافر، و﴿مُرْتَابٌ﴾ شاك في أمر الله وأنبيائه.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾.

«الذين» في موضع نصبٍ على الرد على «مَنْ» أي كذلك الله يُضل الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة اتَّهَمُ، ويجوز أن يكون موضع «الذين» رفعاً على معنى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ هم الذين يُجَادِلُونَ.

وقوله عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي كُبرِ جِدَالُهُمْ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وعند الَّذِينَ آمَنُوا.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ [جَبَّارٍ]﴾.

ويقراً عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ، والأول الوجه، لأن المتكبر هو الانسان، وقد يجوز أن تقول: قلب متكبر، أي صَاحِبُهُ مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾.

والصرح القصر، وكل بناء عظيم فهو صرح .
﴿لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ﴾ .

جاء في التفسير أبواب السماء، والأسباب في اللغة ما اتصل بالشيء، وكذلك يقال للحبل سبب، لأنه يوصلُ بالأمور . وجاء في التفسير أيضاً طُرُقُ السَّمَوَاتِ . فالمعنى - والله أعلم - لعلني أبلغ إلى الذي يؤديني إلى السموات . ويقرأ ﴿فَأُطْلِعُ﴾ - بالرفع والنصب .
﴿وَإِنِّي لَأُظَنُّ كَاذِبًا﴾ .

هذا قول فرعون، يقول وإن كنت زعمت أنني أُطْلِعُ إلى إله موسى، فأنا قلت هذا على دعوى موسى لا على أنني على يقين من ذلك . فيروى أن هامان طَبَخَ الأجر لبناء الصَّرح . وأن أولَّ من طَبَخَ الأجر هامانُ .
﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ .

موضع الكاف نصب المعنى وزين لفرعون سوء عمله مثل ما وَصَفْنَا .
﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ ^(١) .

أي صَدَّ عن السَّبِيلِ المستقيم . أي المستقيمة بكفره .
﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَاتٍ﴾ .

إلا في خسرانٍ، يقال: تبت يده أي خسرتا .

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ .

يعني سبيل القصد إلى الله عز وجل، وأخرجكم عن سبيل فرعون .
فأهدكم جزم جواب للأمر . المعنى إن تتبعوني أهدكم .

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ .

(١) قرأ عاصم «صَدَّ» بالبناء للمجهول .

يعني أنه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.

قال سيويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾، فقال: لَا جَرَمَ رَدُّ لِكَلَامٍ. والمعنى وجب أَنْ لَهُمُ النَّارُ، وحق أن لهم النَّارَ، وأنشد^(١):

ولقد طعنت أبا عيينة طَعْنَةً جَرَمَتْ فَرَارَةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا
المعنى كسبتهم الغَضَبَ، وأَحَقَّتْهُمْ بِالْغَضَبِ، فمعنى ﴿لَا جَرَمَ أَنْ مَا
تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دَعْوَةٌ أي وجب بطلان
دعوته.

﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾.

وَجَبَ مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ، وكذلك ﴿وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وقوله - عز وجل - : ﴿سُوءَ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾.

﴿النار﴾ بدل من قوله ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وجائز أن تكون مرتفعة على إضمار
تفسير سوء العَذَابِ، كأن قائلًا قال: ما هو، فكان الجواب هو: ﴿النار يعرضون
عليها﴾ فإن قال قائل: كيف يُعْرَضُونَ عليها وهم من أهل النار؟ فجاء في
التفسير أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بِالْغَذَاةِ والعَشْيِ
إلى يوم القيامة. ألا ترى أن بعده ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
الْعَذَابِ﴾ ويقرأ ادخلوا على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنه ويوم تقوم الساعة
يقول ادخلوا يآل فرعون أشد العذاب.

وقرئت ﴿أَدْخِلُوا﴾ على جهة الأمر للملائكة بإدخالِهِمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

[أي] الملائكة، واحدٌ شاهدٌ، مثل صاحب وأصحاب.

(١) تقدم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ .

أي يجادلون في دفع آيات الله ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ .

أي بغير حجة أتتهم .

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ .

[أي ما هم] ببالغي إرادتهم فيه ، وإرادتهم دفع آيات الله عز وجل ودل على هذا المعنى ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ . لأن الكبر هم قد أوقعوه فليس يلبس هذا ببالغي الكبر .

وجاء في التفسير أنه يُعْنَى بِهِ الْيَهُودُ ، وإن الكبر الذي ليس هم ببالغيه تَوَقُّعُ أَمْرِ الدَّجَالِ ، فتكبروا مُتَرَبِّصِينَ يَتَوَقَّعُونَ خُرُوجَ الدَّجَالِ . فأعلم الله أن هذه الفرقة التي تجادل لا تبلغ خروج الدجال . ويدل على قول من قال هذا قول الله - عز وجل - يعقب هذا: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ .

وقوله جل وعز: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ .

معناه صَاغِرِينَ .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ .

جاء في التفسير أن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث ثمانية ألف نبيٍّ ، مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ، وجاء عن علي رضي الله عنه أنه قال : في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أن الله بعث نبياً أسود . فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ .

الأنعام ههنا الابل .

وقوله: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ .

يجوز على ثلاثة أوجه «السَّلَاسِلُ» بالنصب، و«السَّلَاسِلُ» بالخفض .
فمن رفع فعطف على الأغلال ومن جر فالمعنى إذ الأغلال في أعناقهم وفي
السلاسل ، وَمَنْ نَصَبَ فَفَتَحَ اللَّامَ قَرَأَ ﴿وَالسَّلَاسِلُ يَسْحَبُونَ﴾^(١) .

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ الآية^(٢) .

يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ﴾ .

أي ذلك العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون بالباطل الذي كنتم
فيه ، و﴿تمرحون﴾ أي تأشرون وتبطرون وتستهزئون .

﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا﴾ .

يقول حين عاينوا العذاب .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ .

على معنى سَنَ اللَّهِ هذه السُّنَّةُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهَا ، لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ إِذَا
رَأَوْا الْعَذَابَ .

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ .

وكذلك : ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ .

والمبطلون والكافرون خاسرون في ذلك الوقت وفي كل وقت خاسرون ،
ولكنه تعالى بيّن لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب .

(١) على أنه مفعول معه .

(٢) ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقُّ بِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ .

سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حُم. تَنْزِيلٌ [مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]﴾.

[تنزيل] رفع بالابتداء، وخبره ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾. هذا مذهب البصريين، وقال الفراء يجوز أن يكون ﴿تنزيل﴾ مرتفعاً بحم، ويجوز أن يرتفع بإضمار هذا. المعنى هذا تنزيل من العزيز الرحيم، أي هو تنزيل.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

نصب ﴿قُرْآنًا﴾ على الحال. المعنى بينت آياته قرآناً، أي بينت آياته في حال جمعه عربياً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي بينا لمن يعلم.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: من صفته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾.

في غُلفٍ، أي ما تدعوننا إليه لا يصل إلى قلوبنا لأنها في أغطية، وواحد الأكنة كنان.

﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾.

أَيَّ صَمَمَ . وقفل يمنع من الاستماع لقولك أي نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يستمع قولك .

﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ .

أي حاجز في النحلة والدين . وهو مثل قلوبنا في أكنته ، إلا أن معنى هذا أنا لا نجامعك في مذهب .

﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ .

أي على مذهبنا ، وأنت عامل على مذهبك . ويجوز أن يكون فاعمل في إبطال مذهبنا إنا عاملون في إبطال أمرك .

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ .

أي لا يرونها واجبة عليهم ، ولا يعطونها .

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ .

لو أراد - جل وعلا - أن يخلقها في لحظة لفعل ولكن ذلك سائغا في قدرته ، ولكنه أحب أن يُبصر الخلق وجوه الأناة والقُدرة على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة وفي لحظة واحدة لأن المخلوقين كلهم والملائكة المقربين لو اجتمعوا على أن يخلقوا مثقال ذرة منها ما خلقوا .

وجاء في التفسير أن ابتداء خلق الأرض كان في يوم الأحد واستقام خلقها في يوم الاثنين .

﴿وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ .

في الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أربعة أيام ، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَاسِي مِنْ فَوْقَهَا وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ .

أي في تمة أربعة أيام .

﴿سَوَاءٌ لِلَّسَّائِلِينَ﴾ .

وَسَوَاءٌ، ويجوز الرفع . فمن خفض جَعَلَهُ صَفَةً لِلْأَيَّامِ .

المعنى في أربعة أَيَّامٍ مُسْتَوِيَّاتٍ، ومن نصب فعلى المصدر، على معنى استوت سَوَاءً، واستَوَاءً. وَمَنْ رَفَعَ فعلى معنى هي سَوَاءٌ.

ومعنى ﴿لِلَّسَّائِلِينَ﴾، مُعَلَّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، لكل محتاج إلى القوتِ . وَإِنَّمَا قِيلَ لِلَّسَّائِلِينَ، لَأَن كُلًّا يَطْلُبُ الْقُوتَ وَيَسْأَلُهُ . ويجوز أن يكون للسائلين لمن سأل في كم خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ؟ ف قيل: خُلِقَتِ الْأَرْضُ في أربعة أيام سَوَاءً، لَا زِيَادَةَ فِيهَا وَلَا نَقْصَانَ جَوَاباً لِمَنْ سَأَلَ .

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ الآية .

معنى استوى عَمَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَصَدَ .

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ .

على الحال مَنْصُوبٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ طَائِعِينَ دُونَ طَائِعَاتٍ، لِأَنَّهُنَّ جَرَيْنَ مَجْرَى مَا يَعْقِلُ وَيُمِيزُ، كما قيل في النجوم: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وقد قيلَ قَالَتَا أَتَيْنَا [أَي] نَحْنُ وَمَنْ فِينَا طَائِعِينَ، وَمَعْنَى ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ على معنى أَطِيعَا لما أَمَرْتُ طَوْعاً، بمنزلة أَطِيعَا الطَّاعَةَ أَوْ تُكْرَهَا إِكْرَاهاً .

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ .

فَخَلَقَهُنَّ وَصَنَعَهُنَّ . قَالَ أَبُو ذُوئِبٍ^(١) .

(١) من عينيه التي رثى بها أولاده - وهي المفضلية ٨٧٨، وفي اللسان وتبع قضي، وديوان الهذليين

١٩ . مسرودتان درعان منسوجتان - وقد سبق .

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ، أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تَبْعُ .
معناه عملهما وصنعتهما .

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ .
قِيلَ مَا يُضْلِحُهَا ، وَقِيلَ مَا لَيْكُتُهَا .
﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ .

معناه وحفظناها مِنْ اسْتِمَاعِ الشَّيَاطِينِ بِالْكَوَاكِبِ حِفْظًا فَقَالَ :
قُلْ أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِمَنْ هَذِهِ قُدْرَتُهُ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا أَيَّ أَصْنَامًا
تُنْحَتُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ .
﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

أي الذي هذه صفته وله هذه القدرة رَبُّ الْعَالَمِينَ .
ثم قال : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ .
أي فإن لم يقبلوا رسالتك بعد هذه الإِبَانَةِ ويوحِّدوا اللَّهَ .
﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ .
أي أنذرتكم بَأَن يَنْزِلَ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِمَنْ كَفَرَ مِنَ الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ ، ثم قصَّ
قِصَّةَ كُفْرِهِمْ وَالسَّبَبَ فِي عُتُوِّهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ فَقَالَ :
﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ .
فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فَقَالَ :
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ .
ويروى نَحْسَاتٍ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الصَّرْصَرُ الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ . وَجَاءَ فِي

التفسير الشديدة البرد، وَنَحِسَاتٍ مَشْتَوِمَاتٍ واحدها نَحْسٌ، ومن قرأ نَحِسَاتٍ فواحدها نَحْسٌ، قال الله - عز وجل -: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.

الْحَبِيدُ اسقاط التنوين، ويقرأ ثَمُودٌ - بالتنوين - ويجوز ثَمُوداً بِالنَّصْبِ، بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره، ومعنى «هَدَيْنَاهُمْ» قال قَتَادَةُ يَبَيِّنُ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى وَطَرِيقَ الضَّلَالَةِ، ﴿فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾.

والاختيار رفع ثمود على الابتداء والخبر، وهذا مذهب جميع النحويين، اختيار الرفع، وكلهم يجيز النَّصْبَ.

وقوله - عز وجل -: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾.

فَالْهُونُ والخزي الذي يهينهم ويخزيهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

يقرأ الى النَّارِ - بفتح النون والتفخيم - وقراءة أبي عَمْرٍو - إلى النَّارِ - على الإماله إلى الكسر - وإنما يختار ذلك مع الرَّاءِ - يعني الكسر - لأنها حرفٌ فيه تكريرٌ، فلذلك آثر أبو عَمْرٍو الكسر.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

جاء في التفسير يُحْسُ أَوْلُهُمْ على آخِرِهِمْ، وأصله من وزَعْتُهُ إذا كَفَفْتُهُ، وقال الحسن البصري حين وَلِيَ الْقَضَاءُ: لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وَزْعَةٍ^(١)، أي لا بد لهم من أعوانٍ يَكْفُونُ النَّاسَ عَنِ التَّعَدِّي.

(١) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً...﴾ سورة القمر / ١٩.

(٢) يقال وزعه يزعه - بفتح الزاي وكسرها وَزَعاً - كفه، والوازع في الحرب الموكل بالصفوف - وجمع الوازع وزعة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ .
 جاء في التفسير «جُلُودُهُمْ» كناية عن الفرج، المعنى شَهِدَتْ فروجهم
 بمعاصيهم .

﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ .
 أي جعلنا الله شهوداً .
 ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ .

مرفوع بخبر الابتداء، و﴿أَرَادَاكُمْ﴾ خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون
 ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدلاً مِنْ ﴿ذَلِكُمْ﴾، ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بِرَبِّكُمْ
 أَرَادَاكُمْ، ومعنى «أَرَادَاكُمْ» أَهْلَكَكُمْ .

﴿وَقِيضْنَا﴾ : وسببنا من حيث لا يَحْتَسِبُونَ ﴿ .
 ﴿لَهُمْ قُرْآنٌ . .﴾ الآية (١) .

يقول زينوا لهم أَعْمَالُهُمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا ويشاهدونها، وَمَا خَلَقَهُمْ، وما
 يَعْرِضُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ (٢) .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ .

أي عارضوه بكلام لا يُفْهَم يكون ذلك الكلام لَغَوْاً، يقال: لغا يَلْغُو
 لَغَوْاً، ويقال لَغِيَ يَلْغِي لَغَوْاً إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لا يُحْصَل ولا
 تفهم حقيقته .

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ .

هذا يدل على رفعه .

قوله : ﴿فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً﴾ .

المعنى ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء الله، ﴿النَّارُ﴾ رفع بدل من ﴿جزاء

(١) ﴿فَرِيتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ .
 (٢) ما يأتي بعد ذلك .

أعداء الله ﴿١﴾، وإن شئت رفعت النار على التفسير، كأنه قيل ما هو فويل هي النار.

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾.

أي لهم في النار دار الخلد، والنار هي الدار، كما تقول: لك في هذه الدار دار السُرور، وأنت تعني الدار بعينها كما قال الشاعر^(١):

أخور غائب يعطيها ويسألها يأبى الظلّامة منه النّوْفَلُ الزُّفْرُ
وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا﴾.

بكسر الراء وبإسكانها - لثقل الكسرة كما قالوا في فخذٍ فخذٌ، ومن كسر فعلى الأصل، والكسر أجود لأنه في الأصل أرئنا فحذفت الهمزة وبقيت الكسرة دليلاً عليها والكسر أجود.

ومعنى الآية فيما جاء من التفسير أنه يعني بهما ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وإبليس، فقابيل من الإنس وإبليس من الجن.

ومعنى: ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾.

أي يكونان في الدرك الأسفل.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

[أي] وحدوا الله، واستقاموا: عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه.

﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

بُشْرَاءٍ يبشرونهم عند الموت وفي وقت البعث فلا تهولهم أهوال القيامة.

وقوله: ﴿نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

(١) تقدم في الجزء الأول / ٤٥٢.

معناه وأبشروا بالجنة تنزلونها نُزْلاً. قال أبو الحسن الأخفش: ﴿نُزْلاً﴾ منصوبٌ من وجهين أحدهما أن يكون منصوباً على المصدر، على معنى لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أنزلناه نُزْلاً، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال على معنى لكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلاً نُزْلاً، كما تقول جاء زيد مَشياً في معنى جاء زيد ماشياً.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾.

منصوب على التفسير كما تقول زيد أحسن منك وجهاً، وجاء في التفسير أنه يعنى به محمد ﷺ لأنه دعا إلى توحيد الله، وجاء أيضاً في التفسير عن عائشة وغيرها أنها نزلت في المؤذنين.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾.

و «لا» زائدة مؤكدة، المعنى لا تستوي والسيئة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

معناه ادفَعْ السيئة بالتي هي أحسن.

﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: الحميم القريب.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

أي ما يلقي مجازاة هذا أي وما يلقي هذه الفعلة إلا الذين صبروا، أي إلا الذين يكظمون الغيظ.

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

الحظ ههنا الجنة، أي وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة، ومعنى ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، أي حَظٍّ عَظِيمٍ في الخير.

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾.

يقول إن نزغك من الشيطان ما يصرفك به عن الاحتمال فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾.

أي من علاماته التي تدل على أنه واحد.

وقوله: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

وقد قال: الليل والنهار والقمر وهي مُذَكَّرَةٌ، وقال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ والهاء والنون يدلان على التأنيث، ففيها وجهان أحدهما أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فسُقها، وَإِنْ شئت فسُقهنَّ، وإنما يكون «خَلَقَهُنَّ» لما يعقل لا غير، ويجوز أن يكون خلقهن راجعاً على معنى الآيات لأنه قال: ومن آياته هذه الأشياء.

﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

هذه خطاب لمحمد ﷺ و﴿الَّذِينَ﴾ ههنا يعنى به الملائكة، فالمعنى فإن استكبروا وَلَمْ يُوحِدُوا اللَّهَ وَيَعْبُدُوهُ وَيُؤْمِنُوا بِرَسُولِهِ، فالملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾.

﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.

لَا يَمَلُّونَ - ثم زَادَهُمْ في الدلالة فقال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾.

أي مُتَهَشِّمَةً متغيرة، وهو مثل هامدة.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهِمَاءً اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ﴾ .

ويقرأ وَرَبَّاتٌ بالهمز، ومعنى ربت عظمت، ومعنى ربأت ارتفعت لأنَّ
النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض .

وقوله - عز وجل - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ [فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا]﴾ .

[يُلْحِدُونَ] بفتح الياء والحاء، وتفسير يُلْحِدُونَ يجعلون الكلام على غير
جِهَتِهِ، ومن هذا اللَّحْدُ لأنه الحفرُ في جانب القبر، يُقال لَحْدٌ وَالْحَدُّ، في
معنى وَاحِدٍ .

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ .

لفظ هذا الكلام لفظ أمرٍ، ومعناه الوعيد والتهديد، وقد بيَّن لهم المجازاة
على الخير والشر .

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ﴾ .

فيه وجهاد أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يَأْتِي بعده كتابٌ
يُبْطِلُهُ، والوجه الثاني أنه محفوظ من أن ينْقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو
يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) .

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

أي تكذيبك كما كُذِّبَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ، وقيل لهم كما يقول الكفار
لك، ثم قال :

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: المعنى لمن آمن بك .

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لِمَنْ كَذَّبَكَ .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ .

أي بَيَّنَّتْ .

﴿[أَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ]﴾ .

وتقرأ أَعْجَمِيٍّ بهمزةً وبهمزة واحدة وبهمزة بعدها مخففة تشبه الألف، ولا يجوز أن يكون أَلْفًا خَالِصَةً لأن بعدها العين وهي ساكنة، وتقرأ أَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ - بهمزة واحدة وفتح العين، وقرأ الحسن أَعْجَمِيٍّ بهمزة وَسَكُونِ الْعَيْنِ .

وَالَّذِي جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ الْمَعْنَى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا: هَلَا بَيَّنَّتْ آيَاتِهِ، أَقْرَأَ أَعْجَمِيٍّ وَنَبِيٍّ عَرَبِيٍّ . فَمَنْ قَرَأَ أَعْجَمِيٍّ فَهَمْزَةٌ وَأَلْفٌ فَإِنَّهُ مَنسُوبٌ إِلَى اللِّسَانِ الْأَعْجَمِ، تَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ أَعْجَمِيٍّ إِذَا كَانَ لَا يُفْصِحُ إِنْ كَانَ مِنَ الْعَجَمِ أَوْ مِنَ الْعَرَبِ، وَتَقُولُ: هَذَا رَجُلٌ عَجَمِيٍّ إِذَا كَانَ مِنَ الْأَعْجَمِ، فَصِيحًا كَانَ أَمْ غَيْرَ فَصِيحٍ، وَمِثْلُ ذَلِكَ: هَذَا رَجُلٌ أَعْرَابِيٍّ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَكَانَ جَنْسُهُ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ، وَالْأَجُودُ فِي الْقُرْآنِ أَعْجَمِيٍّ بِهَمْزَةٍ وَأَلْفٍ عَلَى جِهَةِ النِّسْبَةِ إِلَى الْأَعْجَمِ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾، وَلَمْ يَقْرَأْ أَحَدٌ عَجَمِيًّا، فَأَمَّا قِرَاءَةُ الْحَسَنِ أَعْنِي أَعْجَمِيٍّ بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ لَا عَلَى مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ وَلَكِنْ عَلَى مَعْنَى هَلَّا بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ، فَجَعَلَ بَعْضُهُ بَيَانًا لِلْعَجَمِ وَبَعْضُهُ بَيَانًا لِلْعَرَبِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْجُهَةِ الْأَرْبَعَةُ^(١) سَائِعٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَعَلَى ذَلِكَ تَفْسِيرُهُ .

(١) الضمير بالتذكير لكل - أي كل وجه منها أو جميع هذه الأسئلة .

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.

يعني القرآن.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾.

أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾:

ويقرأ «وهو عَلَيْهِمْ عَمٍ» بكسر الميم والتنوين، ويجوز وهو عَلَيْهِمْ عَمِي
بإثبات الياء وفتحها، ولا يجوز إسكان الياء وترك التنوين.

﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

يعني من قسوة قلوبهم يُبعد عنهم ما يُتلى عليهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الكلمة وَعْدُهُمُ السَّاعَةِ، قال عز وجل: - ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾^(١)
﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا﴾^(٢).

[أي] على نفسه. ويدل على أن الكلمة ههنا الساعة قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ
عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

وقوله - عز وجل - : ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾.

نحو خروج الطلع من قشره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾.

(١) سورة القمر الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ﴾.

(٢) الآية ٤٦ من هذه السورة.

المعنى أين قولكم إن لي شركاء، واللّه - جل وعلا - واحد لا شريك له،
وقد بين ذلك في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾.

﴿آذَنَّاكَ﴾ أَعْلَمْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ لَهُمْ.

﴿وَوَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾.

أي أيقنوا.

﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: لا يَمَلُّ الخير الذي يُصِيبه، وإذا
اختبر بشيء من الشر يشس وقنط.

﴿وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

أي هذا واجب لي، بعملتي استحققتّه، وهذا يعني به الكافرون، ودليل
ذلك قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾،
يقول: إني لست أوقن بالبعث وقيام الساعة، فإن كان الأمر على ذلك إن لي
عنده للحسنى.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾.

ويقرأ تاء والمعنى مُتَقَارِبٌ، يقول: إذا كان في نعمة تباعد عن ذكر الله
ودُعَايِهِ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾، وعريض ههنا كبير، وكذلك لو كان
ذو دعاء طويل كان معناه كبيراً.

وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي سنريهم الأعلام التي تدل على التوحيد في الآفاق، وواحدتها أفق،
يقول: سنريهم آثار من مضى قبلهم مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ من الأمم وآثر خلق الله
في كل البلاد وفي أنفسهم من أنهم كانوا نطفاً ثم علقاً ثم مُضْغاً ثم عِظَماً

كُسِيتَ لِحِمًا ، ثم نقلوا إل التمييز والعقل ، وذلك كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَن الذي فعله
وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

ويجوز «إِنَّهُ» ، والقراءة «أَنَّهُ» بالفتح . وموضع ﴿بِرَبِّكَ﴾ في المعنى رفع ،
المعنى أولم يكفِ رَبُّكَ ، وموضع ﴿أَنَّهُ﴾ نصب ، وإن شئتَ كَانَ رَفْعاً ، المعنى في
النصب أولم يكفِ ربك بأنه على كل شيء شَهِيدٌ ، ومن رفع فعلى البدل ، المعنى أو
لم يكفِ أَنَّ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، أي أو لم يكفهم شهادة ربك ،
ومعنى الكفاية ههنا أنه قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَبَيَّنَّتْ
رُسُلُهُ .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ .

في شك ، «ألا» كلمة يبتدأ بها يَنْبَهُ بِهَا المخاطب توكيداً يَدُلُّ عَلَى صحة
مابعدھا .

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ .

أي عالم بكل شيء علماً يحيط بما ظَهَرَ وَخَفِيَ .

سورة الشُّورَى

حم عسق ، مكية
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل : ﴿حم . عسق﴾ .

قد بينّا حروف الهجاء، وجاء في التفسير أن هذه الحروف اسم من أسماء الله، ورويت حم سق - بغير عين - والمصاحف فيها العين باثثة .

وقوله عز وجل : ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

وقرئت يُوحَى ، وقرئت نُوحِي إِلَيْكَ وإلى الذين من قبلك بِالنُّونِ . وجاء في التفسير أن «حم عسق» قد أُوحِيَتْ إلى كُلِّ نَبِيٍّ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ وعليهم أجمعين . وموضع الكاف من «كذلك» نصبٌ، المعنى مثل ذلك يوحى إليك، فمن قرأ يوحى بالياء، فاسم الله عز جل رفع بفعله وهو يُوحِي ، وَمَنْ قرأ يُوحَى إليك فاسم الله مبين عما لم يسم فاعله، ومثل هذا من الشُّعْرِ .

ليبك يزيد ضارع لخصومةٍ ومختبط مما تطيح الطوائح^(١)
فبين من ينبغي أن يبيكه .

ومن قرأ نُوحِي إِلَيْكَ بالنون جعل نوحى إخباراً عن الله - عز وجل - .
ورفع ﴿الله﴾ بالابتداء وجعل ﴿العزیز الحكيم﴾ خبراً عن الله ، وإن شاء كان

(١) لضرار بن نهشل يبيكي أخاه يزيد، وفي كتاب سيبويه ٢٨٨/١ للحرث بن نهيك، وانظر الخزانة ١٤٧/١ وابن يعيش ٩٠/١ والعيني ٤٥٤/٢ .

﴿العزیز الحکیم﴾ صفة لله - عز وجل - يرتفع كما يرتفع اسم الله، ويكون الخبر ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

وقرئت مِمَّنْ فَوْقِهِنَّ، وقرئت ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾، ومعنى يَنْفَطِرْنَ وَيَنْفَطِرْنَ يَنْشَقَّقْنَ، وَيَتَشَقَّقْنَ، فالمعنى - والله أعلم - أي تكاد السموات ينفطرن من فوقهن لعظمة الله، لأنه لما قال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، قال: تكاد السموات ينفطرن لعظمته، وكذلك ينفطرن ممن فوقهن، أي من عظمة من فوقهن.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

معنى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعظمون الله وينزهونه عن السوء، ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين. ولا يجوز أن يكون يُسْتَغْفَرُونَ لكل من في الأرض، لأن الله تعالى قال في الكفار: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي هذا دليل على أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين، ويدل على ذلك قوله في سورة المؤمن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

﴿أم القرى﴾ مكة، وموضع ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ نصب، المعنى لتنذر أهل أم القرى ومن حولها، لأن البلد لا يعقل، ومثل هذا ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾^(٢) وقوله: ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

أي يوم يبعث الناس جميعاً، ثم أعلم ما حالهم في ذَلِكَ اليوم فقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

(٢) سورة يوسف / ٨٢.

(١) سورة غافر / ٧.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ارتفع ﴿الظالمون﴾ بالابتداء.

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(١)، الفصل بين هذا والأول أَنَّ أَعَدَّ لَهُمْ فَعَلٌ فنصب ﴿الظالمين﴾ بفعل مضمير يفسره ما ظهر، المعنى وأعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾.

أي خلق الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنَ الْحَيَوَانِ كُلِّهِ.

وقوله: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾.

أي يُكَيِّرُكُمْ بِجَعْلِهِ مِنْكُمْ وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

هذه الكاف مؤكدة، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجوز ان يقال: المعنى مثل مثله شيء، لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله تعالى عن ذلك عُلُوًّا كَبِيراً.

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾.

روي في التفسير أن أول من أتى بتحريم البنات والأخوات والأمهات نوح.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾.

أي وشرع لكم ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

(١) سورة الانسان آية ٣١.

تفسير قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ - وموضع «أن» يجوز أن يكون نصباً ورفعاً وجراً، فالنصب على معنى شرع لكم أن أقيموا الدين، والرفع على معنى هو أن أقيموا الدين، والجر على البدل من الباء^(١)، والجر أبعد هذه الوجوه، وجائز أن يكون أن أقيموا الدين تفسيراً لما وصى به نوحاً ولقوله ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾، فيكون المعنى: شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرسل وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

أي وما تفرق أهل الكتاب الا عن علم بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك بغياً أي للبغي.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾.

أي لحوزوا بأعمالهم، والكلمة هي تأجيله الساعة، يدل على ذلك قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ [كَمَا أُمِرْتَ]﴾.

معناه فإلى ذلك فادع واستقم أي إلى إقامة الدين ﴿فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.

أي آمنت بكتب الله كلها، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض.

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾.

﴿الميزان﴾: العدل.

﴿وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

إنما جاز ﴿قريب﴾ لأن تأنيث الساعة غير تأنيث حقيقي، وهو بمعنى لعل

(١) بدل من الضمير المجرور بالباء.

البعث قريب، ويجوز أن يكون على معنى لعلَّ مجيء الساعة قريبٌ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.

أي يستعجل بها من يظن أنه غير مبعوث.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون مُحَاسِبُونَ.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ﴾.

أي الذين تدخلهم المرية والشك في الساعة، فيمارون فيها ويجحدون كونها، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، لأنهم لو فكروا لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة إلى أن بَلَغُوا مَبَالِغَهُمْ، قادر على إنشائهم وبعثهم.

وقوله جل وعز: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه مَنْ كان يُرِيدُ عمل الآخرة، فالمعنى - والله أعلم - أنه من كان يريد جزاء عمل الآخرة نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ، أي نوفره، ونضاعف له الحسنات، ومن كان يُرِيدُ حَرْثَ الدنيا، أي مَنْ كَانَ إِنَّمَا يَقْصِدُ إلى الحِطِّ من الدنيا وهو غير مؤمن بالآخرة نُؤْتِهِ من الدنيا أي نرزقه من الدنيا لا أنه يُعْطَى كل ما يريدُهُ وإذا لم يؤمن بالآخرة فلا نصيب له في الخير الذي يصل إليه من عمل الآخرة.

وقوله: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ﴾.

أي تراهم مشفقين من ثواب ما كسبوا، وثواب ما كسبوا النار، ﴿وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ﴾ أي وثواب كسبهم وَقَعُ بِهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ .

[أي] والظالمون لهم النار، والمؤمنون لهم الجنة .

وقوله: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

يقراً: يُبَشِّرُ وَيُبَشِّرُ، وَيُبَشِّرُ.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ .

أي إلا أن تودوني في قرابتي . وجاء في التفسير عن ابن عباس رحمه الله أنه قال: ليس حيي من قريش إلا وللنبي ﷺ فيه قرابة، وروي أن النبي ﷺ قال لقريش: أنتم قرابتي وأول من أجابني وأطاعني، وروي أن الأنصار أتت النبي ﷺ فقالت: قد هدانا الله بك وأنت ابن إختنا، وأتوه بنفقة يستعين بها على ما ينوبه، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ .

قال أبو إسحاق: وَنَصَبُ ﴿المودة﴾ أن يكون بمعنى استثناء ليس من الأول، لا على معنى أسألكم عليه أجراً المودة في القُرْبَى، لأن الانبياء صلوات الله عليهم لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى - والله أعلم - ولكنني اذكركم المودة في القربى .

قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ :

أي من يعمل حسنة نضاعفها له .

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ .

غفور للذنوب قبول للتوبة مثيب عليها .

وقوله - عز وجل - : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ

عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُو اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ .

معناه فإن يشأ الله يُنْصِكَ ما أتاك، كذلك قال قتادة، ويجوز ﴿فإن يشأ الله يَخْتِمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم ﴿افترى على الله كَذِباً﴾، ﴿ويمحو الله الباطل﴾، الوقوف عليها «ويمحوا» بواو وألف^(١) لأن المعنى والله يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغير وأو لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتبت على الوصل، ولفظ الواو ثابت، والدليل عليه ﴿ويحق الحق بكلماته﴾، أي ويمحو الله الشرك ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيه عليه السلام.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

المعنى ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

ويقراً قَنَطُوا بكسر النون، يقال قَنَطَ يَقْنِطُ، وَقِنِطُ يَقْنِطُ إذا يش.

ويروى أن عمر قيل له قد أَجْدَبَتِ الأرض وَقِنِطُ النَّاسُ فقال: مُطِرُوا إِذَنْ، لهذه الآية.

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾.

وهي في مصحف أهل المدينة بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ - بغير فاء -، وكذلك يقرأونها خلا أباً جعفر فإنه يثبت الفاء وهي في مصاحف أهل العراق بالفاء، وكذلك قراءتهم، وهو في العربية أجود لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، المعنى ما تُصِيبُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وقرئت ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ﴾، والنصب على إضمار أن، لأن قبلها جزاء، تقول: ما تصنع أصنع مثله وأَكْرَمَكَ، وإن شئت قلت وَأَكْرَمُكَ على وأنا أكرمك، وإن شئت: وَأَكْرَمُكَ جزماً.

(١) هكذا ضبطه: ولا داعي للألف لأن الواو ليست للجماعة، وإنما هي حرف علة.

وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله أكرم من أن يثني على عبده العقوبة، أي إذا أصابته في الدنيا مصيبة بما كسبت يده لم يثن عليه العقوبة في الآخرة.

وأما من قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي لا يجازى على كثير مما كسبت أيديكم في الدنيا، وجائز أن يكون ﴿يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يجازى عليه في الدنيا ولا في الآخرة.
ومعنى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾.

ما لهم من معديل، ولا من منجى، يقال حاص عنه إذا تنحى، ويقال حاض عنه في معنى حاص، ولا يجوز أن يقرأ ما لهم من محيص، وإن كان المعنى واحداً، فأما موضع ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعاً، فمن نصب فعلى معنى ويعيب الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن رفع فعلى معنى يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لله - عز وجل - أي لما يدعوهم الله إليه.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾.

موضع ﴿الَّذِينَ﴾ خفض صفة لقوله ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

و﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، قال بعضهم كل ما وعد الله عليه النار فهو كبيرة، وقيل الكبائر من أول سورة النساء من قوله: ﴿وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾. وقد قيل: الكبائر الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، واستحلال الحرام.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع خفض أيضاً، على معنى وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وللذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة.

وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وقيل إنه ما تشاور قوم قط إلا هُتوا لأحسن ما يحضرهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا يكرهون أن يذُلُّوا أَنْفُسَهُمْ. فيجتري عليهم الفساق. وروي أنها نزلت في أبي بكر الصديق. فإن قال قائل: أهم محمودون على انتصارهم أم لا، قيل هم محمودون، لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر الله به فلم يُسْرِفْ في القتل إن كان ولي دم ولا في قصاص فهو مطيع لله عز وجل، وكل مطيع محمود، وكذلك من اجتنب المعاصي فهو محمود، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنْ تَجَتَبَّوْا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

فالأولى ﴿سَيِّئَةٍ﴾ في اللفظ والمعنى، والثانية ﴿سَيِّئَةٍ﴾ في اللفظ، عاملها ليس بمسيء، ولكنها سميت سيئة لأنها مجازاة لسوء، فإنما يجازي السوء بمثله، والمجازاة به غيرُ سيئة توجب ذنباً، وإنَّما قيل لها سيئة ليعلم أن الجَارِحَ والجاني يُقْتَصُّ مِنْهُ بمقدار جنايته، وهذا مثل قوله [تعالى]: ﴿فَمِنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تأويله كافئوه بمثله، وعلى هذا كلام العرب.

وقوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

أي الصابر يؤتى بصبره ثواباً فكل من زادت رغبته في الثواب فهو آتٍ عَزَمَ^(١)، وقد قال بعض أهل اللغة إن معنى قوله [تعالى] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢) إن منه القصاص والعفو. فالعفو أحسنه^(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

يعني ينظرون إلى النار من طرف خفيٍّ، قال بعضهم إنهم يُحْشَرُونَ عُمِيًّا فيرون النار بقلوبهم إذا عُرِضُوا عَلَيْهَا، وقيل ينظرون إليها مُسَارِقَةً.

وقوله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

أي ليس لكم مخلص من العذاب، ولا تقدرون أن تنكروا ما تقفون عليه مِنْ دُنُوبِكُمْ ولا ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾.

أي ويجعل ما يهبه من الولد ذكراً وإناثاً، فمعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا﴾، أي يُقَرِّنُهُمْ، وكل اثنين^(٤) يقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان، كل واحد منهما يقال له زوج. تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني أن عندك من العدد اثنين أي خفّين، وكذلك المرأة وزوجها زوجان.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾.

أي يجعل المرأة عقيماً، وهي التي لا تلد، وكذلك رجلٌ عقيمٌ أيضاً لا يولد له، وكذلك الريح العقيم التي لا يكون عنها مطر ولا خير.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

(٣) أحسن ما أنزل.

(١) هكذا في الأصل.

(٤) في الأصل وكل شيء.

(٢) سورة الزمر: ٥٥.

يقرأ «أَوْ يُرْسِلُ» برفع يرسل و «فيوحي» بإسكان الياء. والتفسير أن كلام الله للبشر إما أن يكون برسالة مَلَكٍ إِلَيْهِمْ كما أرسل إلى أنبيائه، أو من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، أو بإلهام يُلْهِمُهُمْ.

قال سيبويه: سَأَلَتِ الْخَلِيلَ عَنْ قَوْلِهِ [تعالى] ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ بِالنَّصْبِ، فَقَالَ: «يرسل» محمول على «أن يوحى» هذه التي في قوله أن يَكَلِّمَهُ اللَّهُ. قال لأن ذلك غير وجه الكلام لأنه يصرف المعنى: ما كان لبشر أن يرسل الله رسولا، وذلك غير جائز، وإنما نرسل محمول على وحي، المعنى ما كان لبشر أن يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا بِأَنْ يُوحَى أَوْ أَنْ يَرْسَلَ.

ويجوز الرفع في «يرسل» على معنى الحال، ويكون المعنى: ما كان لبشر أن يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا مُوْحِيًا أَوْ مَرْسَلًا رَسُولًا كَذَلِكَ كَلَامُهُ إِيَّاهُمْ. قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضربٌ وجيع^(١)
ومثل قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ بالنصب قوله الشاعر^(٢):

ولولا رجال من رزام أعزّة وآل سبيع أو أسوءك علقما
والمعنى أو أن أسوءك.

وقال: ويجوز أن يرفع «أو يرسل» على معنى أو هو يرسل، وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه.

وقوله جل وعز: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾.

(١) تقدم.

(٢) من قصيدة المتلمس - يعيرني أُمي رجال - وهي في الأصمعيات ٦٤/١، وانظر الخزانة ٢١٤/٤ والديوان ١٦٦، والاغاني ٢٣ ط بيروت - وتقدم شيء منها وسيأتي بيت في سورة والمصر.

أي فعلنا في الوحي اليك كما فعلنا بالرسل من قبلك، وموضع ﴿كذلك﴾
نصبٌ بقوله ﴿أَوْحَيْنَا﴾، ومعنى ﴿رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ ما نحى به الخلق من أمرنا،
أي ما يُهْتَدَى به فيكون حياً.

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَذِيرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾.
ولم يقل جَعَلْنَاهُمَا لأن المعنى ولكن جعلنا الكتاب نُوراً، وهو دليل على
الايمان.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ويقرأ: وإنك لتهدي، فمن قرأ لتَهْدِي، فالمعنى تهدي بما أوحينا إليك
إلى صراط مستقيم، ويجوز أن يَكُونَ «لَتَهْدِي» مخاطبة للنبي ﷺ وأُمَّتِهِ،
فيكون المعنى وإنك وأمتك لتَهْدُونَ إلى صراط مستقيم، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فهو بمنزلة يا أيها الناس المؤمنون إذا طلقتم النساء.

وقوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾.

خفض بدل من صراط مستقيم، المعنى وإنك لتهدي إلى صراط الله.
ويجوز صراط الله بالرفع، وصراط الله بالنصب، ولا أعلم أحدا قرأ بهما ولا
بواحدة منهما، فلا تقرأن بواحدة منهما لأن القراءة سنة لا تخالف، وإن كان ما
يقرأ به جائزاً في النحو.

سورة الزخرف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿تَحْمِ. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

قد فسرنا معنى «حم»، ومعنى «الكتاب المبين»، الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

معناه إنا بيناه قرآناً عربياً.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾.

﴿أم الكتاب﴾ أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمه، والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^(١).

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.

ويقرأ «إن كنتم قوماً مسرفين»، فمن فتحها فالمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً لأن كنتم، ومن كسرهما فعلى معنى الاستقبال، على معنى إن تكونوا مسرفين فنضرب عنكم الذكر، ويقال: ضربت عنه الذكر وأضربت عنه الذكر، والمعنى أفنضرب عنكم ذكر العذاب والعذاب بان أسرفتم. والدليل على أن

(١) آخر سورة البروج.

المعنى هذا وأنه ذكّر العذاب بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾.

أي مضت سنتهم، ويكون ﴿أَفَنضِرُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾ أي نهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم، ومثله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (١)؛

وقوله: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ : طرقاً.

وقوله: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

معناه خلق الأصناف كلها، تقول عندي من كل زوج أي من كل صنف.

﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾.

أي خلق لكم وسخرها لكم: ﴿لَتَسْتَوتُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.

أي تحمدون الله وتعظمونه، فيقول القائل إذا ركب السفينة: بسم الله مجراها ومرساها، ويقول إذا ركب الدابة: الحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، أي مطيقين، واشتقاقه من قولك: أنا لفلان مقرن أي مطيق، أي قد صرت قرناً له.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

أي نحن مهزون بالبعث.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

يعنى به الذين جعلوا الملائكة بنات الله، وقد أنشدني بعض أهل

(١) سورة القيامة / ٣٦.

اللغة بيتاً يدل على أن معنى جزء معنى الإنثى ولا أدري البتة، قديم أم مَصْنُوعٌ، أنشدني^(١):

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبٌ قد تجزئ الحرة المذكر أحياناً
أي إن أنثى، ولدت أنثى .

وقوله عز وجل : ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ .

ويقرأ يُنشَأُ، وموضع «من» نَضَبٌ . المعنى أَجْعَلُوا مَنْ يُنشَأُ في الحلية - يعني البنات - لله .

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ .

يعنى البنات، أي الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين . وقد قيل في التفسير ان المرأة لا تكاد تحتج بحجة إلا عليها . وقد قيل إنه يعني به الأصنام . والأجود أن يكون يعني به المؤنث .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً﴾ .

الْجَعْلُ ههنا في معنى القول والحكم على الشيء . تقول: قَدْ جَعَلْتُ زَيْدًا أَعْلَمَ النَّاسِ، أي قد وصفته بذلك وحكمت به .

وقوله - عز وجل - : ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ .

وتقرأ سنكتب، ويجوز سيكتب، المعنى سيكتب الله شهادتهم ولا نَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا . والقراءة بالتاء والنون .

(١) نقل صاحب اللسان كلام الزجاج هذا، وزاد: والمعنى في قوله ﴿وجعلوا له من عبادہ جزءاً﴾، أي جعلوا نصيب الله من الولد الإنثى، ثم قال: قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن في أبياتها زجل
يعني امرأة غزالة بمغازل سويت من شجر العوسج . وهذا الكلام لم يذكره الزجاج في كتابنا هذا .

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.

المعنى ما لهم بقولهم إِنَّ الملائكة بنات الله من علم، ولا بجميع ما تخرصوا به.

وقوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾.

أي أم هل قالوا عن كتاب، المعنى أشهدوا خلقهم أم آتيناهم بكتاب بما قالوه من عبادتهم ما يعبدون من دون الله، ثم أعلم الله - عز وجل - أن فعلهم اتباع ضلالة آبائهم فقال: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ويقرأ «على أُمَّةٍ» بالكسر، فالمعنى على طريقة.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾.

أي قد قالوا لك هؤلاء^(١) كما قال أمثالهم للرسول مِنْ قَبْلِكَ.

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

معناه نفتدي بهم، ويصلح أن يكون خبراً لإنا مهتدون، و«على» من صلة مهتدين، وكذلك مقتدون، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم، ويصلح أن يكون خبراً بعد خبر، فيكون ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الخبر ويكون ﴿مهتدون﴾ خبراً ثانياً، وكذلك ﴿مقتدون﴾.

وقوله: - عز وجل - ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ المعنى فيه قل أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن حجتكم بأهدى منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(١) هكذا بالأصل.

﴿براء﴾ بمعنى بريء مما تعبدون، والعرب تقول للواحد منها أنا البراء منك، وكذلك الاثنان والجماعة والذكر والأنثى يقولون نحن البراء منك والخلاء منك، ولا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراءون. وإنما المعنى إنا ذوو البراء منك ونحن ذوو البراء منك كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل، والمعنى ذوو عدل وذوات عدل.

وقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾.

المعنى إنا نتبرأ مما تعبدون إلا من الله عز وجل، ويجوز أن يكون «إلا» بمعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهدين.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾.

يعني بها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم، لا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

المعنى على رجل من رجلي القريتين عظيم، والرجلان أحدهما الوليد ابن المغيرة المخزومي من أهل مكة، والآخر حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف، والقريتان ههنا مكة والطائف.

ويجوز لولا نزل أي لولا نزل الله هذا القرآن، ويجوز لولا نزل هذا القرآن.

ومعنى لولا هلاً ولم يُقرأ بهاتين الأخرتين، إنما القراءة نزل، و«هذا» في موضع رفع، والقرآن ههنا مُبَيَّن عن هذا ويسميه سيبويه عطف البيان، لأن لفظه لفظ الصفة، ومما يبين أنه عطف البيان قولك مررت بهذا الرجل وبهذه الدار، و﴿هذا القرآن﴾ إنما يذكر بعد هذا اسماً يبيِّن بها^(١) اسم الإشارة.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾.

(١) أي بهذه الجملة.

أي قولهم: لَمْ لَمْ يُنَزَّلْ هذا القرآن على غير محمد عليه السلام اعتراض منهم، وليس تفضل الله عز وجل يقسمه غيره. ولما أتى النبي ﷺ بالرسالة قالت العرب - أو أكثرها -: كيف لم يرسل الله ملكاً وكيف أرسل الله بشراً، فقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(١)، وقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾^(٢). فلما سمعوا ان الرسالة كانت في رجال من أهل القرى قالوا: ﴿وَلَوْلَا نُزِّلَ عَلَى أَحَدٍ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ﴾، وقال - عز وجل -: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

فَكَمَا فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ وَفِي الْمَنْزِلَةِ، كذلك اصطفيانا للرسالة من نشاء.

وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾.

وسُخِرِيًّا، أي ليستعمل بعضهم بعضاً، ويستخدم بعضهم بعضاً؛ وقيل سَخِرِيًّا [أي] يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً. ثم أعلم - عز وجل - أن الآخرة أحظ من الدنيا فقال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأعلم قلة الدنيا عنده عز وجل فقال:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾.

ويقرأ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ، ويجوز سُقْفًا بسكون القاف وَضَمَّ السين، فمن قال سُقْفًا وَسُقْفًا فهو جمع سُقْفٍ كما قيل رَهْنٌ وَرُهْنٌ وَرُهْنٌ، ومن قال سُقْفًا فهو واحد يَدُلُّ على الجمع المعنى جعلنا لبيت كل واحد منهم سُقْفًا من فضة.

(٢) سورة يونس ٢٠/٢.

(١) سورة يوسف ١٠٩.

وقوله: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿معارج﴾: دَرَج واحدُها مَعْرَج، المعنى وجعلنا معارج من فضة، وكذلك: ﴿وَلَبِيبُوهُمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً﴾.

أي أبواباً من فضة وسُرُراً من فضة.
﴿وَزُخْرُفاً﴾.

الزخرف - جاء في التفسير أنه ههنا الذَّهَبُ، إلا زيد بن أسلم^(١) فإنه قال: هو متاع البيت، والزخرف في اللغة الزينة وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾^(٢) أي كمالها وتَمَامُها.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

معناه وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا، ويقرأ لَمَّا متاع و«ما» ههنا لَغَو، المعنى لَمَتَاعُ.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لَوْلَا أن تميل بهم الدنيا فيصيرَ الخلق كفاراً لأعطى الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لِقَلَّتْهَا عِنْدَهُ، ولكنه - عز وجل - لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلقِ حُبُّ العَاجِلَةِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾.

ويقرأ وَمَنْ يَعِشْ بفتح الشين من عَشِيَ يَعِشُ، أي من يَعَمَ عن ذكر الرحمن.

(١) زيد بن أسلم من مشهوري التابعين - مولى عمر بن الخطاب، فقيه محدث مفسر، روى عن كثيرين منهم أبوه وابن عمر وعائشة، وروى عنه كثيرون منهم أولاده الثلاثة والسفيانان، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله. وما رؤي المستمعون أهيب لمعلم منهم له، وكان مجلسه يضم أربعين حبراً (فقيهاً) عدداً الآخرين، وكان علي بن الحسين يتخطى مجلس قومه ليجلس إلى زيد، ويقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وكان يفسر القرآن برأيه ويكثر من ذلك، توفي سنة ١٣٦ هـ - وهو معدود في الثقات وبعضهم يغمزه - (تهذيب التهذيب ج ٣/ ٣٦٥ - ٩٧).

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

﴿نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا﴾.

نسب له شيطاناً، يجعل الله له ذَلِكَ جزاءه.

وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أي الشياطين تصدهم عن السبيل، ويحسب الكفار أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.

وقوله - عز وجل - : ﴿لِمَنْ يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ﴾:

يصلح أن يكون بدلاً من قوله لمن يكفر بالرحمن، ويكون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن، ويصلح أن يكون لبيوتهم على معنى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾.

ويقراً جَاءَنَا، فمن قرأ جاءنا فالمعنى حتى إذا جاء الكافر وشيطانه، ومن قرأ حتى إذا جاءنا فعلى الكافر وحده.

﴿قَالَ يَا آيَاتُ بُنَيَّ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.

معنى ﴿المشرقين﴾ ههنا بعد المشرق والمغرب، فلما جعلنا اثنين غلب لفظ المشرق كما قال: (١).

لنا قمرها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر، وكما قالوا سَنَةُ الْعُمَرَيْنِ يراد سَنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

المعنى لَنْ تَنْفَعَكُمْ الشَّرِكَةُ فِي الْعَذَابِ، قال محمد بن يزيد في جواب

(١) للفرزدق من قصيدة له مشهورة يفتخر بآبائه ويهجو جريراً.

وقد جاء جزء منها في شواهد المغني ص ٣، وصدرة: أخذنا بأطراف السماء عليكم.

هذه الآية إِنَّهُمْ مُنِعُوا رَوْحَ التَّائِبِي لِأَنَّ التَّائِبِي يُسَهِّلُ الْمُضِيبَةَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يَنْفَعَهُمُ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْعَذَابِ وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَجْعَلُ فِيهِ أَسْوَةً، قَالَ وَأَنْشِدْنِي فِي الْمَعْنَى لِلْخِنْسَاءِ^(١):

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتَّائِسِي
وقوله - عز وجل - : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ، أَوْ نُرِيَنَّكَ ۞﴾.

دخل «ما» توكيداً للشرط والنون الثقيلة في قوله : ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ دَخَلَتْ أَيْضاً توكيداً، وَإِذَا دَخَلَتْ «ما» دَخَلَتْ معها النون كما تَدْخُلُ مع لام الْقَسَمِ، والمعنى إِنَّا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ إِنْ تَوَفَّيْتَ أَوْ نَرِيكَ مَا وَعَدْنَاهُمْ وَوَعَدْنَاكَ فِيهِمْ مِنَ النَّصْرِ، فَقَدْ أَرَاهُ اللَّهُ - عز وجل - مَا وَعَدَهُ فِيهِمْ وَوَعَدَهُمْ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ إِنْ كَذَّبُوا. وقد قيل إنه كانت بعد رسول الله ﷺ أشياء لم يُحِبِّبِ اللَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهَا.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۞﴾.

يريد أن العذاب شرفٌ لك ولقومك^(٢).

وقوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۞﴾.

معناه سوف تسألون عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف.

وقوله : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۞﴾.

في هذه المسألة ثلاثة أوجه جاء في التفسير أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمرهم وصلى بهم، وقيل له : سَلُّهُمْ فَلَمْ

(١) من رثائها أخاها صخرًا - انظر شواهد الكشف ص ٦٤، والديوان ص ٣٧.

(٢) عذاب أعدائه وهزيمتهم دليل على صدق الاسلام، والأولى أن يكون الضمير عائداً على القرآن، لأن الآية السابقة هي : ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ... ۞﴾.

يشكك عليه السلام ولم يَسَلْ، ووجه ثانٍ وهو الذي اختاره، وهو أن المعنى سل أمم من أَرْسَلْنَا من قبلك من رُسُلِنَا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، ويكون معنى السؤال ههنا على جهة التقرير كما قال: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١) فليس يسألهم ههنا عَمَّنْ خَلَقَهُمْ إلا على جهة التقرير وكذلك إذا سأل جميع أمم الأنبياء لم يأتوا بأن في كتبهم أن اعبدوا غيري.

ووجه ثالث يكون المعنى في خطاب النبي ﷺ معناه مخاطبة الأمة، كأنه قال: واسألوا، والدليل على أن مخاطبة النبي ﷺ قد يدخل فيها خطاب الأمة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا [لمهتدون]﴾.

إن قال قائل: كيف يقولون لموسى عليه السلام يا أيُّها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون. فالجواب أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسحر، ومعنى بما عَهِدَ عِنْدَكَ أي بما عهد عندك فيمن آمن به من كشف العذاب عنه^(٣)، الدليل على ذلك قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي إذا هم ينقضون عَهْدَهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَمُورُونَ بِالْمُنَافِقِينَ فِي مِلَّةِ اللَّهِ فَأَنْزَلْنَاهُمْ فِتْنَتَهُمْ﴾.

«مصر» ههنا يعنى بها مدينة مصر المعروفة، فمصر مذكر سُمِّيَ به مؤنث لأن المدينة الغالب عليها التأنيث، وَقَدْ يَجُوزُ مَلِكٌ مِصْرَ، يذهب به إلى أن مصر اسم لبلد، وهذا فيه بُعدٌ من قِبَلِ أن أكثر ما يستعمل البلد لما يضم مدناً

(١) سورة الزخرف الآية ٨٧.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) عهد الله إليه أن يكشف العذاب عن آمن به. فهم يطلبون أن يكشف عنهم العذاب ثم يؤمنون بعد كشفه.

كبيرة نحو بلاد الروم وبلاد الشام وبلاد خراسان. ويجوز أن تصرف مصرأ إذا جعلته اسماً لبلد عند جميع النحويين من البصريين.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾.

قال سيويه والخليل عطف «أنا» بأم على قوله ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن معنى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ معناه أم تُبْصِرُونَ، كأنه قال: أفلاً تبصرون أم تُبْصِرُونَ، قال لأنهم إذا قالوا أنت خير منه فقد صاروا عنده بُصْرَاءَ، فكأنه قال أفلاً تبصرون أم أنتم بُصْرَاءَ.

وَمَعْنَى ﴿مَهِينٌ﴾: قليل.

يقال شيء مَهِينٌ أي قليل، وهو فعيل من المهانة.

وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه السلام لثغة، والأنبياء - صلوات الله عليهم - أجمعون مُبِينُونَ بُلْغَاءَ.

وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْ لَّا أَلْقِيَ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

كأنه لما وصَفَ نفسه بِالْمُلْكِ وَالرِّيَاسَةِ قَالَ: هَلَّا جَاءَ مُوسَى بِشَيْءٍ يُلْقَى عَلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ أُسُورَةً مِنْ ذَهَبٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ إِلَهِهِ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ، أَوْ هَلَّا جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ أَي يَمْشُونَ مَعَهُ فَيَدُلُّونَ عَلَى صِحَّةِ نُبُوتِهِ، وَقَدْ أَتَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْآيَاتِ بِمَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَثْبِيتِ النُّبُوتِ، وَلَيْسَ لِلَّذِينَ يَرْسِلُ إِلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ أَنْ يَقْتَرِحُوا مِنَ الْآيَاتِ مَا يَرِيدُونَ هُمْ.

وتقرأ أساورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، ويصلح أن يكون جَمَعَ الْجَمْعِ تقول أسورة، وأساورَةٌ، كما تقول: أقوال وأقاويل ويجوز أن يكون جَمَعَ إِسْوَارٍ وَأَسَاوِرَةٍ،

ولأنما صَرَفَتْ أساورَ لأنك ضَمَمْتَ الهاء إلى أساور فصار اسماً واحداً وصار الاسم له مثال في الواحد مثل علانية وعباقة .

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ .

معنى ﴿آسفونا﴾ أغضبونا .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ .

جعلناهم سُلَفًا مُتَقَدِّمِينَ لِيَتَعَظَّ بِهِم الْآخِرُونَ ، ويُقرأ سُلَفًا - بضم السين واللام ، ويُقرأ سُلَفًا - بضم السين وفتح اللام - . فمن قال سُلَفًا - بضميتين - فهو جمع سَلِيف ، أي جميع قد مضى ، ومن قرأ سُلَفًا فهو جمع سُلْفَةٍ أي فرقة قد مَضَتْ .

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ .

ويقرأ يَصِدُّونَ - بضم الصاد - والكسر أكثر ومعناها جميعاً يَضْجُونُ ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعْرِضُونَ .

وجاء في التفسير أن كُفَّارَ قريش خاصمت النبي ﷺ فلما قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا^(١) قد رضينا أن تكون آلهتنا بمنزله عيسى بن مريم والملائكة الذين عُبِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ^(٢) . فهذا معنى ضَرَبَ عيسى المثل .

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ .

أي طلباً للمجادلة لأنهم قد علموا أن المعنى في حصب جهنم ههنا أنه يعني به الأصنام وهم .

(١) في الأصل فقالوا ، والآية في سورة الأنبياء رقم ٩٨ .

(٢) أي حيث عبد هؤلاء .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يعني به عيسى بن مريم، ومعنى ﴿جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ أنه يدلهم على نبوته.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾.

معنى ﴿يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً، والمعنى لجعلنا منهم بدلاً منكم.

﴿وإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾.

ويقرأ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ، المعنى أن ظهور عيسى بن مريم عليه السلام لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ، أي إذا ظهر دَلَّ على مجيء الساعة، وقد قيل إنه يعني به أن القرآن العلم للساعة يدل على قرب مجيئها، والدليل على ذلك قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. والأول أكثر في التفسير.

وقوله: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تشكَّنَّ فيها.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قوله جاء بالحكمة أي بالانجيل وبالبيانات أي الآيات التي يعجز عنها المخلوقون، وقالوا في معنى ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي يختلفون فيه^(١) واستشهدوا بقول لييد:

(١) لم يقل هذا غير أبي عبيدة في مجازه. وقد سبق هذا في تفسير الآية ﴿ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾. وصدر البيت:

تراك أمكنة إذا لم أرضها

وهو من معلقة لييد. وانظر المجاز ص ٩٤ ج ١ وص ٢٠٥ ج ٢. ولم يوافق أحد أبا عبيدة فيما قال. وتقدم هذا في ج ١.

أو تخترم بعض النفوس حمامها .

يريد كل النفوس ، واستشهدوا أيضاً بقول القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته^(١) .

قالوا معناه كل حاجته . وهذا مذهب أبي عبيدة ، والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل ، وهذا ليس في الكلام ، والذي جاء به عيسى في الانجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه ، وبين الله سبحانه لهم من غير الانجيل ما احتاجوا إليه ، وكذلك قوله : أو يخترم بعض النفوس حمامها ، إنما يعني نفسه ، ونفسه بعض النفوس .

وقوله عز وجل : ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ .

﴿الأحزاب﴾ قيل إنهم الأربعة الذين كانوا بعد عيسى ، يعني به اليهود والنصارى .

وقوله : ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ .

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أنه قال : الأخِلَاءُ أَرْبَعَةٌ مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ فَمَاتَ أَحَدُ الْمُؤْمِنَيْنِ فَسُئِلَ عَنْ خَلِيلِهِ فَقَالَ مَا عَلِمْتَهُ إِلَّا أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ ، اللَّهُمَّ اهْدِهِ كَمَا هَدَيْتَنِي ، وَأَمَّتْهُ عَلَى مَا أَمَّتَنِي عَلَيْهِ ، وَسُئِلَ الْكَافِرُ عَنْ خَلِيلِهِ فَقَالَ : مَا عَلِمْتَهُ إِلَّا أَمَّارًا بِالْمُنْكَرِ نَهَاءً عَنِ الْمَعْرُوفِ ، اللَّهُمَّ أَضِلِّهِ كَمَا أَضَلَلْتَنِي ، وَأَمَّتْهُ عَلَى مَا أَمَّتَنِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَتْنِي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى صَاحِبِهِ شَرًّا .

(١) عجزه : وقد يكون مع المستعجل الزلل .

من قصيدته التي أولها : إنا محبوك فاسلم أيها الطلل .

انظر شواهد المغني ٢٢٣ . وشواهد الكشف ٩١ .

قوله: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

وتقرأ يا عبادي - بإثبات الياء، وقد فسرنا حذف الياء وإثباتها في مثل هذا فيما سلف من الكتاب.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب على النعت لعبادي، لأن عبادي منادى مضاف، وإنما قيل ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ للمؤمنين لا لغيرهم، وكذلك ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يا عبادي المؤمنين ادخلوا الجنة.

وقوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾.

﴿تخبرون﴾ تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والخبرة المبالغة فيما وصف بجميل.

وقوله: ﴿بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾.

«الصحاف» واحدها صحفة وهي القصعة، والأكواب واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ﴾.

وقرئت ﴿تشتهيه الأنفس﴾ بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغيرها، وفي بعضها الهاء.

وقوله - عز وجل -: ﴿لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

المبلس: الساكت المُمسِكُ إمساك يائسٍ من فرجٍ.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

«هم» ههنا فصل كذا يسميها البصريون، وهي تأتي دليلاً على أن ما

بعدها ليس بصفة لما قبلها، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول. ويسمى الكوفيون العماد. وهي عند البصريين لا موضع لها في رفع ولا نصب ولا جرّ، ويزعمون أنها بمنزلة «ما» في قوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(١) وقد فسرت ما في هذا فيما تقدم من الكتاب ويجوز «ولكن كانوا هم الظالمون» في غير القرآن، ولكن لا تقرأ بها لأنها تخالف المصحف.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وقد رُوِيَ يَا مَالٍ - بغير كاف، وبكسر اللام - وهذا يسميه النحويون الترخيم، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ولكنني أكرههما لمخالفتهما المصحف.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.

أي أم أحكموا عند أنفسهم أمراً من كيد أو شرّ فإننا مُبرِمون.

مُحْكِمُونَ مُجَازَاتِهِمْ كِيداً بَكِيدِهِمْ، وَشَرّاً بِشَرِّهِمْ.

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾.

✱

معناه إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولداً فأنا أول الموحدين لأن من عبد الله - عز وجل - واعترف بأنه إلهه فقد دفع أن يكون له ولد. والمعنى إن كان للرحمن ولد في قولكم، كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾^(٢) أي في قولكم. والله واحد لا شريك له. وقد قيل إن «إن» في هذا الموضع في موضع «ما» المعنى ما كان للرحمن ولد، ﴿فأنا أول العابدِينَ﴾، وقد قيل إن العابدِينَ في معنى الاتقيين، فأنا أول من يأنف من هذا القول.

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النحل ٢٧.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾.

المعنى هو الموحَّد في السماء وفي الأرض، وقرئت «في السماء الله وفي الأرض الله». ويدل ما خلق بينهما وفيهما أنه واحد حكيم عليم، لأن خلقهما يدل على الحكمة والعلم.

وقوله: ﴿وَقِيلَ: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ويُقرأ ﴿وقيله﴾، وقيله يا رب، فيها ثلاثة أوجه، والخفض على معنى ﴿وعنده علم الساعة﴾ وعلم قيله يا رب والنصب من ثلاثة أوجه، قال أبو الحسن الأخفش إنه منصوب من جهتين إحداهما على العطف على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ وقيله، أي ونسمع قيله. ويكون على وقال قيله.

قال أبو إسحاق: والذي اختاره أنا أن يكون «قيله» نصباً على معنى وعنده علم الساعة ويعلم قيله، فيكون المعنى انه يعلم الغيب ويعلم قيله، لأن معنى عنده علم الساعة يعلم الساعة ويعلم قيله. ومعنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

والرفع على معنى وقيله هذا القول، أي وقيله قوله ﴿يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء في التفسير: من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة تصديقاً وإيماناً غفر الله له .

وقد فسرنا معنى ﴿حَم﴾ فيما سَلَفَ .

وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قَسَمٌ .

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ .

جاء في التفسير أنها ليلة القدر، قال الله - عز وجل - : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال المفسِّرون: في ليلة مباركة هي ليلة القدر .

نزل جملة إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا في ليلة الْقَدْرِ، ثم نزل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شيئاً بعد شيء .

وقوله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ .

يُفْرَقُ اللَّهُ عز وجل في ليلة القدر كل أمر فيه حكمة من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمرهم الذي يكون مُؤَجَّلًا إلى ليلة القدر التي تكون في السنة المقبلة .

وقوله - عز وجل - : ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

منصوبان - قال الأخفش - على الحال، المعنى إنا أنزلناه أمرين أمراً وراحمين رَحْمَةً. ويجوز أن يكون منصوباً يَفْرُقُ بمنزلة يفرق فرقاً لأن أمراً بمعنى فرقاً، لأن المعنى يؤتمر فيها أمراً.

ويجوز أن يكون ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ مفعولاً له، [أي] إنا أنزلناه رحمةً أي للرحمة.

وقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

بالخفض والرفع. فالرفع عَلَى الصِّفَةِ، والخفض على قوله: مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ، ومن رفع فعلى قوله: انه هو السميع العليم ربُّ السَّمَوَاتِ، وإن شئت على الاستئناف على معنى هو رب السموات.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾.

ويقرأ ﴿رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾: - فالخفض على معنى رحمة من ربك رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ.

وقوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر، وفي أكثر التفسير أن الدخان قَدْ مَضَى وذلك حين دعا رسول الله ﷺ عَلَى مُضَرٍ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرٍ واجعلها عليهم سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، أي اجعلهم سِنُوهم^(١) في الجذب كسني يوسف، والعَرَبُ أيضاً تسمي الجذب السَّنةَ، فيكونُ المَعْنَى اجعلها عليهم جُذُوباً. فارتفع القطر، وأجذبت الأرض وصار بين السماء والأرض كالِدُخَانِ.

وقوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،

(١) في الأصل سنيهم - على أنها بدل.

المعنى يقول الناس الذين يحل بهم الجذب: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾.

وقوله - عز وجل -: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ .
ويجوز أنكم عائدون. فمن قرأ أنكم عائدون فهو الوجه، والمعنى انه يعلمهم أنهم لا يتعظون، وأنهم إذا زال عنهم المكروه عادوا في طغيانهم.
وقوله - عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ .
يوم نبطش، ونبطش إننا منتقمون.

هذا مثل عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ، وَعَرَّشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ وهذا في اللغة كثير. وقيل إن البطشة الكبرى يوم بدر. و«يوم» لا يجوز أن يكون منصوباً بقوله مُنتَقِمُونَ، لأن ما بعد إنا لا يجوز أن يعمل فيما قبلها، ولكنه منصوب بقوله: واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ .
ومعنى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ .

أن أسلموا إليّ عباد الله، يعني بني إسرائيل كما قال: ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل وَلَا تَعَذِّبُهُمْ﴾^(١)، أي أطلقهم من عَذَابِكَ^(٢). وجائز أن يكون عباد الله منصوباً على النداء، فيكون المعنى أن أدوا إليّ ما أمركم الله به يا عباد الله.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ .

أي بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ بَيِّنَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنِّي نَبِيٌّ .

وقوله: ﴿وَلَا يَئِيْ عُدَّتْ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ .

أي أن تقتلون.

(٢) عباد الله على هذا مفعول به.

(١) سورة طه: آية ٤٧.

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعْتَرِلُون﴾.

أي إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا علي ولا معي .

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾.

من كسر إن فالمعنى قال إن هؤلاء، و «إن» بعد القول مكسورة. ويجوز الفتح على معنى فدعا ربه بأن هؤلاء.

وقوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾.

جاء في التفسير «يَسَاءً» كما قال: ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يساً﴾^(١) وقال أهل اللغة: رَهَوًّا سَاكِناً.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن المقام الكريم يعنى به المنابر ههنا، وجاء في مقام كريم أي في منازل حسنة.

قوله: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

المعنى الأمر كذلك. موضع كذلك رفع على خبر الابتداء المضمَر.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾.

لأنهم ماتوا كفاراً، والمؤمنون إذا ماتوا تبكي عليهم السماء والأرض، فتبكي على المؤمن الأرض مُصَلَّاه أي مكان مُصَلَّاه ومن السماء مكان مصعد عمله ومنزل رزقه، وجاء في التفسير أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً.

وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

(١) سورة طه الآية ٧٧.

أي ما كانوا مؤخرين بالعذاب .

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ .

أي على عالمي دهرهم .

وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ: إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ .

هذا قاله الكفار من قريش ، معنى «إن هي» ما هي ، ومعنى بِمُنْشَرِينَ بمبعوثين ، يقال أنشر الله الموتى ونشروا هم .

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ .

جاء في التفسير أن تَبَعًا كان مؤمنًا ، وأن قومه كانوا كافرين ، وجاء أنه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير ، على قبر أحدهما : هذا قبر رَضْوَى ، وعلى الآخر هذا قبر حُبَيِّ ابنتي تَبَّعٍ لا يشركان بالله شيئًا .

وقوله عز وجل: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ .

يعنى به السموات والأرض أي إلَّا لإقامة الحق .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

ويجوز ميقاتهم بنصب التاء ، ولا أعلم أنه قرئ بها ، فلا تقرأن بها . فمن قرأ ميقاتهم بالرفع جعل يوم الفصل اسم إنَّ ، وجعل ميقاتهم الخبر ، ومن نصب ميقاتهم جعله اسم إنَّ ونصب يوم الفصل على الظرف ، ويكون المعنى ميقاتهم في يوم الفصل .

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا﴾ .

لا يغني ولي عن وليه شيئًا ، ولا والد عن ولده ، ولا مَوْلُودٌ عن وَالِدِهِ .

وقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ .

يعنى به (١) ههنا أبو جهل بن هشام . والمهل نُردِي الزيت ويقال : المهمل
ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك .

وقوله : ﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ .

ويقرأ فأَعْتَلُوهُ - بضم التاء وكسرهما . المعنى يا أيها الملائكة خذوه
فأعتلوه . والعَتْلُ أن يؤخذَ فيمضَى به بِعَسْفٍ وَشِدَّةٍ .

﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ : إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ .

وقوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ .

الناس كلهم على كسر «إِنَّكَ» إلا الكسائي وحده فإنه قرأ : ذُقْ أَنْتَ
أَنْتَ ، أي لَأَنَّكَ قُلْتَ إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الكريم ، وذلك أنه كان يقول : أنا أعز
أهل هذا الوادي وَأَمْنَعُهُمْ فقال الله عز وجل ذُقْ هذا العذابَ إِنَّكَ أَنْتَ القاتل :
أنا العزيز الكريم .

وقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ .

أي قد أَمِنُوا فِيهِ الْغَيْرَ .

وقوله : ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ .

قيل الاستبرق الديباج الصفيق ، والسندس الحرير ، وإنما قيل له استبرق
- والله أعلم - لشدة بريقه .

وقوله عز وجل : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ .

المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في
الدنيا ، وهما كما قال : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٢) .

(٢) سورة النساء الآية ٢٢ .

(١) بالأنيم .

وقوله عز وجل: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ .

ويجوز «فَضْلٌ مِّن رَّبِّكَ»، ولا يقرأ بها لخلاف المصحف، والنَّصْبُ على معنى قوله ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمْنِينَ﴾، وعلى معنى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ وذلك بفضل من الله، فالمعنى فعل الله بهم ذلك فضلاً منه، وتفضلاً منه .

وقوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ .

معناه فانتظر إنهم منتظرون .

سورة البجائية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

المعنى - والله أعلم - إن في خلق السموات والأرض آياتٍ ويدل عليه قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾ .

يقرأ آياتٍ وآياتٌ بخفض التاء ورفعها وهي في موضع نصب على الشق على قوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ .

المعنى أن في خَلْقِكُمْ لآياتٍ، ومن قرأ لآياتٍ فعلى ضربين، على الاستئناف على معنى وفي خلقكم آياتٍ، وعلى موضع أن مع ما عملت فيه، تقول: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ وَعَمْرًا وَعَمْرٌ. فتعطف بعَمْرٍو على زيد إذا نَصَبْتَ، وإذا رفعت فعلى موضع إنَّ مع زيدٍ، فَإِنَّ مَعْنَى إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ زَيْدٌ قَائِمٌ.

وقوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ إلى قوله: ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

يقرأ بالرفع وبكسر التاء والتنوين، والموضع موضعُ نَصْبٍ ويكون قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾، وعلى قوله:

﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَإِنْ فِي ﴿اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ آيَاتٍ، وَهَذَا عَطَفٌ عَلَى عَامِلَيْنِ وَمِثْلُهُ مِنَ الشَّعْرِ: (١)

أَكَلَ امْرَأٌ تَحْسِبِينَ امْرَأً وَنَارٌ تَوْقِدُ بِاللَّيْلِ نَاراً
عَطَفَ عَلَى مَا عَمِلَتْ فِيهِ كُلٌّ، وَمَا عَمِلَتْ فِيهِ اتَّحَسِبِينَ. وَقَدْ أَبَاهُ بَعْضُ
النَّحْوِيِّينَ، وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ إِلَّا الرِّفْعُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ﴾ وَجَعَلَهُ
عَطْفًا عَلَى عَامِلٍ وَاحِدٍ عَلَى مَعْنَى وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ
آيَاتٌ، وَهَذَا أَيْضاً عَطَفٌ عَلَى عَامِلَيْنِ لِأَنَّهُ يَرْفَعُ آيَاتٍ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى مَا
قَبْلُهَا كَمَا خَفَضَ «وَاجْتِلَافَ» عَلَى الْعَطْفِ عَلَى مَا قَبْلُهَا. وَيَكُونُ مَعْطُوفاً إِنْ
شُتَّ عَلَى مَوْضِعِ أَنْ وَمَا عَمِلَتْ فِيهِ، وَإِنْ شُتَّ عَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ: ﴿وَفِي
خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

وَيُؤْمِنُونَ جَمِيعاً، وَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ
وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً
مَثَانِي﴾ (٢) فَجَعَلَ الْقُرْآنَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ.

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿أَفَّاكٍ﴾ كَذَابٍ.

وقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

(١) يَنْسَبُ لِأَبِي دَاوُدَ جَوَيْرِيَّةَ بْنِ الْحِجَّاجِ، وَالْيَ جَوَارِيَّةَ بْنِ حَمْدٍ، الْحَذَافِي، وَالْيَ عَدِيَّ بْنِ زَيْدٍ
وَأَوَّلُ الْقَصِيدَةِ:

وَدَارَ يَقُولُ لَهَا الرَّائِدُونَ وَيَلْمِ ارَّ الْحَذَافِي دَارَا
انْظُرْ شَوَاهِدَ الْمَغْنِيِّ ٢٣٩، وَالْخَزَانَةِ ٣٩٤/٤، وَالْكَامِلَ ١ ١٦٩ (التَّجَارِيَّة) وَشَوَاهِدَ الْكَشَافِ -
وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ النَّحْوِ الشَّائِعَةِ فِي مَعْظَمِ كُتُبِهِ.

(٢) سُورَةُ الزُّمَرِ / ٢٣.

﴿هذا﴾ إشارة إلى القرآن، المعنى هذا القرآن بصائر للناس.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

ويقراً ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، وقد قرئت سواء مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بنصب الممات. وحكى بعض النحويين أن ذلك جائز في العربية. ومعنى اجترحوا اكتسبوا، ويقال: فلان جَارِحَةٌ أهله أي كاسبهم، والاختيار عند سيويه والخليل وجميع البصريين سواء برفع سواء، وعليه أكثر القراء، ويجيزون النصب، وتقول: ظننت زيدا سواء أبوه وأُمُّه، وسواء أبوه وأُمُّه. والرفع أجود، لأن سواء في مذهب المصدر كما تقول: ظننت زيدا ذواستواء أبوه وأُمُّه، ومن قرأ سواء بالنصب جعله في موضع مستويا مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ومن نصب مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ، فهو عند قوم من النحويين سواء في مَحْيَاهُمْ وفي مَمَاتُهُمْ، ويذهب به مذهب الأوقات، وهو يجوز على غير ذلك على أن يجعله بدلاً من الهاء والميم، ويكون المعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعل مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سواء كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وَمَمَاتُهُمْ.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾.

وقد رويت آلهة هَوَاهُ، ولها وجه في التفسير وروي أن قريشاً كانت تعبد العُزَّى وهي حجر أبيض فإذا رأت حجراً أشد بياضاً منه وأحسن اتخذت ذلك الأحسن وأطرح الأول، فهذا يدل على آلهته، وكذلك أيضاً إلهه.

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾.

أي على ما سبق في علمه قبل أن يخلقه أنه ضال.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

ويقرأ عَشْوَةٌ بفتح الْعَيْنِ بغير ألف، ويقرأ عُشَاوَةٌ - بضم العين والألف.

وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فإن قال قائل: كيف قالوا نموت ونحيا وهم لا يقرون بالبعث، فالدليل على أنهم لا يقرون بالبعث قولهم ما هي إلا حياتنا، وفي نموت ونحيا ثلاثة أقوال.

يكون المعنى نموت ونحيا، يحيا أولادنا، فيموت قوم ويحيا قوم، ويكون معنى ﴿نموت ونحيا﴾ نحيا ونموت، لأن الواو للاجتماع، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر. ويكون ﴿نموت ونحيا﴾ ما يهلكنا إلا الدهر أي ابتداءنا موت في أصل الخلقة، ثم نحيا ثم يهلكنا الدهر.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ ضُلَّالًا، شَاكِينَ فقال:

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

المعنى ما هم إلا يظنون.

وقوله - عز وجل - : ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

يجوز في حُجَّتِهِمُ الرُّفْعُ، فمن رفع جعل حجته اسم كان و﴿أَنْ قَالُوا﴾ خبر كان. ومن نصب حجته جعل اسم كان أَنْ مَعَ صَلَاتِهَا، ويكون المعنى ما كان حجتهم إلا مَقَالَتَهُمُ اتُّوا بِآبَاتِنَا.

وقوله عز وجل: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً. كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾.

أي كل أحد يُجْزَى بما تضمنه كتابه، كما قال عز وجل: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ

الزَّيْنَةُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا. اِقْرَأْ كِتَابَكَ ﴿١﴾.

فهذا مثل قوله : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ .

رفع «كل» بالابتداء ، والخبر «تُدعى إلى كتابها» ، ومن نصب جعله بدلاً من «كُلُّ» الأول ، والمعنى وترى كل أمة تدعى إلى كتابها ، ومعنى «جائية» جالسة على الركب ، يقال قد جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته ، ومثله جذأ يجذو^(٢) ، والجذو أشد استيفازاً^(٣) من الجثو لأن الجذو أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه .

وقوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

الاستنساخ لا يكون إلا من أصل ، وهو أن يستنسخ كتاباً من كتاب ، فنستنسخ ما يكتب الحفظة ويثبت عند الله - عز وجل - .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ .

جواب أما محذوف ، لأن في الكلام دليلاً عليه ، المعنى وأما الذين كفروا فيقال لهم : ألم تكن آياتي تتلى عليكم ، ودلت الفاء في قوله «أفلم» على الفاء المحذوفة في قولك فيقال لهم .

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ .

والسَّاعَةُ ، فمن نصب فَعَطَفَ على الوعد ، المعنى : وإذا قيل إن وَعْدَ اللَّهِ حق وأن الساعة ، ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها .

(١) سورة الاسراء / ١٣ و ١٤ .

(٢) جذأ يجذو جذوا ، وجذوا ، وأجذى ، ثبت قائماً ، وجثا ، وقام على أطراف أصابعه .

(٣) من الوفز وهو العجلة ، واستوفز في قعدته انتصب غير مطمئن أو وضع ركبته ورفع إلبته ، أو استقل على رجله ولما يستوقائماً ، وقد تهيأ للوثوب .

وقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ، كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾.

أي اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم.
والدليل على ذلك قوله:

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ ويجوز لا يُخْرَجُونَ منها.
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

لا يردون ولا يلتمس منهم عملٌ وَلَا طَاعَةٌ.

وقوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي له العظمة في السموات والأرض.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾^(١).

ويقراء مِنْهُ ﴿جَمِيعاً﴾ منصوب على الحال، والمعنى كل ذلك منه تفضُّلاً وإحسان. وَمِنْهُ على معنى المفعول له، والمعنى فعل ذلك مِنْهُ، أي مَنْ مِنْهُ، لأن تسخيرَه بمعنى مَنْ عَلَيْكُمْ^(٢).

(١) كما هو واضح. موضع هذه الآية قبل ذلك، وسبق أن الزجاج يؤخر أحياناً بعض الآيات عن موضعها.

(٢) على هذا التقدير تكون منه مفعولاً مطلقاً - لا مفعولاً لأجله ولكن هذه طريقة الزجاج في شرح المفعول له. كما سبق مراراً.

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾:

جاء في التفسير: ما خلقناهما إلا للحق، أي لإقامة الحق، وتكون على معنى ما قامت السموات والأرض إلا بالحق، وقوله بعقب هذا:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾.

أي أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق الله السموات والأرض، وما بينهما ثم دعاهم إلى الدليل لهم على بطلان عبادة ما يعبدون من الأوثان فقال:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

ويقرأ أَرَيْتُمْ بغير ألف.

﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

ما تدعونه إلهاً من دون الله.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾.

أي في خلق السموات، أي فلذلك أشركتموهم في عبادة الله عز وجل.

﴿إِتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

أي ايتوني بكتاب أنزل فيه برهان ما تدعون.

﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾:

ويقراً أو أثارة من علم، وقرئت أو أثرية من علم - بإسكان الثاء - ومعناها إذا قال: أثارة على معنى علامة من علم، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على معنى ما يؤثر من العلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾:

أي من أضل ممن عبد غير الله. وجميع ما خلق الله دليل على وحدانيته فمن أضل ممن عبد حجراً لا يستجيب له. وقال و«مَنْ» وقال و«هم»^(١) وهو لغير ما يعقل، لأن الذين عبدوها أجرؤها مجرى ما يميز فخطبوا على مخاطباتهم كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢).

ولو كانت «ما» لكان جيداً كما قال: ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^(٣).

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

أي كانت الأصنام كافرة بعبادتهم إياها، تقول ما دعوتهم إلى عبادتنا. وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

(١) يريد أنه أوقع على الأصنام ضمير العاقل.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٢.

أَي فَلَستُمْ تَمَلِكُون مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، أَيِ اللَّهِ أَمَلِكُ بِعِبَادِهِ.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾:

أَي كَفَى هُوَ شَهِيداً. وَ«بِهِ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ:

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

مَعْنَاهُ أَنَّهُ مَنْ أَتَى مِنَ الْكِبَائِرِ الْعِظَامِ مَا أُتِيتُمْ بِهِ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ - ثُمَّ تَابَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾.

أَي مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أُرْسِلَ. قَدْ أُرْسِلَ قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُنْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ﴾:

كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ سَيَصِيرُ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ وَشَجَرٍ، وَقَدْ شَكَا أَصْحَابُهُ الشَّدَّةَ الَّتِي نَالَتْهُمْ فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ سَيَصِيرُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ وَشَجَرٍ، وَتَأَخَّرَ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً مَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الَّذِي يَتَّبِعُهُ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ، إِنْ أَمَرَ بِقِتَالٍ أَوْ انْتِقَالٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ وَحِيّاً فَهُوَ مُتَّبِعُهُ، وَرَوَّيَا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَحْيٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ صَارَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: سَلِّ الْيَهُودَ عَنِّي فَإِنَّهُمْ سَيُزَكُّونَنِي عِنْدَكَ وَيُخْبِرُونَكَ بِمَكَانِي مِنَ الْعِلْمِ، فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ^(١) مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ آمَنَ. فَأَخْبَرُوا عَنْهُ بِأَنَّهُ أَعْلَمَهُمُ بِالْتَّوْرَةِ وَبِمَذْهَبِهِمْ، وَأَنَّهُ عَالِمُ ابْنِ عَالِمٍ وَابْنِ عَالِمٍ. فَأَمَّنَ بِحَضْرَتِهِمْ وَشَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالُوا بَعْدَ إِيمَانِهِ أَنْتَ شَرُّنَا وَابْنُ شَرُّنَا. قَالَ: أَلَمْ

(١) فِي الْأَصْلِ عَلَيْهِ.

يأتكم في التوراة عن موسى عليه السلام: إذا رأيتم محمداً فاقروه السلام مني وأمنوا به، وأقبل يَفْقَهُمْ من التوراة على أَمَكَةٍ فيها ذكر النبي ﷺ وصفته، وهم يستكبرون ويجحدون ويتعمدون ستر ذلك بأيديهم^(١).

وجواب: ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أَتُؤْمِنُونَ.

ثم أعلم أن هؤلاء المعانين خاصة لَا يُؤْمِنُونَ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي قد جعل جزاءهم على كفرهم بعدما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى مَذْهَبُ الضَّلَالَةِ. وقيل في تفسير قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ عَلَى مِثْلِ شَهَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ. والأجود - والله أعلم - أن يكون ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ على مثل شهادة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أسلمت جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ، قالت بنو عَامِرٍ وَغُظْفَانُ وَأَسَدُ وَأَشْجَعُ: لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الدين خيراً ما سبقونا إليه، ونحن أعزُّ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ رُعَاةُ الْبُحْمِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

﴿إِمَامًا﴾ منصوب على الحال وقوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ عطفٌ عَلَيْهِ.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾.

(١) عبدالله بن سلام بن الحرث - أبو يوسف - إسرائيلي من ذرية يوسف الصديق - من بني قينقاع، كان حليفاً لبعض بني الخزرج، وكان اسمه الحصين وسماه النبي عبدالله، روى عنه ابنه يوسف ومحمد وعدد كبير من الصحابة، أسلم أول ما قدم النبي المدينة، وقيل بعد ذلك، وأوصى معاذ بن جبل أن يلتصق العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن سلام. ومن أعماله أنه نهى علي بن أبي طالب عن الخروج للعراق، وقال: الزم منبر النبي فإنك إن فارقت

المعنى واللّه أعلم، وهو مصدق لما بين يديه لساناً عربياً، لما جاء بعد هذا الموضع.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾.

وحذف له^(١) ههنا أعني من قوله: ﴿وهذا كتاب مصدق﴾ لأن قبله ومن قبله كتاب موسى، فالمعنى وهذا كتاب مُصَدِّق له، أي مُصَدِّق التَّوْرَةِ و﴿لساناً عربياً﴾ منصوبان على الحال. المعنى مصدق لما بين يديه عربياً، وذكر لساناً توكيداً، كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيد صالحاً.

وتذكر رجلاً توكيداً، وفيه وجه آخر، على معنى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً. المعنى مصدق النبي عليه السلام، فيكون المعنى مصدق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

ويقرأ لتندر الذين ظلموا.

﴿وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾:

الأجود أن يكون ﴿بشرى﴾ في موضع رفع، المعنى وهو بشرى للمحسنين، ويجوز أن يكون بشرى في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا ويُبَشِّرَ المحسنين بشرى.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

= لا تراه بعد. وناصر عثمان في شدته، ونزل فيه من القرآن: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ و﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ مات سنة ٤٣ هـ. (الاصابة ت ٤٧٢٥).

(١) في الأصل: وحذف من ههنا.

معنى ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي أقاموا على توحيد الله وشرعية نبيه عليه السلام.

وقوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾:

وتقرأ ﴿إِحْسَانًا﴾، وكلتاهما جيد، ونصب إحساناً على المصدر، لأن معنى وصيناه بوالديه أمرناه بأن يحسن إليهما إحساناً.

وقوله عز وجل: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّ كُرْهًا﴾:

وَكُرْهًا، وقد قرئ بهما جميعاً. المعنى حملته أمه على مشقة ووضعته على مشقة.

وقوله: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾:

وقد قرئت وفصله ثلاثون شهراً. ومعنى فصّاله فطامه. وأقل ما يكون الحمل لسته أشهر. والاختيار وفصّاله، لأن الذي جاء في الحديث: «لا رضاع بعد الفصال» يعني بعد الفطام.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾:

جاء في التفسير أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة، وقيل الأشد ثمانى عشرة سنة، وقيل الأشد بلوغ الحلم، والأكثر أن يكون ثلاثاً وثلاثين، لأن الوقت الذي يكمل فيه الإنسان في بدنه وقوته واستحكام شبابه أن يبلغ بضعاً وثلاثين سنة، وكذلك في تمييزه.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

معناه اجعل ذريتي صالحين.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.

ويجوز ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، فالقراءة يُتَقَبَّلُ وَنَتَقَبَّلُ، وكذلك يُتَجَاوَزُ وَنَتَجَاوَزُ، وَيَتَقَبَّلُ جَائِزٌ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَ بِهَا.

وقوله: ﴿وَعَدَ الصِّدِّيقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

هذا منصوبٌ لأنه مَصْدَرٌ مؤكد لما قبله، لأن قوله: أولئك الذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أحسنَ مَا عَمِلُوا. بمعنى الوعد، لأنه قد وعدهم الله القَبُولَ. فوعدُ الصِّدِّيقِ تأكيدٌ لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾:

وقد قرئت ﴿أُفٍّ لَكُمَا﴾ وَأُفٍّ لِكَمَا. وقد فسرنا ذلك في سُورَةِ بني إسرائيل.

وقوله: ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾.

ويقْرَأُ أَنْ أُخْرَجَ، ويجوزُ أَتَعِدَانِي بِالْإِدْغَامِ، وإن شئتَ أَظْهَرْتَ التَّوْنِينَ. وإن شئتَ أسكنت الياء، وإن شئتَ فتحتها. وقد رُوِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَتَعِدَانِي - بِالْفَتْحِ. وذلك لِحِنْ لا وجه له، فَلَا تَقْرَأَنَّ بِهِ، لأن فَتْحَ نُونِ الْاِثْنَيْنِ خَطَأٌ، وإن حُكِيَ ذَلِكَ فِي شُدُوذٍ، فلا تحمل القراءة على الشُدُوذِ.

ويروى أن قوله في الآية التي قبل هذه إلى قولك له: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم﴾ نزلت في أبي بكر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

فأما قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾.

فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن^(١) قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: ﴿أولئك الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر - وقد روى عن السيدة عائشة أنها نَفَتْ هذا وقالت ما أنزل الله فينا قرآنًا - وكان الذي اتهمه بهذا هو مروان بن الحكم حين طلب من أهل المدينة البيعة ليزيد بن معاوية فعارضه عبد الله.

فأعلم الله أن هؤلاء قد حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المؤمنين، وسرّواتهم.

والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق^(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾:

ولنوفيهم جميعاً، بالنون والياء.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾.

أكثر القراءة الفتح في النون والتفخيم في النار^(٢)، وأكثر كلام العرب على إمالة الألف إلى الكسر، وبها يقرأ أبو عمرو «عَلَى النَّارِ» يختار الكسر في الراء، لأن الراء عندهم حرف مُكْرَرٌ، فكان كسرته كسرتان.

وقوله عز وجل: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾:

بغير ألف الاستفهام، ويقرأ أأَذْهَبْتُمْ - بهمزتين محققتين، وبهمزتين الثانية منهما مخففة، وهذه الألف للتوبيخ، التوبيخ إن شئت أثبت فيه الألف، وإن شئت حذفها، كما تقول: «يا فلان أحدثت ما لا يحلُّ لك جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» إذا وَبَّخْتَهُ، وإن شئت: أخذت ما لا يحلُّ لك، أجنيت على نفسك.

وقوله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: معناه الهوان.

وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾.

«الأحقاف» رمال مستطيلة مُرتفعة كالذكاوات^(٣)، وكانت هذه الأحقاف

منازلَ عادٍ.

(١) أي كافر عاقٍ.

(٢) يريد بدون إمالة الألف.

(٣) جمع دكاء.

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: أي قد أُنذروا بالعذاب إن عَبدُوا غير الله فيما تَقَدَّمَ قَبْلَ إِنْذَارِ هُودٍ، وعلى لسان هود عليه السلام.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا﴾: أي لِنَضْرِبَنَّ عنها بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ.

﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: أي اثنا بالعذاب الذي تَعِدُنَا، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي هو يعلم متى يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [إِلَيْكُمْ].
ويقرأ بالتخفيف وأُبَلِّغُكُمْ.

﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: أي أَذَلُّكُمْ عَلَى الرُّشَادِ وَأَنْتُمْ تَصُدُّونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

أي فلما رَأَوْا السحاب الذي نشأت منه الريح التي عُدُّبُوا بِهَا قد عَرَضَتْ فِي السَّمَاءِ، قالوا الذي وَعَدْتَنَا بِهِ سَحَابٌ فِيهِ الْغَيْثُ وَالْحَيَا وَالْمَطَرُ، فقال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقرأ بعضهم: قُلْ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ، وكانت الريح من شدتها ترفع الراعي مَعَ غَنَمِهِ، فأهلك الله قوم عادِ بِتِلْكَ الرِّيحِ.

وقوله: ﴿مُمْطِرُنَا﴾ لَفْظُهُ لَفْظُ مَعْرِفَةٍ، وهو صفة للنكرة، المعنى عَارِضُ مُمْطِرُ إِيَّانَا، إِلَّا أَنَّ آيَانَا لَا يَفْصِلُ ههنا.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾.

في هذا خمسة أوجه، أجودها في العربية والقراءة، ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾، وتأويله لا يرى شيء إلا مَسَاكِينُهُمْ لأنَّهُمْ قد أَهْلَكُوا، ويجوز فأصبحوا لَا تُرَى إلا مَسَاكِينُهُمْ فيكون المعنى لا ترى أشخاص إلا مَسَاكِينُهُمْ، ويقرأ فأصبحوا تَرَى مَسَاكِينُهُمْ، أي لا ترى شيئاً إلا مَسَاكِينُهُمْ، وفيها وجهان بحذف الألف، فأصبحوا لَا يُرَى إلا مَسْكِينُهُمْ، وَمَسْكَنُهُمْ، ويجوز فأصبحوا لا ترى إلا مَسْكَنُهُمْ.

نقال: سَكَنَ يَسْكُنُ مَسْكَنًا وَمَسْكَنًا.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾:

المعنى مثل ذلك نجزي القوم المجرمين أي بالعذاب.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾.

إن ههنا في معنى «ما» و«إن» في النفي مع «ما» التي في مَعْنَى الَّذِي أحسن في اللفظ مِنْ «مَا»^(١)، ألا ترى أنك لو قلت رغبت فيما ما رَغِبْتَ فيه لكان الأحسن أن تقول: قَدْ رَغِبْتَ فيما إن رَغِبْتَ فيه، تريد في الذي ما رغبت فيه، لاختلاف اللفظين.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾:

أي دعاؤهم آلهتهم هُوَ إِفْكُهُمْ، ويقرأ أَفْكُهُمْ، بمعنى وذلك كذبُهُمْ وَكُفْرُهُمْ، والأفك والأفك مثل النجس والنجس ويقرأ أَفْكُهُمْ، أي ذلك جَعَلَهُمْ ضللاً كافرين، أي صَرَفَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، ويقرأ أَفْكُهُمْ أي جَعَلَهُمْ يَافِكُونَ، كما تقول: ذلك أكفرهم وأضلَّهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾.

(١) المعنى اذن مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

أي قال بعضهم لبعض صَه، ومعنى صه اسكُت، ويقال إنَّهُمْ كانوا تسعة نفرٍ أو سبعة نفرٍ، وكان فيهم زوبعة.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾

أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرغ منه، ولُوا إلى قومهم مُنْذِرِينَ ويُقرأ فلما قضاؤه.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أي يُصَدِّقُ جَمِيعَ الْكُتُبِ التي تقدمته والأنبياء الذين أتوا بها، وفي هذا دليل أن النبي ﷺ بعث إلى الإنس والجن.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.

دخلت الباء في خبر إن بدخول «أَوَلَمْ» في أول الكلام، ولو قلت: ظَنَنْتُ أن زيدا بقائم لم يجز، وَلَوْ قُلْتُ: ما ظننتُ أن زيدا بقائم جاز بدخول ما، ودخول ان إنما هو تأكيد للكلام فكأنه في تقدير أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى فيما ترون وفيما تعلمونه.

وقد قرئت يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، والأولى هي القراءة التي عليها أكثر القراء. وهذه جائزة أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

جاء في التفسير أن أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

(١) أشير في الهامش إلى أنه جاء في بعض النسخ بعد هذا جملة «من أولي العزم».

قوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾ .

الرفع على معنى ذلك بَلَاغٌ، والنصب في العربية جيدٌ بالغٌ. إلا أنه يخالف المصحف، وبَلَاغاً على معنى يبلغون بَلَاغاً، كما قال: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، مَنصُوبٌ عَلَى معنى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، تأويله: كتب الله ذلك كتاباً .

وقوله عز وجل: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ .

تأويله أنه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القومُ الْفَاسِقُونَ ولو قرئت فهل يَهْلِكُ إِلَّا القومُ الْفَاسِقُونَ كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية. وهي قوله: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ .

الفهارس

- فهرس البحوث اللغوية
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس أنصاف الأبيات
- فهرس التراجم
- فهرس المحتويات

البحوث اللغوية

٦	الخشوع واللغو
١٢	كلمة هيهات واللغات فيها
١٣	كلمة تترى ولغاتنا
١٤	اللغات في ربوة
٢٢	رأي أبي عبيدة في النفخ في الصور
٢٤	خساً - اتخذتموهم سخرياً
٢٨	مادة فعالة ومواضيعها
٣١	استعمال كلمة أبداً
٤٢	عورة وعورات
٦٠	دخول «من» على الأسماء
٦٣	عتواً - حجراً محجوراً
٦٦	اتخذوا هذا القرآن مهجوراً
٩٣	أزلفنا ومادة زلف
١١٢	أوزعني أن أشكر وتفسير المادة
١٢٠	العفريت وما يقابله
٤٤٢ ، ١٣٥	بلوغ الرشد
١٣٧	معنى الجبار في الأرض
١٥٦	وَيْكَ أَنَّهُ
١٦٣	فلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وتفسير الاستثناء
١٧٣	معنى الدابة

١٧٦	إعرابات قبل وبعد
١٨٣	معنى «وهو أهون عليه» في رأي أبي عبيدة
١٩٧	إعراب «إنها إن تك مثقال حبة
١٩٨	معنى تصعير الخد
٢٠١	نعمة ونعمات وأوجه جمعها
٢٠٣	تصريف: هو جاز عن والده
٢٠٤	«أحسن كل شيء خلقه» وأوجه فيها
٢٠٥	معنى يتوفاكم ملك الموت
٢١١	معنى الأرض الجرز
٢٢٣	الصياصي
٢٢٥	وقرن في بيوتكن
٢٤٣	يا جبال أوبي معه والطير
٢٥٣	معنى فزع عن قلوبهم
٢٥٥	جزاء الضعف
٢٥٩	التناوش
٢٦٦	النقير - القطمير - الفتيل
٢٨٠	«سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
٢٨٤	يا حسرة على العباد
٢٨٩	اللغات في يخصمون
٢٩٩	اللغات في خطف يخطف
٣٠٣	ولا هم عنها ينتفون
٣١١	وفديناه بذبح عظيم
٣٢١	لات حين ولغاتها
٣٥٢	رجل سلم لرجل
٣٨٣	معنى يوزعون
٤٠٩	كلمة براء واستعمالاتها

٤٢٥	بطش ومرادفاتھا
٤٣٣	كالذين آمنوا... سواء محياهم.. الخ
٤٣٥	حشا، جدا، وفز
٤٤٦	الإفك واللغات فيه

فهرس الأبيات الشعرية

أول البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
صلبوا	بقاء	أبو زيد الطائي	٣٢٠
فلا تحرمني	غريب	علقمة	١٣٤
وكنا	مذهب	طفيل	٢٢٧
إذا	فنضارب	قيس بن الخطيم	٢٤٢
رفعت	ثيابي	بعض الهذليين	٣١٣
وخصمي	يشغب	الجعدي	٣٦٣
ولقد	يغضبوا		٣٧٦
بأيدي	سلت		٧٧
ترى	الحماة	الفرزدق	٨٣
من صدّ	براح		١٤٢
وما أدري	شراح	يزيد بن مخرم	٣٠٥
وما الدهر	اكدح		١٨٢
لبيك	الطوائح	ضرار بن نهشل	٣٩٣
ولكننا	موحدا	ساعدة بن حوثة	٢٦١
نشط	أبعد	عمر بن أبي ربيعة	٢٢٦
إن الذي	خالد	الأسود بن رميلة	٣٥٤
ألا يا أسلمي	القطر	ذو الرمة	١١٥
ألا يا أسلمي	الدهر	الأخطل	١١٥
ألا غلالة	الجرارة	الأعشى	١٧٧
أصبحت	نفرا	الربيع الفزاري	٢٩٥

أول البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لعمري	أبجرا	الأبيرد	٣٠٤
ألف	كسيرا		٣٣٠
إذا	سِتر	خفاف بن ندبة	٣٥٣
قروا	سمر	خفاف بن ندبة	٣٥٣
أيادي	منظر	كثير	٢٥١
ووتر	الأنفاسا		١٢٧٠
ولولا	نفسى	الخنساء	٤١٣
وما	التآسي	الخنساء	٤١٣
كان سراته	دليص	امرؤ القيس	٢٦٩
فإن	مقنعا		١١٧
وخيل	وجيع	عمرو بن معد يكرب	٤٠٣
دعيني	مضاعا	عدي بن زيد	٣٦٠
ولا الملك	يأفق	الأعشى	٣٢٣
رأيت	البقل	زهير	١٠
قوم	التنزيلا	الزاعي	١٥
في فتية	ينتعل	الأعشى	٣٥
حصان	القوافل	حسان	٣٥
لعمرك	أول	معن بن أوس	١٨٣
أيقئلني	أغوال	امرؤ القيس	٣٠٧
فرميت	طحالها	الأعشى	٢٢٦
يا رب	الأجل		٣٥٨
قد يدرك	الزّلل	القطامي	٣٧٢
ما أنطيانى	كرمي	كثير	٦٢
بها القين	محثم	زهير	٧٤

البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ويوم	غراما	الطرماح	٧٥
من سبأ	العرما	أمية بن أبي الصلت	١١٤
يا دار	سمسم	العجاج	١١٦
مشين	النواسم	ذو الرمة ح ٣٦٢/١	١٩٠
هم القائلون	معظما		٣٠٥
ربه محراب	سلما	وضاح	٢٢٥
ولولا	علقما	المتلمس	٤٠٣
بورك	الزيتون	أبو طالب	٤٥
علام	عبدان		٨٧
وكل أخ	الفرقدان	عمرو بن معد يكرب	١٥٨
وما أدري	يليني		٢٧٩
أأخير	يبتغيني		٢٧٩
واعمد	يدان	كعب الغنوي	٢٣٦
ان	أحيانا		٤٠٧

أنصاف الأبيات

٢٧٥	امرؤ القيس	فاليوم اشرب غير مستحقب
٢٥١		من صادر أو وارد أيدي سبا
١٧٧	الفرزدق	بين ذراعي وجبهة الأسد
٢١٨	جرير	أقلي اللوم عاذل والعتابا
١٤		فإن يكن أمسى البلى تيقوري
٣٨		جاءت به غنَسٌ من الشام تلق
٢١٠	أنس بن زنيم	كم يجود مقرفا نال الغنى
٤١٣	الفرزدق	لنا قمراها والنجوم الطوالع
٢٤٦	الأعشى	كجابية السيج العراقي تفهق
٢٧٥		إذا اعوججن قلن صاحب قوم
٢٧٥		إذا أعوججن قلن صاح قوم
٤١٨		أو يخترم بعض النفوس حمامها
٩١		فقد رجعوا كحي واحدينا

تراجم

٥	كعب الأحبار
٣٤	حسان بن ثابت
٣٥	صفوان بن المعطل
٤٥	أبو طالب عم النبي
٤٦	ضرار بن نهشل، نهشل بن حري
٢٢٨	زينب بنت جحش
٢٢٨	زيد بن حارثة
٣٣٠	زيد الخيل
٤١١	زيد بن أسلم
٤٤٠	عبدالله بن سلام

فهرس الكتاب

٥	سورة المؤمنون
٢٧	سورة النور
٥٧	سورة الفرقان
٨١	سورة الشعراء
١٠٧	سورة النمل
١٣١	سورة القصص
١٥٩	سورة العنكبوت
١٧٥	سورة الروم
١٩٣	سورة لقمان
٢٠٣	سورة السجدة
٢١٣	سورة الأحزاب
٢٣٩	سورة سبأ
٢٦١	سورة الملائكة
٢٧٧	سورة يس
٢٩٧	سورة الصافات
٣١٩	سورة ص
٣٤٣	سورة الزمر
٣٦٥	سورة المؤمن

٣٧٩	سورة فصلت
٣٩٣	سورة الشورى
٤٠٥	سورة الزخرف
٤٢٣	سورة الدخان
٤٣١	سورة الجاثية
٤٣٧	سورة الأحقاف
		الفهارس
٤٥١	فهرس البحوث اللغوية
٤٥٥	فهرس الأبيات الشعرية
٤٥٩	فهرس أنصاف الأبيات
٤٦٠	فهرس التراجم
٤٦١	فهرس المحتويات